جَامِعـــــــــــــةُ صَفـَـــــــــــاقس
كُلِيّة الآدَابِ وَالعُلُومِ الإنسَانِيّةِ بصَفَاقس
قِسْمُ الـــعَربِـــيـّـــــــــــــــــــةِ

"تكرار القصص في القرآن:

قصّة إبليس أنموذجا "

إعـــــــــــــــدَاد
فتحِـــــــي السّعْـدِي

تصديـــــــــر

لَيسَ التكرَارُ تَكرِيرًا لِلمَكرُورِ، إنّمَا هُو عَودَةٌ فَارِقةٌ لِلفُرُوقِ.

عبد العَزِيز العيّادِي: "اتِيقَا الموت والسّعَادَة"

دَار صَامد للنّشر، صَفَاقس- تُونس، ص 148.

الإهدَاء

قضَاءً لبعضِ الدّين أهدي هذا العمل

إلـــــــى رجُـــلٍ تجَـــاعيـــــدُ كفّـــهِ تحكـــي تاريـخ أجـــــــــــدادي.

إلـــــــى أنثَـــــى أرضعـــــتنِي حـــتّى اشتَـــدّ لـــينُ عِـــــظَامـــــــــي.

إليها حين تورقُ الرّؤيا لأني ما تعلّمتُ الجُحُود: هالة بن نورة، شيمة جُود ووُجُود.

إلـــــــى الذينَ أنفُـــوا الذلّ في أوطَانهم ففَدوهُ بالـــــــــدّمِ الغَـــالي المطهّـــــر.

الــشّكر

يقتضـــي واجِبُ العرفانِ بالجمِيلِ أن أتَوجّـــهَ بأحرّ عبَاراتِ الشّكر تعبيرًا عن خَالِصِ تقديرِي وامتِنَانِي

للأستَاذ: مُحمّد بن عيّاد

لتفضّلِهِ بالإشرَاف على هذا البحث من أوّلهِ إلى آخرِهِ، ولما أسداهُ إليّ من مُحكم التّوجيه، ولما قدّمَهُ لي من نَصَائح منهَجيّة وتفَاصيل معرفيّةٍ، ولِمَـا أمدّني بهِ من بعضِ مُؤلّفاتِهِ في مجَالِ السّرديَات قبلَ إنجَازِ هَذا البحث، ولِمَا أفادني بِهِ من دقِيقِ المِلَاحَظَاتِ التي فيها علمٌ غزير ونُصحٌ كثير لإخراج هذا العملِ على ما هُو عليهِ. ستَظَلّ شفَتَاي تُؤمِنُ بنُصحِكَ الموفُور وتشجيعكَ المشكور.

المُقدّمـــــَـــة العَامّـــــــة

إنّ تقنية التّكرار في القرآن الكريم ليست وابل طلّ، إنما هي طلّ وابل إذْ تحتلّ من القرآن ربعه تقريبا. والتّكرار الذّي نحن منه بسبيل هو التّكرار القصصي في الخطاب القرآني. فلم تُغفل الدّراسات الحافلة بالفنّ القصصي في القرآن، الحديث عن فنّية التّكرار القصصي، بيد أنّها أشارت إليه إشارة عابرة، حتّى أنّه لم ينل حظّه من الدّرس والتحليل قدر تواتره في القرآن. وإذا ما تطرقّت هذه الدّراسات إلى ظاهرة تواتر القصّة القرآنيّة في أكثر من سورة فهي تقصر همّتها على مقاصد الخطاب القرآني دون أن تأبه للنّسيج المعماري الفنّي الذي كوّن قصّة من طينة خاصّة، فالقصّة القرآنية المكرّرة مختلفة عن القصّة النثّريّة المألوفة. فلسنا نعهد في المدوّنة السّرديّة العربيّة القديمة والحديثة نصّا يَتَضَمّنُ قصصا معاودة، إنّما جملة ما نعثر عليه، نصوص تتضمّن قصصا من غير طينة القصّة الأصليّة.

لهذا نعتبر هذا التّميّز علامة تخلع على القصّة القرآنية المكرّرة وشاحا خاصّا وتمنحها بعدا مخصوصا، وهذا ما ليس للقصّة الّنثريّة المألوفة مِنهُ شيء. ولمّا كان لكّل شيء إذا ما تمّ نقصان، فإنّ الدّراسات التّي تناولت التّكرار القصصي في القرآن أبقت على جملة من الثّغرات وهذا ما ولّد لدينا الرّغبة في استكمال ما لم تتناوله بقيّة الدّراسات وحثّنا على النيّة في الإضافة العلميّة المرجوّة علّنا نسهم قدر ما استطعنا في إخراج ظاهرة التّكرار القصصي في الخطاب القرآني من الدّيجور إلى الّنور. ومثلما يدلّ على ذلك عنوان البحث "التّكرار القصصي في القرآن: قصّة إبليس أنموذجا" فقد ارتأينا أن يكون مسار عملنا، البحث في تفاعل تقنية التّكرار القصصي بين دلالة التّحالف ودلالة التّخالف في قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني وما تحمله هذه القصّة التّكرارية من وظائف متنوّعة.

والحقّ أن "التّكرار" بما هو المصطلح الرّئيس في هذا البحث قد ذاع صيته وغدا بذلك محلّ دراسة تتوخّاها بعض الدّراسات النّقدية الحديثة. فنحن نعرف تكرار اللاّزمة وتكرار السّجع وتكرار الازدواج وتكرار العبارة وتكرار القصّة إلى غير ذلك من ضروب هذه المركّبات الإضافية التي ينبغي أن تُدرس مقرونة لا مفروقة حتى لا يُضيرها ضيم ولا يلحقها غبن. ولفظة التّكرار هي من مادة (ك، ر، ر) فقد ورد في لسان العرب لجمال الدّين بن منظور: "إنّ الكَرّ مصدر كرّ عليه كرّا ومنه التّكرار كتكرار للكلمة أو للقصّة أكثر من مرّة لمعان متعدّدة ".[1] ومن شأن هذه المعاني النّاتجة عن تقنية التّكرار أن تؤكّد أنّ التّكرار القصصي في الخطاب القرآني لا يقيّم بكونه ضربا من ضروب الإملال وإنّما يقيّم بوصفه ضربا من ضروب المتعة السّمعية وتحقيق الفائدة العلميّة.

[1] المجلّد الخامس تحقيق عبد الله علي الكبير-محمّد احمد حسب الله-هاشم محمّد الشاذلي طبعة جديدة دار المعارف:القاهرة ص 3951

فلا محيصَ من أن نُلاحظَ أنّ تقنِيَة التكرَارِ في القصّةِ الإبليسيّة المُكرّرة حمّلت هذه القصّة رُؤيَا انحنى لها اللّسانُ والوجدَانُ لِمَا فيها من إسداء النّصيحةِ وتَدوِين الوصايا. ومن هذا الموقعِ ليست هذه القصّة مُتعة حكي يُبتَغى بها لتسليَة النُفُوسِ. وإن راقت وراعت، لم تَكُن لتُسْتَهوى بخُلّبٍ من ضُرُوبِ المُحال ولا بِقُلّبٍ من ألوان التّرحال.

فلا يخفى أنّ خِطَابات إبليس التي يُزاوِجُ ويُمازجُ فيها بين الفكرِ والحسّ، هي صوت فكرٍ أعياهُ طُول النّظر في آل آدم وهُم بين خُروج وخُروج. من بطن الأم إلى بطن الأرض، من رحم السرّاء إلى القبر، من موت إلى جزاء. هو نُزُول في الوُجُود يتلُوهُ الرّحيل، رحيل بلا عود إلى يوم يُبعثُون، وفي ثنايا ذلك ضائعُون، ضيَاع مردّهُ غياب الدّليل. وما التكرارُ الذي انبنت عليهِ قصّة إبليس، إلّا لغرض أقصى هو مَنْجاتُنا والسلامة.

لهذا لا نرى بُدّا من أن ننظُرَ في وظائف التّكرار القصصي في الخطاب القرآني بشتّى ألوان الإلف والخُلفِ، واستجلاء نقاط الائتلاف والاختلاف في القصّة القرآنية المكرّرة مثلما تنطوي على ذلك قصّة إبليس مثلا.

أفلا نجد في ائتلاف القصص القرآنية المكرّرة دلالة؟

ألا يكـــــــــون فـــي اختلافهـــا معان ودلالات؟

وليكون طرحنا لمثل هذه التّساؤلات أكثر وَجَاهة، نذكُر أنّ للقصّة المكرّرة قواعدها وضوابطها من قبيل نظام السّرد وتركيب الحكاية وحتّى اللّغة ذاتها إذا ما تعاملنا معها من النّاحية القصصية، فلا الائتلاف هنا شكلي فحسب ولا الاختلاف في مثل هذا الموضوع مظهري فقط، إنّما هما وجهان لقصّة واحدة هي القصّة القرآنية المكرّرة.

وبناء على ما تقدّم، تراءى لنا أن نخضع عملنا لعملية انتقائية وفق ما تقتضيه طبيعة بحثنا. فاجتمعت لنا أربعة فصول إذا ما استثنَينَا فصل المِهَاد الاصطلاحي الذي نُعدّهُ عتبة مدخلية للشّروع في البحثِ. ومن ثمّة يستمِدّ بحثنا نسقَهُ من فصل أوّلٍ وهو، تقنيات القصّة القرآنية المكرّرة. ويتضمّن هذا الفصلُ عنصرين. فقد أردنا أن ننظر في القصّة التّكرارية في الخطاب القرآني من جهة الخبر ثمّ من جهة الخطاب.

ولمّا كان من مُقتضى الحال أنّ السّبيل إلى تفكيكِ اللّغزِ الخِطَابي هو إرجاعُ المَقَاصد الكلامية إلى أصولها الوظائفية فإنّنا سنُخصّصُ الفصل الثّاني للبحثِ في وظائف التّكرار في قصّة إبليس التي تراوحت بين أحادية الحدث واختلاف الرّواية. فتفرّع هذا الفصل إلى الوظيفة التّنبيهية فالتأثيرية فالحجاجية.

ثمّ رأينا من الجدوى أن تناول بالتّحليلِ شخصية إبليس وهيمنة حضورها في القصّة، لنرصُدَ بعد ذلِكَ كيفيّة تحوّل شخصية إبليس من التّبعية لآدم وحوّاء إلى الاقتِدَارِ عليهما. نقصدُ أنّ إبليس خسر مكانهُ

في الجنّة ومكانتُهُ فيها لأنّهُ تمرّد على خالقهِ على عكسِ آدم وحوّاء. وهنا كان إبليس في وضعية تبعية. ثُمّ أسعفتهُ وسوستُهُ إلى أن أخرجهُما من الجنّة. ومن هذا الموقع يكُونُ قد مارسَ عليهما سُلطتهُ.

وضمن هذا السيّاق فطِنَ آدم وزوجهُ بهزيمتهما وما عليهُما إلّا أن يَتَحمّلا المسؤولية التي أخلاها لهُما الشّيطان. لذلك من البديهي أن يكُونَ العُنصر الخِتَامي لهذا الفصل هو إعلان الهزيمة وإخلاء المسؤوليّة أي لكلّ امرئ شأنٌ يُغنيهِ.

وممّا لاشكّ فيهِ أنّهُ لا يَخفى على نظر المُتفحّصِ في القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخِطَاب القُرآني، أنّ التكرَارَ فيها يتَحَالَفُ مدّا ويَتَخالَفُ جزرا. لذلك قرّ قرَارُنا أن يكُونَ الفصل الثّالث في دلالة الائتلاف في تكرار قصّة إبليس وفيه نتعرّض إلى مستوى اللّفظ فمستوى الجمل فمستوى السّياق. ولمّا كان لكُلّ مطاف ختام، فإنّ المَطَاف يَنتَهي بنا عندَ الفصل الرّابع الذي حطّت رواحِلُهُ عندَ دلالة الاختلافِ على مُستَوى اللّفظِ، ثُمّ على مُستَوَى الجُمْلَة وأخيرا على مُستَوَى السيّاق.

ذاك هو مسار العمل في مفاصله الكبرى مرتّبة على النّحو الذي سيكون عليه مدار عملنا. وحرصا منّا على اكتمال المنهجيّة، حرصنا على أن تتصدّر كلّ فصل من الفصول التي ذكرنا شرحٌ للمَفَاهيمِ التقنية قبل تناولها بالدّرسِ والتّحليلِ، تليهِ مقدّمة فيها نطرح ما نعتزم القيام بهِ . وسيكُونُ لكلّ فصل من فُصُولِ هذا العملِ خاتِمَة مخصُوصة هي إيجاز لما انطوى عليهِ كُلّ فصلٍ وهي حصيلة ما انتهَينا إليهِ من نتائج أسلم إليها التّحليل.

وخليق بنا أن نشير إلى أنّ منطلقنا البحثيّ لا مكان فيه للأحكام القسرية، فجلّ ما نورده من استنتاجات و أحكام هو ما تسمح به مدوّنة بحثنا. ولهذا سنعمَدُ في بعض مواطِنِ البحث إلى استخراجٍ مضبُوطٍ ودقيقٍ لهذهِ المُدوّنة التي عليها مدَارُ العمَلِ.

ولمّا كانت كلّ البحوث تأتلف في شيء واحد وهو الصّعوبات التي تعترض سبيل الباحث، فإنّ بحثنا كبقية المباحث لم يخل من صعوبات. فهناك صعوبة محتملة تتعلّقُ بمدى استِجَابة النّص القرآني للدّراسة المنهجية الحديثة ؟ وهل يكون النّص الإعجازي قابلا للإجراء المنهاجي أم هل هو يفيض عنها كلّها؟ ناهيك أن القصّة التي عليها مدار البحث (وهي قصّة إبليس في الخطاب القرآني) هي قصّة مُستخرجة من نَصّ مُقدّس. فهل بمستطاعنا أن نخضعها لمقتضى الحبكة والعقدة بالمفهوم السّردي في علم السّرديات ؟ فالقرآن قد يتأبّى على الامتثال لهذا الرّابط بوصفه نصّا مُتَعَالِيا.

ثُمّ إنّ دراسة السّياقات التّاريخيّة للقصص القرآنية قد لا نقع فيها على المصادر الأصليّة التّاريخية الصّحيحة، إنّما قد نقع تحت طائلة إسرائيليات قد تكون محرّفة للنّص القرآني. وقد استقرّت مدوّنتنا في نهاية المطاف بعد جرد دقيق لأبرز القصص القرآنية المتواترة على ثلاث عشرة سورة وعلى زُهاء سبعِينَ آية.

ولا نزعم أنّ فهمنا لتكرار القصص في الخطاب القرآني سيبقى بنيويّا. فقد تجاوزنا ذلك معتبرين فهم الموقع تلفّظيا وتداوليا يهيّئ لنا سبل الاستفادة من كلّ المناهج النّقديّة ذات الصّلة بالدّلالة كالمنهج التّأويلي مثلا. لذلك اتّسع بحثنا للتّأويل بين الفينة والأخرى.

وبذكرنا للمبرّرات والغايات والمنهج والصّعوبات التي اعترضت سبيلنا ونحن نتحسّس طريق البحث في "تكرار القصص في القُرآن: قصّة إبليس أنموذجا" نكون قد سوّرنا بحثنا آملين أن تقرّ العين وتطمئنّ النَفس .

المِهاد الاصطِلاحِي

القصّة: تتكوّن من مادّة (ق، ص، ص) تُجمع على قصص. والقصّة هي الخبر المقصوص. والقصص بكسر القاف هي جمع القصّة التي تُكتب. ونقول تقصّص فلان الكلام أي حفظه. وتقصّص الخبر بمعنى تتبّعه. واقتصصت الحديث بمعنى رويته على وجهه. نلاحظ إذن أنّ فعل القصّ والاقتصاص يفترض الإتباع والمحافظة. فعلى القاصّ الذي يأتي بالقصّة أن يتتّبع معانيها وألفاظها.

ونقول قصّ يقصّ قصّا وقصصا وتقصّصا أي تتبّع الأثر. و تتبّع الأثر هنا بمعنى تتبّع أثر الخبر الذي نقصّه على السّامع. فوقوع الحادثة يسبق حصول القصّة التي تُروى أو تُحكى، ممّا يعني أنّ فعل القصّ يخلّد حصول الحادثة. والقصّة أيضا تعني فعل التّقصيص وهو التجصيص[2]. بمعنى البناء أو البنية أو "البينونة" على حدّ عبارة "أبي حيّان التّوحيدي" فللقصّة بناؤها الدّاخلي المحكم من ذلك الحبكة القصصيّة والسّرد الخطّي للأحداث أو السّرد غير الخطّي، بغضّ النّظر عن أنماط الكتابة السّرديّة والأركان السّرديّة القصصيّة ومنها الشّخصيات وما بينها من علاقات إضافة إلى الزّمان والمكان.

وإذا نظرنا في القصّة من زاوية فنّية، نجدها لونا من ألوان الأدب القصصي، المتعة فيها ناجمة عن المقوّمات الفنّية والحبكة القصصية التي تتّصل اتّصالا وثيقا بحياة الإنسان وتُحيي الشّخوص بطبائع وانفعالات يثيرها منطق الحادثة. والقصّة بذلك تحمل فعل القصّ الرّوائي وتحتضن القصص. وللقصّة موضوعات جمّة منها التّاريخي والاجتماعي والنّفسي والدّيني، والقصّة الدّينية كما هو شأن قصّة إبليس التي كثيرا ما تكرّرت في الخطاب القرآني متّخذة بذلك النّسيج القصصي سبيلا.

ولعلّ قصّة إبليس المتواترة في القرآن، تُعدّ قصّة متميّزة في هذا السيّاق لانطوائها على خصائص كثيرة إذ فيها رصد لدقائق النّفس وانفعالاتها وطبائعها ورسم لدواخل النّفس والتّصرّفات السّلوكية: (حركة وإشارة وكلمة) . فلا محيص من أن نلاحظ أنّ هذا التّصوير القصصي المبطّن والمعمّق يصوّر شخصيات نكاد نلمسها أو نراها.[3]

واِغنَاء لما سبق ذكره فإنّ القصّة كذلك تعيين لأحداث حقيقيّة أو هي من صُنع الخيال (L'imaginaire) وهذه الأحداث تكون شفويّة أو مكتوبة. ولم تشهد القصّة تطوّرا (Evolution) من جهة الفعل القصصي. وحسبُنا أنّ الفعل القصصي ظلّ تلاوةَ حوادث قصصيّة تُطوّر بعض القيم المخصوصة التي تُحدّدُ النّمط التعليمي (Le manière didactique) المعروض بواسطة شخص يعرِضُ أحداثا تراجيديّة لا تُمثّلُ مشهدا بل إنّها أثر أدبي مسرّد يسردُ لنا وقائع وقعت حقيقة - (كواقعة آدم وإبليس لمّا وسوس الثّاني للأوّل وأغراه فخسر مكانه ومكانتهُ) – أو هي من محضِ الخيال.[4]

---

[2] جمال الدين بن منظور، ***لسان العرب*** المجلّد الخامس طبعة جديدة محقّقة و مشكولة: دار المعارف:القاهرة ص ص 3651،3652

[3] اميل بديع يعقوب وميشال عاصي ، ***المعجم المفصّل في اللّغة و الآداب***:المجلّد الثاني،دار العلم للملايين-لبنان ص 97

[4] انظر ألان ريبي الذي يقول:

ونُشير كذلك إلى أنّ القصّة هي علاقة الشفوي بالمكتوب، تسرد الوقائع الحقيقيّة أو التي ابتدعها الخيال. فهي عرض (Exposé) أو تسريد (Narration) أو حكي (Raconter) فالقاصّ في القصّة يسرُدُ لنا مُغامرات أو مُغامَراتُهُ .[5] (Ses aventures) من المُهمّ منهجيا وعلميا أن ننظر في ماهية الحكاية و ماهية الرواية، قصد تبيّن الفرق بينَ مفهُومِ القصّة ومفهومي الحكَاية والروايةِ.

الحكاية هي لون من ألوان القصص تعتمدُ السّرد والتشويق والإمتاع والإفادة. وهي قد تضرِبُ في أرض الخيال والمُغامرات وتتّخذ أبطالها من الإنس والجنّ وتنسج أحداثها من خيُوط الخارق واللّامعقول. كما قد تقتحمُ غمار الواقع المعيش وتروي أحداثا من صميم الحياةِ وتعتمِدُ أساسا على راوية يروي ويصفُ. ومن هُنا تشتركُ الحكاية مع الرّوايةِ والقصّةِ في المناخ العام وفي الاعتماد على عناصر مُشتركة فيما بينها. بيد أنّها لا تلتزمُ المأثُور في التقنية القصصيّةِ وإبداعاتها، بله اعتِمَادُهَا على سجيّة الرّاوي وطرائقه في السّرد والتشويق والوصف والإمتاع. ومن ثمّة يمكن القولُ بشأن الحكايةِ أنّها أقرب إلى الأدب الشعبي منها إلى الأدب الفنّي وهي إلى التسليةِ والتفكهة أقرب منها إلى التحليل ورسم النماذج الإنسانيّةِ والأبعاد الاجتماعيّةِ، كما هو الشّأنُ في الروايةِ والقصّة والأقصوصة.[6]

وبهذا التعريف نكُونُ قد نظرنا إلى مفهوم الحكاية في الأدب. أمّا مفهُوم الحكايةِ في النّحو فهي إيرادُ اللّفظ أوالتعبيرِ على حسب ما وردَ عن صاحبهِ، سواء كان ذلك عن طريق الكلام أم الكتابةِ أم القراءةِ. فيُحكى على لفظهِ ويكُونُ إعرابُهُ مُحلّا نحو قولكَ: من مُحمّدا ؟ ، من قال لكَ رأيتُ مُحمّدا ؟ [7]

وإضافة إلى هذا كلّهِ فإنّ الحكايةَ أيضا هي قصّة تقريريّة أو لنقُل هي قصّ طُرفة (Anecdote) تتعلّقُ ببعض المُغامرات (Les aventures) . وتجدُرُ الإشارةُ إلى أنّ الحكاية المُؤلّفة من صفحاتٍ ثلاثٍ لا يُمكنُ أن نُطلقَ عليها كلمة رواية بأي حال من الأحوال بينما الروايةُ بكُلّ ما تحملهُ اللّفظة من دقّة هي حكاية طويلة بما فيه الكفاية (Sufisament). والقصّة لا تُستخلصُ من عُمق الحكايةِ أو الروايةِ. وفي

Le récit désigne la narration d'évènement réel ou imaginaire de vive voix ou par écrit le mot n'a pas suivi l'évolution de sens du verbe. Ce dernier ayant déjà récitation comme non d'action récit à développé quelque valeurs spécialisées désignant de manière didactique l'exposé par un personnage de tragédie d'évènement non représentés sur scène , une ouvre littéraire narrative relatant des fais réels ou imaginaires.

Le robert : Dictionnaire historique de la langue française. منشورات Paris 1992 ص 3113

[5] انظر كريستين إيهام و ماري هيلان تورنادر الذان أوردا ما يلي:

Le récit est une relation orale ou écrit de faits vrais ou imaginaires exposé ,narration raconter.Il nous a fait le récit de ses aventures.

Le robert d'aujourd'huit منشورات Moutréal Canada ص 1198

[6] ***المُعجم المُفصّل في اللّغة والأدب***، المُجلّد الأوّل، ص ص 583 – 584.

[7] المرجع نفسهُ ص 584.

المُحادثةِ (La conversation) التي تأتي بعد سماع القصّة يمكنُ القولُ بشأنها أنّها حكاية أو خُرافة (Une fable). ومن الخطأ الشّائع أن نُطلقَ على القصّة لفظة الرواية. ونجدُرُ بالذِكرِ أنّ المُغامرات المحكيّةِ هي من نوع الخارقِ والعجيبِ (Extraordinaire) ومع ذلك يُمكنُ أن تحملَ جانبٍ من الحقيقةِ.[8]

فمـــا الروايـــــــــــــةُ ؟ **الروايةُ** (Le roman) هِي وسيلة مُهمّة لنقلِ التُراث، وقد أدّت قضية النّحل في الأخبار إلى إتّجاهات السياسة المُتضاربة. وللروايةِ صلة متينة بالقصّةِ، فهي القصّة الطويلةُ المكتُوبة نثرا. وقد بُدئ بالكتابةِ بها منذ القرنِ السّادسِ عشر في بريطانيا. أمّا الرواية الحديثة فيرجعُ تاريخُها إلى القرن الثّامن عشر. وتُعرّفُ الرواية بكونِها سرد قصصي نثري طويل يُصوّرُ شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأفعال والأحداث والمشاهدِ لذلكَ يُمكِنُ اعتبارُ **"ألف ليلة وليلة"** من جُملة الروايات العربيّة القديمةِ. وتُعدّ رواية **"زينب"** لـ: "مُحمّد حسين هيكل" أوّل رواية عربيّة. فمـــا التّكـرار ؟ ومـــا أخـصّ خصائـــــــصه ؟

التكرَارُ (La récurrence) يتكوّن من مادّة (ك، ر، ر) والكرّ مصدر كرّ عليه يكرّ كرّا وتكرارا، بمعنى رجع. فالتّكرار بهذا المعنى هو حركة الرّجوع إلى الشيء مرّات عدّة فيتوارد الشّيء المذكور في مواضع عديدة. ويُقال كرّرت عليه الحديث أي ردّدته عليه. والكرّة هي تجديد الخلق بعد الفناء. وهذا عين ما ينطبق على القصّة المكرّرة. فبعد انتهائها تفنى الحكايةّومعها يضمحلّ الزّمان والمكان والشّخصيات. وتتكرّر حكايتها من جديد فلا يكون الفناء بل يكون الخلق. لذلك قيل التّكرار"تجدّد الخلق بعد الفناء". ونقُول شيئا مكركرا: أي شيئا تمّ ترديده أكثر من مرّة، لذلك يمكن أن نقول القصّة القرآنية المكرّرة أو القصّة القرآنية المكركرة. والكركرة أيضا تعني التّرديد، فيمكن أن نطلق على ترديد القصص في الخطاب القرآني كركرة القصص. وقديما أُلحّ على إعرابي بالسّؤال فقال: "لا تكركروني، أي لا تردّدوا عليّ السّؤال".[9]

والتّكرار عموما هو تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرّة لمعانٍ متعدّدة كالتّوكيد والتّهويل وغيرهما. والتكرير أبلغ من التّأكيد و هو من محاسن الفصاحة خلافا لما غلط[10]. والتّكرار له من الأضرب اثنان. فأمّا الضّرب الأوّل فهو تكرار اللّفظ دون المعنى. وهو ما تكرّر فيه اللّفظ دون اختلاف في المعنى. وأمّا

---

[8] انظر " بول إميل ليتري الذي يُعرّفُ الحكاية بقوله:

Le conte c'est un récit rapport et particulièrement récit de quelque anecdote de quelque aventure. Un conte de trois pages ne sappelera jamais un roman, tandis qu'un roman est dans toute la rigueur du terme , un conte suffsament long. La nouvelle ne se distingue pas au fond du conte ou du roman. Dans laconversation quand aprés un récit entendu on dit : c'est un conte ou c'est une fable, en entend que le récit n'est pas vrais, quand dit c'est un roman, on veut dire que les aventures racontée son extraordinaire elles peuvent néanmoins etre vrais.

Dictionnaire de la langue française , tome 2, منشورات Partenaires livre ص ص 1137 – 1138.

[9] ***لسان العرب*** المجلّد الخامس ص ص 3851،3852

[10] جلال الدين السيوطي، ***الإتقان في علوم القران*** الجزء الثالث طبعة مؤسّسة النداء ص 280

الضّرب الثّاني هو تكرار المعنى دون اللّفظ، مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم وذكر الجنّة ونعيمها والنّار وجحيمها. وجدير بنا أن نشير إلى أنّ القصّة المكرّرة في الخطاب القرآني مثل قصّة إبليس تستجيب للضّربين المذكورين آنفا. وهذا ما سنبيّنه في جوهر عملنا.

ولئن كان التكرار الذي سوّر القصّة الإبليسيّة في الخطاب القرآني غاية في المُتعة السمعيّة، فإنّ سِوَاه يُعدُّ ضربا من ضُروب الإملال. لذلك فإنّ للتكرار مواضع يحسُنُ فيها ومواضع يُقبّحُ فيها. وأكثرُ ما يَقعُ التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ وأقلّ. ومناطُ ذلك كلّه أن التكرار أنواع، إذ نجدُ "التكرار التوكيدي" وهو ذكرُ الشّيء مرّتين أو أكثر لتقرير المعنى في النّفسِ. هذا إلى جانب "تكرار الصدارة" وهو تكرارُ العبارة أو الجُملة نظما أو نثرا في أوّل الكلام لإيقاع بلاغي هو التأكيدُ والتركيزُ كما في الحديث الشريف " من كان يُؤمِنُ باللّه واليوم الآخرِ فليُكرم ضيفهُ، ومن كان يُؤمِنُ باللّه واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره، ومن كان يُؤمِنُ باللّه واليوم الآخر فليقُل خيرا أو يصمت ". كما نجدُ التكرار المُتزايد وهو شكل من أشكال الإعادة في الكتابة ولا سيما في القصيدة القصصيّة، يعني الإكثارُ منَ الإضافات وتكرارها. وهو وسيلة بنائيّة مُهمّة في القصيدة القصصيّة.

ونجدُ كذلك التكرار المُغاير، ونعني به تكرارُ كلمة أو عبارة بمعنى مختلف أو عكسي، نحو قولنا: " أسعدتني وأسعدت أهلي ". هذا فضلا عن تكرار النّهاية، وهو تكرار كلمة أو عبارة في آخر الكلام لتقريرها في النّفسِ.[11] وبالإضافة إلى ما ذكرنا نجد أنّ التكرار خاصية ما يتعاود أو يتكرّر على نحو مميّز ونحن بذلك ننعت الآثار البرغسونيّة بكونها ذات طبيعة معاكسة لجوهر الإيقاع التكراري. هذا من ناحية من ناحية أخرى يفيد التكرار البرهان التراجعي إذ يفترض أنّ n = 1 ثمّ يقوم التكرار على خُطَاطَة منطقيّة قوامها أنّ المنطوق في مجمله هو ذاته من القيم الممكنة لواحد من المتغيّرات المضمّنة فيها، ومن ثمّة يمكن أن نطلق اسم حكم متواتر على الحكم الذي يمكنه أن يكون موضوعا لذاته.[12] وضمن هذا الإطار تتشابك المعرفة والحقيقة تشابكا متبادلا حركة موازية أو معاكسة وهذا ما نطلق عليه التكرار التحالفي و التكرار التخالفي.

---

[11] مُحمّد التّونجي، المُعجم المُفصّل في الأدب، الجُزء الأوّل، الطبعة الأولى 1413هـ _ 1993م، دار الكُتُب العلميّة، بيروت، لبنان، ص ص 277 _ 278.

[12] يقول آندري لالاند:

La recurrence caractère de ce qui se répète accés récurent particulièrement retour periodique l'héraclitéisme bergsonier est de nature contraire à h'essence récurrente du rythme. La récurrence... démonstration on établit d'abord un théorème pour on montre ensuite ques'il est vrai n=1. En trouve ...proprété logique consistant en ce qu'un enoncé pris en bloc et lui mème une des valeurs possibles d'une des variables qui y sont contenues. Nous appelons jugementrécurrent celui qui peut etre à lui mème son propre objet.

Vocabulaire technique et critique de la philosophie منشورات Boulvard saint germaint Paris 1996 ص 898

وحرصا منّا على اكتمال المنهج أردنا أن ننظُرَ في الفرق بين مفهوم التكرار ومفاهيم أخرى مُجَاورة من قبيل الإطناب و الاستطّراد والتوارُدِ . فَبحثنا في التعريف فإذا نحن واجدون ما يلي:

الإطناب: هو أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة. نقصد أن يُخبِرَ المتكلّم بكلام طويل لأنّ كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة. كذلك كثرة الكلام توجِب كثرة النّظر. هذا وقد قيل الإطناب هو أن يكون اللّفظ زائدا عن أصل المراد. [13] وإضافة إلى ما تقدّمَ يُعدّ الإطنابُ أيضا زيادة اللّفظ على المعنى لفائدة، وله دواع كثيرة منها: تثبيت المعنى وتوضيحه وتوكيده ودفع الإبهام وقُوّة التأثير وتحريك النفس والعواطف والانفعالات وما إلى ذلك. ونحنُ إذ نتوخّى تقنية الإطناب فإنّنا نسعى إلى بلوغ مأرب من ذلك: الايضاح بعد الإبهام. وهو إعطاء المعنى في صُورتين مُختلفتين، إحداهما مُجملة مُبهمة والأخرى مُفصّلة مُوضّحة. ومن شأن هذا أن يُرسّخ المعنى في الذهن.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الإطناب ضرب من ضُروبِ التكرار ولعلّ الغاية من تكريره هي تقرير المعنى في ذهن السّامع. هَذا وَيكُونُ التكرار المُترتّب عن الإطنابِ لغاية الاستيعاب. نحو قولك: "قرأتُ الكتَابَ فصلا فصلا". وَيكُونُ الإطنابُ أيضًا لغاية التلذّذ بذكر الشّيء المُكرّر أو يكونُ لتأكيد الإنذارِ. ويكُونُ الإطنابُ كَذَلِكَ من أجلِ الاحتراسِ، وهو ذكرُ معنى فيه غُمُوض مع الإتيان بما يُزيلُ هذا الغُمُوض. كما قد يكُون الإطنابُ لغايةِ الاعتراض، كأن نأتي بجُملة في وسط الكلام لا محلّ لها من الإعراب. ويكُونُ الإطنابُ كذلكَ لغايةِ الدّعاء. ناهيكَ أنّ الإطنابَ له وظيفة التذبيل وهو تعقيب جملة بجُملة أخرى مُستقلّة تشتمِلُ على معناها تأكيدا للّفظ الأوّلِ أو لمعناهُ. [14] وغير بعيد عن الإطناب هُناك مصطلح مُجاور لمفهوم التكرار وهو الاستطراد (La digression). ففيم يتميّز الاستطرادُ عن التكرار؟

ليس التكرارُ استطرادا وليس الاستطراد تكرارا، وحسبُنا في ذلك أنّ الاستطرادَ هو الخروجُ شفويا أو كتابة من سيّاق الموضوع للتحدّث عن شيء آخر يُنبّه إليه الموضوع. ومن المفاهيم المُجاورة لمفهوم التكرارِ كذلكَ نذكُرُ مَفهوم "التوارد". فهل التكرار والتوارد لهما نفس الخصائص ؟ للإجابة على مثلِ هذا السّؤال نقول: من وجهة نظرٍ مّا، يشترِكُ مفهوم التكرار مع مفهوم التوارد (Occurence) في بعض النقـاط ذلك أنّ التورد هو حـدث يحصـل جرّاء أســـلوب (Une manière) طارئ وغير متوقّعٍ (Imprévu) فالتوارد يُمكِـنُ أن يكُونَ حـدثا (Evénement) أو ظرفا (Circonstance) أو مُنَاسبة (Occasion) أو التقاء(Rencontre). [15]

---

[13] أبو الحسن الجرجاني ، ***التّعريفات*** ، دار الشّؤون الثقافية للطّباعة والنّشر،العراق- بغداد، ص 23

[14] ***المُعجم المُفصّل في اللّغة والأدب***، ص ص 165 – 166 – 167

[15] انظر " ألان ريي" الذي يُعرّف التوارد بقولهِ:

L'occurence est un évenement qui se produit d'une manière fortuite et imprévue, évenement, circonstance, ocasion, rencontre. Dans la plupart des occurences.

Le grand robert : Dictionnaire de la langue française, tome VI . منشورات Manterial Canada 1992 ص 879.

والتوارُدُ كذلكَ هو تواتر حُضُور كلمة في نصّ مّا. وتوارد كلمتينِ هو تعدادُ المرّات التي ظهرا فيها معا في نصّ مُعيّنٍ.[16] ومَا مِنْ شكّ في أنّ مُلامسة مفهوم التكرار اقتضت منّا أن نُشيرَ إلى أنّ تقنية التكرار لم تكُن حكرا على القصّة فحسب، وإنّما تشملُ كذلك الشعرَ. ومن ثمّة فإنّنا مدعُوُونَ إلى النّظَرِ في التكرَار على مُستوى الشعر والتكرار على مُستوى القصّ.

فالتكرارُ في الشعرِ يكُونُ على مُستوى الوزن، سيّما أنّ الفنّ الشعري كلام موزون. ويشملُ التكرارُ أيضا القافية علما وأنّ الشعرَ فنّ يحتكِمُ إلى قانون عروضي مُمأسسٍ هو الحِفَاظ على القافيةِ نَفسهَا في كلّ الأبيات الشعريّةِ. لذلكَ قيلَ: " الشعرُ كلام موزون مُقصود بهِ الوزن المُرتبط بمعنى وقافية ".[17] ولا يخفى أنّ للشعرِ صلة متينة بالمُوسيقى لما فيهِ من إيقاع وجرسٍ. لذلكَ فإنّ التكرار في الشعرِ يكُونُ أيضا على مُستوى الإيقاع. لهذا يقُولُ "ابن طباطبا العلوي" « الشعر الموزونُ إيقاع يُطربُ الفهمَ لصوابِهِ وما يردُ عليهِ من حُسن تركيبهِ واعتدالِ أجزائهِ ».[18] وضمنَ هذا السيّاق يتلوّنُ التكرار الإيقاعي تحالفا وتخالفا وذلك وِفقَ ما تُمليهِ علينا الزحافات والعلل. لذلكَ يذهبُ "مُحمّد التنُوخي" إلى القول: « الشعرُ إبداع يختلِفُ عن النثرِ في كثيرٍ من الأمورِ أبرزُها اعتماده على العرُوض والقافية والرّوي واختيارهُ الأحرف المُوسيقيّة والألفاظ الإيقاعيّة ».[19]

ناهيكَ أنّ التكرار في النّص الشعري ينهضُ على التبرير. نقصدُ تكرار تبرير العلاقةِ بين الدّال والمدلول في كلّ مرّة على اعتبار أنّ العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة قائمة على التبرير. ويشملُ التكرارُ على مُستوى الشعر الصور المجازيّة. ذلكَ أنّ الشعرَ تحكُمُهُ لغة المجاز لأنّهُ يحتكِمُ إلى الجانب التخييلي. وهنا تكمُنُ غاية التكرارِ في الجانب الإمتاعي. عندئذٍ تتولّدُ المُتعة السمعيّة لدى القارئ.

وإضافة إلى ما تقدّم تجدرُ الإشارة كذلكَ إلى أنّ التكرار في الشعر يشمَلُ العُدُول فَتتكرّرُ شرعيّة البيت الشعري. وبسببٍ من هذا سمّي البيت (Vers) والأصلُ (Versus) بمعنى الالتفاف على النفس .

وبناء على كلّ هذا، تُعدّ تقنية التكرار في الشعرِ صنعة وهذا ما نُعبّرُ عنهُ بالبُعد الخطابي. لهذا على صانع التكرار في النّص الشعري أن يصنعهُ صنعة لطيفة فينحى الشّاعِرُ بذلكَ منحى الإعجاز وإذا بتقنية التكرارِ تنأى بالصنيع الشعري إعجازا. ولتأكيد ذلك نستشهدُ بهذا الرأي. " واجب على صانع الشّعرِ أن يصنعهُ صنعة لطيفة مقبولة حسنة مُستدعيَة لعشقِ المُتأمّلِ في محاسِنِهِ والمُتفرّسِ في بدائعهِ، فيكسوهُ قُبحا ويُبرزهُ مسخا بل يُسوّي أعضاءهُ وزنا ويُعدّل أجزاءهُ تأليفا ويُحسنُ صورتهُ إصابة ورونقهُ اختصارا

---

[16] يذهب " سارج كاكالي" إلى أنّ التوارُدَ هو :

C'est un fréconce d'aparition d'un mot dans un texte la co-occurence de deux mots étant le nombre deux fois qu'il apparaisse ensemble dans un texte.

Dictionnaire de l'information منشورات Armand colin Paris 2004 ص 172.

[17] انظر ***المُعجم المُفصّل في الأدب***، الجزء الثّاني، ص 550.

[18] ***عيّار الشعر***، تحقيق مُحمّد زغلول سلّام، منشأة المعارف بالأسكندريّة، ص 53.

[19] ***المُعجم المُفصّل في الأدب***، الجُزء الثّاني، ص 551.

ويُكرمُ عنصرهُ صدقا ويُهذّبُ القولَ رِقّة ويُحصّنُهُ جزالة ويُدنيهِ سلاسة وينأى به إعجازا ويعلمُ أنّهُ نتيجة عقلهِ وصُورة علمهِ والحاكِمُ عليهِ أوّلهُ ".[20] ونُشيرُ أيضا إلى أنّ التكرار الشعري يشمل السّجع أو الترصيع. لهذا يقُولُ ' قُدامة بن جعفر' : "كُلّما كان الشعرُ أكثرَ اشتمالا على التسجيع والتقفية كان أدخلَ لهُ في باب الشّعرِ وأخرجَ لهُ عن مذهبِ النثرِ ".[21]

ونحنُ إذ نُغيّرُ فوتوغرافية الرّؤية من الخاصّ إلى العام، فإنّنا نجدُ ضربا آخرَ من التكرار يختصّ بهِ الشّعر الأندلُسي وخاصة شعر المُوشّحات. فالتكرار فيهِ يكُونُ على مُستوى القُفل والغصن. فقد دأب أربابُ هذا الشّعر على تكرار القُفلُ في نهايةِ الأغصان. وبذكرنا لخصائص التكرار في النّظم نكُون قد أنرنا السّبيل شعرا. وبذلكَ علينا أن نتحسّس الطريق لإنارة السّبيل قصّا وذلكَ بالبحثِ في خصائص التكرار القصصي، آملين بذلكَ أن ننتهي إلى نتيجة قوامُها تَمييز التكرار القصصي عن التكرار الشعري.

ونُشيرُ كذلكَ إلى أنّ التكرار القصصي يشمَلُ كذلك حبك الحادثة النموذجيّة. فكُلّ قصّة تتكرّرُ فيها تقنية الحبكة القصصيّة. ومن ثمّة أضحى منطقُ الحبكة قاعدة تكراريّة في جُلّ القصص. هذا فضلا عن تكرار العُقدة القصصيّة . فكثيرا ما تتوفّرُ القصّة على جملة من القضايا الإنسانيّة وتُحاولُ مُعالجتُها بأن تبحث لها عن الحلّ. ومن ثمّة يتكرّرُ فعلُ القصّ الروائي بكلّ ألوانهِ النثريّةِ.[22] كذلك من علامات التكرار في القصّةِ نذكُرُ تكرار الأخبارِ والأحداث والنوادرِ والحكايا. وتلك سمة أخرى تنفردُ بها القصّة دون الشّعرِ. لذلكَ قيلَ : " القصّة لونٌ من ألوانِ الأدب القصصي الذي يروي الأخبار على أنواعها ويعرضُ الأحداث وينقل المآثر، ويسُوقُ الحكايا والنوادرِ وينسج الأساطير والخُرافات طلبا للمُتعةِ والفائدةِ.[23]

ونذكُرُ أيضا أنّ التكرارَ القصصي يكُونُ أيضا على مُستَوى الاستطرادات (Les digressions) حيثُ نلحظ سرد لقصّة طويلة يعترضها سرد آخر مُكرّر وبعد انتهائها تُتَابِعُ القصّةُ الطويلة سردها، وتعتمِدُ القصّة الثّانية والثّالثة على نوع من الاستطراد. من ذلك قصّة **"كليلة ودمنة"** وقصّة **"شهرزاد"**.[24]

وبناء على ما تقدّمَ، نستخلصُ أنّ التكرارَ على مُستوى القصّة هو تكرارُ الخطّيّة التواصليّة المُحيلة على المرجعِ. فالتكرارُ من هذا المُنطلق هو تكرار نسقي يشملُ الفواعل والوظائف الحكائيّة. وهو أيضا تكرار سردي يشملُ التواتر والتبئير، فَنجدُ في القصّة تبئيرات ثلاث من ذلك التبئير الصفري وَالتبئير الدّاخلي وَالتبئير الخارجي. ففي مُستوى التبئير الصفري أو اللّاتبئير يتكرّرُ ذكرُ باطن الأحداث وظاهرها. وفي التبئير الدّاخلي يتكرّرُ ذكرُ الأفعال من خلال وعي القاصّ الفاعل، ومن ثمّة تتكرّرُ النّظرة الذّاتية.

---

[20] ***ابن طباطبا العلوي***، عيّار الشعر، ص 161 .
[21] ***نقد الشّعر***، تحقيق وتعليق مُحمّد عبد المُنعم خفّاجي، دار الكُتُب العلميّة، بيروت – لُبنان، ص 90.
[22] ***المُعجم المُفصّل في اللّغة والأدب***، الجُزء الثّاني، ص 979 .
[23] المرجع نفسهُ، والصّفحة نفسها .
[24] ***المُعجم المُفصّل في الأدب***، الجُزء الثّاني، ص 708 .

وفي التبئير الخارجي يتكرّرُ الوصف العياني. ومناطُ ذلك كلّه أنّ التكرار القصصي تقنية مُدبّرة تدبيرا قبليا على عكسِ التكرار في الشّعر بما هو تقنية تواردية.

وَلا يذهبنّ بنا الظنّ إلى أنّ مُقوّمات التكرار في القصّة تتبرّأ من أسُسِ التكرار في الشّعرِ بصفة كُلّية لأنّنَا نجدُ أيضا شرعيّة تُؤسّس قاسما مُشتركا بين التكرار في الشّعرِ والتكرار في القصّةِ. وحُجّتُنا في ذلكَ أنّ التكرار في الشّعرِ يشملُ مُستويات ثلاثة هي من الأهمّية بمكان وهي المُتمثّلة في اللّفظ والجُملة والسيّاق. هذه المُستويات لم يكُن التكرارُ في القصّة في حِلّ منها. وهكذا يسُودُ مبدأ الغور (La profondeur) على مبدأ السّطح (La surface) ويطغى منطق الدّاخلانية (L'intériorité) على منطق الخارجانية (L'extérioruté). [25] ومن ثمّة يتّضحُ لنا التكرار التّحالفي بين الشعر والقصّة. نقصدُ أنّهُ ليس بوسعِ تقنية التكرار في القصّة أن تتجرّأ على طرد تقنية التكرار في الشّعرِ ومنها تتبرّأ.

وبما أنّ منهاجُ عملنا هو السّيرُ في دربِ القصّ والسّرديات، لا القصيد والشّعريات، كما نستشفّ ذلك من عِنوان البحث وهو: " تكرار القصص في القرآن: قصّة إبليس أنموذجا". فلا محيص من أن نُلاحِظَ أنّ الأسّ في عنوان بحثنا، ثلاثة مُصطلحات رئيسيّة وهي : مُصطلح قصّة و مفهوم التكرارُ فلفظة إبليس. وبما أنّنا أشرنا إلى المفهومينِ الأولين وهُما القصّة والتكرار، فإنّهُ حَرِيّ بنا أن نُعرّف "إبليس" تجسيدا لرغبتنا في الحفاظ على منهجيّة عملنا. فمن إبليس ؟ والمقصود بالتّسمية ؟

إبليس هو اسم الشيطان. والرّاجحُ أنّ هذه التسمية تحريف للكلمة اليُونانيّة [ديابلس] وهي كلمة مُشتقّة من الأصل [بلس] لأنّ الشيطان أبلس من رحمة اللّه. وقد سُمّي أيضا " الشّيطان ، عدوّ اللّه ..." وتجدر الإشارة إلى أنّ "إبليس" ليس اسم علم. ويردُ في القُرآن غالبا عند الكلام عن بدء الخلق، مُتمرّدا على خالقه، مغويا "لآدم" و "حوّاء" في الجنّةِ. [26] فبعد أن خلق اللّهُ "آدمَ" من طين ونفخ فيهِ من روحهِ، أمرَ الملائكة بالسّجُودِ لهُ فما كان منهم إلّا أن سجدُوا عدا إبليس استكبر وهو المخلُوق من نارٍ. وقد تسبّبَ لهُ عدم سُجودهِ لآدم في الطّرد من حضرة الملأ ومن ثمّة كان إبليس ملعونا.

ونذكّرُ في هذا الإطار، أنّ قصّة إبليس تستنِدُ إلى الرّوايات النصرانية. إذّاك يُرْوى أنّ "ميكائيل" أمرَ الملائكَةَ بأن يعبُدوا "آدم" فاِعترضَ إبليس بتعلّةِ أنّ آدم أقلّ منهم شأنا. وبسببٍ من ذلكَ كان نُزُولُ إبليس إلى الأرض. وتجدُرُ الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم قد عدّ إبليس من الجنّ كما عدّهُ من الملائكةِ أيضا. ونشيرُ هُنا إلى أنّ الجِنّ كانُوا يسكُنونَ الأرض فأفسدُوا فيها وسفكُوا الدّماء، فبعثَ إليهم اللّهُ إبليس الذي كان يُعرَفُ آنئذٍ بـ [عزازيل] أو [الحارث] في جُندٍ من الملائكَةِ فقاتلهم. [27] هكذا إذن تبدو القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطاب القُرآني قصّة مُشوّقة من كلّ النواحي ومن جميع المناحي. ففيمَ تتمثّلُ تقنياتها؟ وما أخصّ خصائصها الفنيّة؟

---

[25] ***مسالك التّأويل السيميائي***، ص 102 .

[26] انظرمثلا ***سورة البقرة***، الآية 34، و***سورة الأعراف***، الآيات 11، 12، 13،14، 15، وما سواهما

[27] ***دائرة المعارف الإسلامِيّة***، الجُزء الأوّل، الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م، مركز الشّارقة للإبداع الفكري، ص ص 103 – 104 – 105 .

تحديد المفاهيم

الخبرُ (La nouvelle) هو كلام يحتملُ الصدقَ والكذب لذاته أو يتحقّقُ مدلُولهُ في الخارج من دون النّطقِ بهِ. وَأمّا الخبرُ في الروايةِ يُطلقُ على الرواية التّاريخيّة أو الرواية التي تتعلّقُ بالتراجمِ. ومهما يكُن من أمرِ فالخبرُ نوعانِ: مرسل ومُسند. فالخبرُ المُرسلُ هو الذي يُرسلُهُ الرّاوي من غير إسناد إلى راو آخرَ. في حينِ أنّ الخبرَ المُسند هو الذي أسندهُ الرّاوي إلى راو آخرَ عن طريقِ الإسنادِ.[28] وَالخبرُ أيضا هو الحدثُ الذي يُنقَلُ لأوّلِ مرّةٍ إلى شخص بعينهِ أو إلى عامّة الناس. والخبر كذلِكَ موجة غير مُتماسكة (Sans consistance) لا تظهرُ مشيّدة. لذلك ينبغي أن يكُونَ الخبرُ مُؤَيّدا (Confermé).[29] هذا ويذهَبُ "جُوزاف هانس" في تعريفهِ للخبر إلى القَولِ : " عندَما نَكتُبُ " أنا من دُونِ خبرٍ لكَ. فإنّ ذلكَ يعني أنّي استَوفَيتُ البَوحَ بكُلّ الأخبار." لكن عندَما نَقُول " لا أحمِلُ أيّ خبر لكَ " فإنّنا نَقصِدُ بذلِكَ لا علمَ لي بأيّ خبرٍ.[30] فما الخِطَابُ؟

الخطاب (Le discours) هو عملية فكريّة تجري من خلال سلسلة عمليّات أوّليّة جزئيّة ومتتابعة وهو تعبير عن الفكر وتطوير له من خلال سلسلة من الكلمات أو لنقل هو عبارات متسلسلة [31].

والخطاب كذلك هو تحوّل المحادثة أو المحاورة إلى فعل خِطَابي(Devloppement aratoire) أمام الملأ . ونشير إلى أنّ الخطاب يشتمل على ستّة أقسام وهي المتمثّلة في: الاستهلال (L'exorde) والاقتراح (La proposition) والتّسريد (La narration) و البرهان (La preuve) والتّفنيـــــــد أو الدّحض (La réfutation) وأخيرا خاتمة الكلام (La péroraison). وتجدر الإشارة إلى أنّ الخطاب المباشر والخطاب غير المباشر والخطاب المنقول كلّها خطابات لا تكون إلّا بعد فعل الكلام [32].

---

[28] ***المُعجم المُفصّل في الأدب***، ص ص 393 – 394.

[29] يُعرّفُ "ألان ريي" بأنّ الخبر:

C'est l'évenement porté pour la première fois à la connaissance de la personne interssée ou du puplic. La nouvelle encore vague sans consistance qui ne parait pas fondée qui demande à etre confermée.

Le grand robert ص 823.

[30] انظر التّعريف باللسان الفرنسي وهو.

On écrit « Je suis sans nouvelle de lui (puisqu'on dit : Recevoir des nouvelles ». Mais je n'ai aucune nouvelle de lui (Aucun).

Neveau dictionnaire des difficultés du français moderne منشُورات Duculot, Paris Gembloux 1987 ص 651 .

[31] انظر أندري لالاند الذي يُعرّف الخطاب قائلا:

Le discours (the speech) opération intellectuelle qui s'effecture par une suite d'opérations élémentaires partielles et successives. Spéciallement expression et devloppement de la pense par une suite de mot ou de proposition qui s'enchainement.

Vocabulaire de la philosophie منشورات Boulvard saint Germain Paris 1996 ص 237 - 238

[32] لقد عرّف كلّ من أ.ريي و ري دي بوف الخطاب على النّحو الآتي:

مقدّمة الفصل الأوّل

إنّ السّردَ القصصي في الخطاب القرآني نسيج قدّت موادّه من إنشائية خطابيّة لها تقنياتها العلميّة. والسّرد القصصي الذي نحن إليه بسبيل هو سرد القصّة القرآنيّة المكرّرة مثل قصّة إبليس وما سواها. فلا يخفى أنّ تعاود القصّة الواحدة بتقنيات أسلوبية ثابتة تارة ومتحوّلة تارة أخرى سمة الخطاب القرآني دون سائر الخطابات الأخرى.

إذّاك لا نجد في المدوّنة السّرديّة العربيّة قديمة كانت أم حديثة نصّا يتضمّن قصصا متعاودة إنّما غاية ما نجده نصوص تتضمّن قصصا من غير طينة القصّة الأصليّة . لذلك نعتبر فنّية التّكرار القصصي في الخطاب القرآني تأصيلا تقنيّا به يتشكّل السّرد القصصي. وسبيلنا إلى فهم بناء السّرد القصصي في خطاب القصّة القرآنية المتعاودة، هو نهج الإنشائيين. فالقصّة وفق المنهج الإنشائي أحداث وشخصيات تتحرّك في مكان(Espace). لذلك نروم البحث في الأسلوب التّقني الذي أنشأ هذه القصّة (القصّة المتعاودة)، ونعني بالأسلوب التّقني مستويين أساسيين وهما: مستوى الخبر ومستوى الخطاب.

فالمتطلّع إلى مادّة (خ، ب، ر) يطالعه مصطلح "خبر" بما هو الإخبار بما وقع وحصل، أي إنّ ما حصل يسبق ما وقع الإخبار به. وهذا عين ما ينطبق على الأحداث القصصية في القصّة القرآنية المكرّرة، وتبعا لذلك سنعرض في الخبر منطق الأعمال (أي الأحداث) و العلاقات بين الشخصيات و أيضا خصوصية المكان. وإذا ما عدنا إلى مادّة (خ، ط، ب) نجد أنّ الخطاب هو مراجعة الكلام، والمراجعة هنا تكون بتقنيات سرديّة متّفق عليها علميّا. منها نمط الخطاب وخصائص القول ووظيفة السّرد، هذا فضلا عن علاقة زمن الحكاية بزمن الخطاب. ومن ثمّة ما يهمّنا هو الطّريقة التي يتمّ بواسطتها تنظيم القصّة القرآنيّة التّكراريّة ونقلها إلى القارئ. ومناط القول في المسألة أن الخطاب القرآني وما يخبرنا به من أحداث قصصيّة متعاودة، يحمل في طيّاته خصائص فنّية، وهو الأمر الذي دفعنا إلى البحث في تقنيات التّكرار القصصي لمعرفة سحر الحكاية، حكاية القصّة المكررّة.

لذا سيكون محور عملنا في هذا الفصل هو رصد تقنيّات القصّة القرآنيّة المكرّرة من خلال مستوى الخبر ومستوى الخطاب. ولا يخفى أنّ وجود مصطلح الخبر إلى جانب مصطلح الخطاب أمر دعاه داع، هو أنّ القصّة هي نظام أو تنضيد لعناصر الخبر على نحو مخصوص.

Le discours c’est une conversation ;dialogue :devloppementaratoire fais devant une rénion de personne. Le discours expression verbale de la pensée. Le discours à six parties qui sont : (exorde – proposition – narration – preuve – réfutation – péroraison). Le discours rapporté – direct – indirect cité apré un verbe de parole.

Le petit Robert ص ص 549- 550

I - تقنِيَات القصّة القُرآنِيَة المُكرّرَة

1 - عَلى مُستَوَى الخَبَر

إنّ المتأمّلَ في قصّة إبليس المتكرّرة في الخطاب القرآني من جهة الشّخصيات، يلاحظ أنّ إبليس الذي عصى ربّه وتمرّد على أوامره ولم يأبه لنواهيه، هو الشّخصية المحوريّة التي تدور عليها الأحداث. ذلك أنّ الخطاب الذي تكوّنت منه كلّ الآيات القرآنية، يروي عدوانية إبليس للإنسان واحتقاره له فقد ورد في قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾[33]

﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾[34].

وقد اتّخذت شخصيّة إبليس أشكالا متنوّعة، فهي تارة مُستَخبِرَة سَائِلَة مُحَاوِرَة،إذ نجد في قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[35].

وتارة أخرى نجدها مُحَاوَرة مُخبَرَة، كما في قوله تعالى :

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[36].

فإبليس الشّخصيّة المحوريّة في القصّة القرآنيّة المكرّرة، هو الذي يدفع الأحداث في اتّجاه حركي بحكم استحواذه على نصّ القول، فكلّ الأقوال لا تكون إلّا منه أو إليه أو تتحدّث بشأنه.وهو بذلك نواة الحركة ومحور القصّ في كلّ آيات الخطاب القرآني. لذلك يصحّ أن نقول بشأنه هو قطب رحى القصّ في القصّة الإبليسية المكرّرة في القرآن. وأمّا الشّخصيات الثّانويّة التي نجدها في القصّة الإبليسيّة المتواترة فهي: مشاركة في الأحداث القصصية أو غير مشاركة فيها. فمن الشخصيات المشاركة في أحداث القصّة، نجد الملائكة إلى جانب آدم وزوجه، وأمّا الشّخصيات غير المشاركة في الأعمال القصصية فنجد القاريء وهو الذي يطلق عليه "جيرار جينات" "المسرود له". وضمن هذا الإطار لا تتعقّد لعبة السّرد، فاللّغة القصصية ناتجة عن كلام الله تعالى، لذلك فالمسرود له لا يمكن أن يكون إلاّ قارئا حقيقيّا.[37]

---

[33] ***سورة الأنعام*** الآية 142.
[34] ***سورة الحجر*** الآية33
[35] ***سورة الحجر***، الآية 39

[36] ***سورة ص*** الآيتان 70 – 81
[37] يختلف القارئ الحقيقي عن القارئ الضّمني. فلئن كان الخطاب القرآني موجّها إلى الإنسان فإنّ ذلك من شأنه أن يؤكّد أنّ المسرود له لا يكون إلاّ القارئ الحقيقي. انظر مثلا كتاب" محمّد رجب البارديّ***"سحر الحكاية***" الطبعة الأولى 2004 مطبعة التّسفير الفنّي صفاقس ص 61

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الشّخصيات الثّانوية لكلّ منها خصائصها. فالملائكة لا نجد لهم أيّ اثر للتّمرّد على خالقهم. فشخصيات الملائكة تبعا لذلك تسعى إلى إرضاء ربّها. يَقُولُ تَعَالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [38].

فعبارة "أُسجدوا ...فسجدوا" التي تكرّرت في "سورة البقرة وسورة الأعراف وسورة الكهف" وما سواهم من السّور تؤكّد تطبيق أوامر الخالق،لا مخالفتها ونكرانها. وأمّا بالنّسبة لشخصيتي آدم وزوجه، فقد خصّهما المولى بالجنّة . بيد أنّ الشّيطان أغراهما. ففقدا نعمة هذا الـمكان. يقــول تعالى:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [39].

فلا ريب أنّ آدم ومعه حوّاء تردّدا بين الاستجابة لإغراءات الشّيطان ورفضها وبين الخضوع لإغراءاته أو اللاّخضوع. إنّه صراع داخلي يترنّح فيه آدم وزوجه بين طاعة الله وطاعة إبليس، فما كان منه إلاّ أن استجاب لدعوة الشّيطان سالكا طريق المعصية من دون قصد. ومن ثمّة فارق آدم ومعه حوّاء العالم المتعالي (transedant) نحو العالم الدّنيوي. ولعلّ هذا الانتقال من حالة إلى حالة، كان بتَعلّة الاستهتار بالأمانة وعدم الإخلاص والوفاء بالوعد. لذلك يقول التّهامي نقرة : "القصّة لا تسجّل واقعا، ولكنّها تستنصر للقيم الإنسانية الجديرة بالخلود، إنها تنتصر للإيمان والصّبر والعفاف والأمانة والإخلاص".[40]

وبعد أن نظرنا في خصوصيات الشّخصيات، يمكن أن ندرس العلاقات بينها، وهو ما نوضّحه في الجدول الآتي :

---

[38] سورة البقرة، الآية 33

[39] ***سورة الأعراف***، الآيات 18 – 19 – 20 – 21 – 22 - 23

[40] ***سيكولوجية القصّة في القرآن***، الشركة التونسيّة للتوزيع1971 ص 510

الجدول الأوّل: الفاعل الرئيسي في علاقته بالفواعل الثانويّة.

منزلـــــــة الفاعل الرئيسي و الفواعل الثّانوية في قصّة إبليس المكرّرة	العلاقة بين الفواعل	تبرير العلاقة	الشّاهد القولي
"إبـــــــــليس " + "الملائكة" فاعـــــل مركزي+ فاعـــــل معارض لأفعال الشّيطان	علاقة تضاد وتنافر	إبليس لم يسجد لآدم، واعتبر ذلك من باب المفارقات العجيبة، وفي ذلك استعلاء وكبرياء. أمّا الملائكة فقد سجدوا لآدم وطبّقوا أمر الله. ذلك أنّ الله تعالى أمرهم بأن يسجدوا لآدم.	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ 41
إبليس + آدم : فاعل مركزي+فاعل مكمّل للمركزي في وضع البداية	علاقة استنكار	الشّيطان لم يسجد لآدم المخلوق الذي فضّله الخالق، لأنه يرى في ذلك قلب للقيم. فالشّيطان يعتبر نفسه أفضل من آدم لأنه خُلق من نار في حين أنّ آدم خُلق من طين، لذلك استنكر كيف يسجد لبشر **"خرج من بين الصّلب والتّرائب"**	﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ 42
إبليس + آدم : في سياق التّحوّل	علاقة إغراء ومكيدة	وسوسة الشّيطان لآدم وحوّاء أغرتهما بأن يأكلا من الشّجرة. فحيلة إبليس ومكيدته انطلت على آدم وزوجه، ذلك أنهما انساقا وراء إغراءات إبليس وظنّا أنّ هذه الشّجرة هي شجرة الخلد .	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ 43
إبليس+آدم في وضع الختام	علاقة عدوانية	الشّيطان هو عدو البشرية جمعاء. فقد غرّ آدم وأغواه، حتّى أكل وزوجه من الشّجرة معتقدَين أنها السبيل إلى الخلود إلى أن كلّمهما الله" إن الشّيطان لكما عدو مبين"	﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ 44

41 ***سورة البقرة،*** الآية 33
42 ***سورة الأعراف*** الآية 11
43 ***سورة الأعراف*** الآية 19
44 ***سورة الأعراف*** الآية 21

إبليس+ الإنسان المؤمن: الفاعل المركزي+ فاعـــــل معارض لأفعال إبليس	علاقة نفور وتباعد	الشّيطان بمعيّة حزبه يدعو الإنسان إلى ارتكاب المعاصي. ويزيّن له ذلك بطرائق شتّى. بيد أنّ ذلك لا يُجدي نفعا مع الإنسان المؤمن الذي لا يقتنع إلّا بأوامر الله ونواهيه. لذلك يستعيض من الشّيطان ويبتعد عنه قدر ما استطاع.	﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ 45
إبليس+الإنسان الذي ينتمي إلى حزبه: فاعـــــل محوري+ فاعل مساند	علاقة تفاهم وانصهار	الشّيطان لا يحرّض إلاّ على المحرّمات وعصيان الله. وهو لا ينتصر في ذلك إلا للفئة الضّالّة التي تتّبع ملذّات الدّنيا(المحرّمات) ولا تفكّر في عقاب الآخرة. ومن ثمّة فهذه الفئة تُعدّ من حزب الشّيطان لأنّها تساند أفعاله وتسلك طريقه.	﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ 46

الجدول الثّاني: علاقات الفواعل الثّانوية في ما بينها:

الفاعل	العلاقة بين الفاعل ومثيله	تبرير العلاقة	الشّاهد القرآني
آدم وحوّاء	علاقة حبّ ومودّة	آدم وزوجه تربطهما علاقة مودّة تُوّجت بالزّواج. سكنا معا واقترفا الذّنب معا. وهما بذلك يتشاركان في كلّ الأمور.	﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ 47
آدم والملائكة	علاقة تقدير	آدم خصّه الله بأفضل المراتب. إذّاك أمر الملائكة بالسّجود له تقديرا لمرتبته واعترافا بعزّته. وقد قدّرت الملائكة هذه الخصوية وسجدت لآدم اعترافا بتكريمه وتقديرا له.	﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ 48

[45] ***سورة الزخرف*** الآية 62
[46] ***سورة المجادلة*** الآية 19
[47] سورة طه الآيتان 114 - 118
[48] ***سورة طه*** الآية 113

المؤمنون والملائكة	علاقة إيمان وطاعة لأمر الله	الملائكة سجدوا لآدم لأنّ الله أمرهم بذلك. فتطبيق أمر الله ضرب من ضروب الإيمان بأقواله وطاعته والولاء له. وهذا عين ما يُقدم عليه المؤمنون، فهم بذلك ينحون منحى الملائكة في إخلاصهم لربّ العزّة	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ [49] ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [50]
المؤمنون والكافرون	علاقة تباعد وتنافر	المؤمنون على الله يتوكّلون إيمانا منهم أنه هو نعم المولى ونعم النّصير في حين أنّ الكافرين لا يأبهون لمثل هذا. وقد وعدهم الله بالسّعير. وشتّان ما بين أصحاب النّعيم وأصحاب الجحيم.	﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴿١٢٣﴾ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [51] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [52]

الجدول الثّالث :علاقة الفاعل الرّئيسي والفواعل الثّانوية بالخالق:

الفاعل	علاقته بالخالق	تبرير العلاقة	الشّاهد القرآني
إبليس	علاقة تمرّد وعصيان مقصودة	الشّيطان عصى الله الذي أمره بالسّجود لآدم. و في عدم الخضوع لأوامر الله تمرّد، ومن تمرّد على خالقه وعصى أمره مآله لا يُحمد عقباه.	﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [53]
الملائكة	علاقة طاعة وولاء	الطّاعة والولاء من أخصّ خصائص الإيمان، والسّور القرآنية الإبليسية الواردة في القرآن، كلّها تسرد لنا طاعة الملائكة لأمر الخالق. إذ لا نعثر أبدا على سورة	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

[49] ***سورة طه*** الآية 113
[50] ***سورة النّحل*** الآيتان 99 - 100
[51] ***سورة طه*** الآيات 120 – 121 - 122
[52] ***سورة فاطر*** الآية 6
[53] ***سورة ص*** الآيتان 73 - 83

		تخالف هذا المنطق، فكلّ السّور القرآنية الإبليسية تؤكّد طاعة الملائكة لخالقها.	﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ 54
آدم وحوّاء قبل وسوسة الشّيطان	علاقة إيمان وإخلاص	آدم وزوجه قبل أن يغراهما الشّيطان آمنا بالله وأخلصا له الدّين حنيفة والدّليل على ذلك أنّ الله كرّمهما بمكان لا يجوعان فيه ولا يعطشان وهو الجنّة بما هي فضاء أتيح لمن آمن بالله وأطاعه.	﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ 55
آدم وحوّاء : بعد وسوسة الشّيطان	علاقة عصيان خطأ لاعمدا: (عملية العصيان كانت بفعل غرور الشّيطان)	لم يف آدم وزوجه بوعدهما للخالق الذي أمرهما ألاّ يأكلا من الشّجرة. فبعد إغراءات الشّيطان ووسوسته لهما، خالفا وعد الله واتّبعا خطوات الشّيطان. فهبطا من الجنّة إلى الدّنيا.	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ 56

وبناء على ما تقدّم نلمس في هذه العلاقات المتنوّعة ضربا من ضروب التكافؤ (Equivalence) فالصّورة العاتية التي يراها إبليس مجسّدة في شخصه (عدم السّجود لآدم ، يعتبر نفسه خيرا منه ، اتّباع طريقة الوعد والوعيد) كما في قولهِ :

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ 57

تتفاعل معها في الآن نفسه صورة أخرى مضادّة تأتي لتعدّلها حينا، وتكبح جماحها حينا آخر. ولعلّ الرّسم التّالي يوضّح ذلك:

إبليس : = التّمرّد الصّلابة العنف = معجم الشّرّ.

≠ ≠ ≠ ≠ ≠

الملائكة : = الطّاعة السّماحة اللّين = معجم البراءة.

وخليق بنا أن نذكّر بعد هذا أنّ الفضاء الذي احتضن الأحداث في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، هو فضاء لا يتنوّع كثيرا. فهو إمّا فضاء ديني وإمّا فضاء دنيوي. فما خصوصية المكان في قصّة إبليس المتواترة في القرآن، علما أنّ المكان من أهمّ الأركان السّرديّة القصصية؟

54 ***سورة ص*** الآيات 70 – 71 - 72
55 ***سورة طه*** الآيتان 115 - 116
56 ***سورة طه*** الآيتان 117 - 118
57 ***سورة ص*** الآيتان 81-82

إنّ الأمـكنة فـــي قصّــة إبـليس المـكرّرة فـــي الخـطاب القرآنــي لــها مـن الأصـناف آيــتان: فأمّا الصنف الأوّل فهو الأمكنة المتعالية و نعني بها الجنّة و جهنّم. وأمّا الصنف الثاني فنعني به الفضاء الدنيوي أي الأرض. فالقصّة الإبليسيّة التي تواترت في سور عديدة إمّا لفظا أو معنى أو لفظا ومعنى، لا تخرج عن أماكن ثلاثة إذ الأحداث بتنوّعها وتناميها لا تحيد عن مسار ثلاثي(Triple processus) وهو الجنّة فالنّار فالأرض. ولعلّ المتأمّل في هذا المسار المكاني(Processus spatiale) يلاحظ ترتيبا تنازليا أي من السّماء إلى الأرض. فلماذا لم يكن هناك ترتيبا تصاعديا ؟

للإجابة عن هذا السّؤال و تفسير هذا المسار التّنازلي يمكن القول: إنّ أصل القصّة ، والمقصود بالقصّة هنا هو قصّة إبليس وما تحتويه من فواعل أو شخصيات، نشأت في العالم العلوي حيث الفضاء الدّيني أو المكان الغيبي، وهو الجنّة بما هي فضاء احتضن الملائكة وآدم وزوجه وإبليس. لكن كلّما تمرّد أحد الفواعل على أمر خالقه كان مآله الخروج منها والنّزول إلى الأرض ونوضّح ذلك بالمثال الآتي:

ـ أبى إبليس أن يسجد لآدم في الجنّة، فأنزله الله إلى الأرض. يقول تعالى:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [58].

فعبارة**"اهبط منها"** فيها حركة نزول من الجنّة إلى الأرض، أي من الأعلى إلى الأسفل، أي من العزّة إلى الذّل. ومن ثمّة نلاحظ فعل نزول لا فعل إصعاد على مستوى الحركة وعلى مستوى المرتبـــــة. ثمّ أمر الله آدم وزوجه ألاّ يقربا الشّجرة ولا يغترّا بإغراءات الشّيطان حتّى لا يكونا من الظّالمين. لكنّهما انقادا وراء وسوسة الشّيطان وأكلا من الشّجرة، فخالفا بذلك أمر الله، فكانت عاقبتهما مفارقة الجنّة والنّزول إلى الأرض. قال تعالى:

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [59].

نفهم من هذا الشّاهد القرآني أنّ تطبيق نواهي الخالق وتنفيذ أوامره جزاؤه الجنّة وهذا ما ظفر به آدم وزوجه قبل أن يتتبّعا خطوات الشّيطان. ولمّا خالفا أمر الله، كان مآلهما النّزول من الجنّة والاستقرار في الأرض إلى حين. وتِبَعًا لِذَلِكَ نُلَاحِظُ مسارا حركيا تنازليا: من الجنّة إلى الأرض، من الغيب اللاّمرئي (Invisible) إلى الوجود المرئي (Visible) أي نزول من عالم الفضائل إلى عالم الرّذائل. لكن

[58] ***سورة الأعراف***، الآيتان 11 - 12
[59] ***سورة الأعراف***، الآيات 21-22-23

من وجهة نظر مّا نلاحظ أنّ هذا المسار المكاني الثّلاثي(الجنّة، جهنّم، الأرض) الذي سوّر أحداث القصّة الإبليسية في الخطاب القرآني، هو مسار دائري إذ الأحداث تتّخذ فيه مسارا تنازليّا كما بيّنّا آنفا، ثمّ سرعان ما تعود بشكل مضاد. فيصبح لها مسار تصاعدي.

فبعدما أُمتُحنت فواعل قصّة إبليس المكرّرة في العالم الغيبي(الجنّة)، خصّها الخالق بامتحان ثان في الأرض. فمن اتّبع هداية الله فمآله الجنّة ومن عارض ذكره فمصيره جهنّم. ومن ثمّة نلاحظ أنّ هنالك مسارا تصاعديا نشأ على أنقاض المسار الأوّل وهو المسار التّنازلي، فنقطة الانطلاق هي الأرض وهنا يتفرّع مسلكان: طريق يُؤدّي إلى جهنّم، وطريق يُؤدّي إلى الجنّة. وآيتنا في هذا قوله تعالى:

﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [60].

فالواضح أنّ المكان بما هو فضاء تتحرّك داخله الشّخصية هو" عامل تأكيد الوجود وتحقيقه وتثبيته". [61] ونعني بذلك أنّ نحت الكينونة لا تكون إلاّ بفهم الفضاء الذي يكتنف الذّات. ففهم الفضاء تذويتيا هو بحث عن أفضلية وجوديّة. ولتوضيح ذلك، قمنا بعملية جرد فيها نبرز المكان وأهم خصوصياته في القصّة الإبليسية المكرّرة وهذا ما نوضّحه في الجدول ا لآتي:

الجدول الرّابع: المكان وأهمّ خصائصه.

المكان	أهم الخصوصيات
الجنّة	فضاء غيبي، لا يمكن أن نراها ولكنّنا نسمع عنها. فهي فضاء فيه الكلأ والملأ. ولا يخفى أنّ الجنّة عدّت للمتّقين. وبناء على هذه المؤشّرات نخلص إلى أنّ العدل النّفسي (تقوى وإيمان وإخلاص للّه...) هو عدل للخصب المكاني(الكلأ والملأ...) [62] فالجنّة لا يكون فيها العراء ولا الجوع ولا الضّمأ... لكن الظّفر بهذا المكان له مشترطاته. منها اتّباع هدى الرّحمان وذكره وعدم الإنصات للشّيطان العدوّ المُبين. فالعيش في الجنّة والبقاء فيها مكان يُطلب فيُدرك. وإدراك المكان هنا لا يتسنّى لحزب الشّيطان، وإنّما يتسنّى لمن استعاض منه، فالجنّة تبعا لكلّ هذا فضاء مقدّس، يدخلها النّاسك ولا يظفر بها الفاسق المتمرّد.

[60] ***سورة طه*** الآية 123

[61] محمّد بن عيّاد ، ***الرّهان الترجذاتي*** مطبعة التسفير لفنّي صفاقس نقلا عن:
" محمد الباردي" من كتابه "وجوه الشبه بين الرواية الحديثة في مصر و الرواية الحديثة في فرنسا شكلا "ص ص235،236
المواقع المكانية أصبحت إذن تعرف بالأحداث القصصيّة. انظر مثلا كتاب محمّد بن عيّاد، ***جدلية القصّة و الشعر***، مطبعة التسفير الفنّي صفاقس

[62] كليّة الآداب و العلوم الإنسانيّة صفاقس ص 56

جهنّم	هي الفضاء الذي عدّه المُذلّ جزاء للكافرين أصحاب الشّيطان. خصوصياته سالبة على عكس خصوصيات الجنّة. فجهنّم فضاء فيه الفقر والقفر والجدب... ومن ثمّة فالجدب النّفسي(الكفر، الإعراض عن ذكر الله، اتّباع الشّيطان) عدل للجدب المكاني[63] (السّعير، نار الله الموقدة، العذاب...) بيد أنّ هذا الجدب المُخيف يمكن تفاديه إن تقيّد المرء بأوامر الله وسلّم بأن الشّيطان عدوّ الإنسانيّة وكان لربّه كفورا. فمن ولّى وجهه شطر عبادة الخالق لا يظلّ ولا يشقى ولا يلحقه غبن جهنّم وضيم السّعير اللّهيب.
الأرض	هي فضاء مواز للجنّة والنّار. وهي أيضا مكان دنيوي، وإن شئنا فهي المكان الذي عدّه الخالق للإنسان كي يمنحه فرصة ثانية لمراجعة نفسه. فالأرض بهذا تكون مكان تدارك بعد خيبة آدم وزوجه التي حصلت في الجنّة. ففي الأرض يبحث المرء عن أفضليّة وجوده ونحت كينونته، وذلك بسبر أغوار العالم بُغية فهمه وفهم وجوده داخله حتى يعرض عن الرّذائل ويتّبع طريق الفضائل لاستئصال مآله.

أمّا الزمن في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني غير محدّد بل غاية ما نجده هو أزمنة صيغيّة ثلاثة (ماضي، حاضر،مستقبل). و حتّى يكون عملنا أكثر علميّة، أردنا أن نُؤكّد ما أشرنا إليه آنفا من خلال بعض الآيات القرآنية التي نشتغل بها.

زمن الماضي: زمن انقضاء الحدث، اللّحظة العقبيّة بمعنى الاعقابيّة.

ـ **سورة البقرة** (قلنا- أُسجدوا- أبى- استكبر- أزلّهما- أخرجهما – تلقّى – تاب) من الآية (34) إلى الآية (37)، ثمّ الآيتان : (208) و (268). / ـ **سورة آل عمران** (ذلّ) الآية: (175).

ـ **سورة الأنعام** (ø) الآية:(142) . / ـ **سورة الأعراف** (خلقنا- صوّرنا- قلنا- سجدوا- خلقت- دلّ- ذاقا- بدا- نادى - قال) من الآية (11) إلى الآية (27). / ـ **سورة الحجر**:(سجد،أبى، قال، خلقت، اتّبع): من الآية (30) إلى الآية (42). / ـ **سورة النحل**:(قرأت) الآيات: (100/99/98). / ـ **سورة الكهف**: (قلنا، سجدوا،فسق) الآية : (50). / ـ **سورة طه**: (قلنا، سجدوا، أبى ، وسوس، أكلا، بدت، عصى، غوى، تاب،هدى، اتّبع): من الآية (116) إلى الآية (124). / ـ **سورة فاطر**: (ø) الآية: (6).

ـ **سورة ص**: (قال، نفختُ، سجد، استكبر، خلقتُ، تبع): من الآية (71) إلى الآية (85). / ـ **سورة الزّخرف** (ø): الآية: (62). / ـ **سورة المجادلة**: (استحوذ، أنساهم) الآية : (19). / ـ **سورة الحشر**:(قال، كفر) الآية: (16).

زمن الحاضر:زمن حاضر الحدث ،اللّحظة التّزامنيّة

ـ **سورة البقرة**: (اسجدوا، أُسكن، كلا، لا تقربا، اهبطوا، ادخلوا، يأمركم، يعدكم، يأمركم) من الآية (34) إلى الآية (37) ثمّ الآيتان (208) و(268). ـ **آل عمران**: (يخوّف، خافوا) الآية: (175). ـ **الأنعام**:

[63] ***جدليّة القصّة و الشّعر*** ص 56

(كلوا) الآية (142). ـ **الأعراف**: (اسجدوا، تتكبر، اخرج، أملأن ،اسكن، كلا، يخصفان، أقل، ينزع، يراكم، ترون): من الآية (11) إلى الآية (27). ـ **الحجر**: (أسجد، أخرج) من الآية (30) إلى الآية (42). ـ **النّحل**:(استعذ، يتولُّون) من الآية (98) إلى الآية (100). ـ **الكهف**:(قلنا ،اسجدوا): الآية (50). ـ **طه**: (اسجدوا، يخرج، لا تشقى،لا تجوع، لا تعرى، لا تضحى، لا تضمؤا، أذل، يخصفان، اهبطا، يأتينكم، لا يضل، لا يشقى، نحشره): من الآية (116)إلى الآية (124). ـ **فاطر**: (اتّخذوه، يدعو) الآية (6). **ص**: (فقعوا، أُخرج، أقول): من الآية (71) إلى الآية (85). ـ **الزّخرف**: (لا يصدنّكم) الآية :(62). ـ **المجادلة** (ø): الآية (19). ـ **الحشر**:(اكفر، أخاف) الآية (116).

زمن المستقبل: زمن استشراف الحدث : اللّحظة الاستباقيّة.

ـ **البقرة** (ø): من الآية (34) إلى الآية (37) والآيتان (208) و (268). ـ **آل عمران** (ø): الآية (175). ـ **الأنعام** (ø): الآية (142). ـ **الأعراف**: (لأقعدّن، لأتينّهم) من الآية (11)إلى الآية (42). ـ **الحجر** (لأزيّننّ، لأغوينّهم): من الآية (30) إلى الآية (42). ـ **النّحل** (ø): من الآية (98) إلى الآية (100). ـ **الكهف** (ø): الآية(50). ـ **طه**:(إمّا يأتينّهم ، نحشره يوم القيامة): من الآية (116)إلى الآية (124). ـ **فاطر**: (ليكونوا) الآية (6). ـ **ص**: (إذا سوّيتُه، لأغوينّهم، لأملأنّ): من الآية (71) إلى الآية (85). ـ **الزّخرف** (ø): الآية (62). ـ **المجادلة**(ø):الآية: (19) ـ **الحشر** (ø):الآية (16).

← زمن الماضي49 فعل / ← زمن الحاضر 51 فعل / ← زمن المستقبل 9 أفعال.

فمن خلال هذه المعادلة نلحظ أنّ زمن الحاضر يكاد يساوي: زمن الماضي و زمن المستقبل معا تقريبا. من ذلك أنّ9 (أفعال)+49 (فعلا)=58 (فعلا)، أي أنّ زمن الماضي +زمن المستقبل=58 فعلا، في حين أنّ زمن الحاضر =51 فعلا. فلا محيص من أن نلحظ أنّ زمن الماضي مجموعا إلى زمن المستقبل يعادل زمن الحاضر تقريبا.

2 ـ تقنيات القصّة المكرّرة على مستوى الخطاب:

إنّ تحليلَ القصّة الإبليسيّة المكرّرة في الخطاب القرآني على مستوى الخطاب يعدّ استكمالا للتّحليل التّقني السّردي. لذلِكَ صحّ منّا العَزمُ عَلَى رصد النَّظاميّة التنضيديّة التي يتأسّس عليها الخطاب تلك المتمثّلة في ما يلي: **ـ أساليب القصّ:** فَقصّة إبليس المتكرّرة في الخطاب القرآني تَقُومُ على أُسلوب سردي ويضطلع القاصّ (الله) بالرّواية في كلّ الآيات المكرّرة ونلمح ذلك من خلال قرينة تكرّرت على امتداد ثلاث عشرة آية تقريبا وهي (قلنا) أو (قال) من ذلك:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [64].

أو قوله تعالى:

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [65].

فهذه القرينة بمثابة اللاّزمة أو قل هي العتبة السّردية .وتبعا لذلك فالسّرد في مجمله يتمّ بواسطة ضمير "نحن" فَجُلّ الأفعال التي ألّفت النسيج القصصي منسوبة إلى ضمير نحوي هو (نحن).يقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [66].

أو (خلقناكم/صوّرناكم.) مثلما ورد في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [67].

فقاصّ القصة وهو (الله) في الخطاب القرآني لا يترك زمام الرواية لأي طرف أو فاعل. فهو يتكفّل بالقصّ وبالرواية. ولعلّ السّمة البارزة في قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني هي قصر المدى. ذلك أنّ ميسم السّرد الذي نلحظه هو الاختصار والاختزال. ففي سورة البقرة مثلا :نجد إبليس يتأبّى عن السّجود لآدم ثمّ سكون آدم وزوجه الجنّة ثمّ غرور الشيطان بهما فالنزول من الجنّة. ومثل هذا الاختصار تكرّر في سور كثيرة منها الأعراف والحجر والكهف وص وغيرها. فهذه الخاصّية الاختزالية طبعت الصّياغة السّردية في القصّة التّكرارية في الخطاب القرآني.

ومهما يكن من أمر، فإنّ السّرد بما هو النّمط المهيمن على التّقنية القصصية في الخطاب القرآني هو المنسّق بين عناصر الرّحلة: الرّحلة بين الجنّة والجحيم وبين السّماء والأرض . وما تجدر الإشارة إليه أنّه كلّما وقع الانتقال عَقِبه تعليق إمّا على الشخصية و إمّا على المكان وذلك بتوظيف تقنية جديدة تتمثّل في الوصف. فما حظُّ الوصف في القصة الإبليسية المكرّرة؟ إنّ المتأمّل في تقنية الوصف يلحظ حضّها الزّهيد. فالوصف في القصة الإبليسية ورد باقتضاب خلافا لتقنية السّرد. فالوصف تعلّق بالشخصية المحورية وهي إبليس ، وَصْفٌ جعلها في أسوء حالاتها. يقول تعالى:

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [68].

---

[64] ***سورة البقرة***، الآية 33
[65] ***سورة الأعراف*** الآية 14
[66] ***سورة الكهف***، الآية 49
[67] ***سورة الأعراف*** الآية 10

ومن ثمّة، فالوصف كان من قبيل الوصف المآلي أي المكافأة التي ظفر بها إبليس لمّا تمرّد على خالقه.

ولئن ورد الوصف باقتضاب وكانت سمة السّرد الاختصار، فإنّ الحوار نُقل على مهل دون استعجال، وتلك سمة تجعل القصة الإبليسية في الخطاب القرآني تمدّ بصلة للخبـــر القصصـــــي .فالــحوار (dialogue) يطغى على مختلف السور القرآنية التي كرّرت قصّة إبليس تقريبا ،وهو حوار ثنائي دار بين الخالق ومخلوقه (إبليس).

﴿ قَالَ يَـٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [69].

كذلك نجد حوارا ثنائيا دار بين الخالق ومخلوقيه آدم وحواء من ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ [70].

والملاحظ في هذا الحوار الثّنائي أن الشخصيّة تطلب من الخالق ما تودّه، والله يصدر أوامره بما هي جواب لطلب الشخصيّة .وهذه طريقة أقرب ما تكون إلى السّؤال والجواب وهذه الصّيغة الحواريّة هي وظيفة تعليميّة وجدليّة تميّز الخطاب الواقعي الوصفي.[71] فالحوار في القصّة الإبليسيّة المكرّرة في الخطاب القرآني تعليمي لأنّ المتحاورين في وضعية خطابية غير متساوية. فالله بكلّ شيء عليم فهو المالك للمعرفة التي تسعى الشّخصيّة إلى امتلاكها. لذلك يقول "محمد رجب الباردي" " يكون التّرابط المهيمن بين أفعال الكلام من نوع سؤال وجواب فأحد المتحاورين يسأل والآخر يُجيب...."[72]

وإذا رمنا البحث في **زمن القص**، فإنّنا نجد أن قاصّ القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني ليس مجبرا على رواية الأحداث القصصية حسب التّرتيب الذي جاءت عليه في الواقع.ذلك أن الأحداث في

---

[68] ***سورة الأعراف***، الآية 17

[69] ***سورة ص*** الآيات 74-75-76-77-78-79-80-81-82

[70] ***سورة الأعراف***، الآيتان 22-23

[71] محمّد رجب الباردي، ***إنشائيّة الخطاب في الرواية العربية الحديثة*** من منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق 2000 ص 31

[72] ***إنشائيّة الخطاب في الرّواية العربيّة الحديثة*** ص 31

القصّة الإبليسية تُقدّم حدثا على حدث في هذه السّورة وتُؤخّر حدثا على حدث في سورة أخرى. ففي سورة الأعراف يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾

ويستهلّ القصّة في سورة الحجر بقوله:

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

.

كذلك قاص القصة الإبليسيّة القرآنية حرّ في الرفع من سرعة القص أو التخفيف منها .وفي الجملة لا يجري زمن القصّ/ زمن الخطاب إلاّ في ضوء الاختيارات التي وضعها القاصّ لنفسه ومن أبرزها، **السّرد المجمل** (Le sommaire): فَقصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني تسرد وقائع أمداء زمنية وأحداث سنوات بِتَقنِيةِ التّلخيص والاختصار . من ذلك نجِدُ هذا الشّاهد:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [73]

فبكم تُقدر المدّة الزّمنية التي قضاها آدم وزوجه في الجنّة ؟ الجواب غير معلوم. فالقاصّ هنا اختزل الزّمن لقطع المسافة الفاصلة بين البقاء في الجنّة والخروج منها. هذا فضلًا عن **الوقفة الوصفية (La pause):** فَمَواطن الوصف في قصّة إبليس تكاد تكون منعدمة . فقلّما نعثر في هذه القصّة على وقفة وصفية، فنعثر على وقفة وصفية في سورة طه:

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾

فالوقفة الوصفية توقّف العملية السّردية فتتوقّف الحركة ثم تعود من جديد ، فإذا بالموطن الوصفي يمثّل حاجزا عندئذ تنقطع عملية سرد الأحداث وينقشع الحاجز فتتواتر الأحداث ويُبنى السّرد. هذا إلى جانب صيغة أخرى وهي المُتمثّلة في : **التّواتر:** فالحدث في القصّة الإبليسية المكررة ليس له أن يُنتج فحسب، ولكن أن يُعاد إنتاجه مرّات ومرّات أيضا. لذلك يقول جينات (جيرار)" ليس حدث من الأحداث بقادر على الوقوع فحسب بل يمكنه أن يقع مرّة أخرى."[74] من هنا نخلص إلى أنّ لتواتر الحدث في مستوى الحكي ثلاثة أشكال : **السّرد الإفرادي *(Singulatif)*:** فَمـا حدث مرة يسرد

---

[73] ***سورة البقرة***، الآيات 34 -35- 35

[74] ***خطاب الحكاية*** ص 129

مرة واحـدة وَ **السّرد الإعادي** ***(Répétitif):*** ما حدث مرات يسرد مرّة أومرات وأخِيرا **السّرد التّكراري** ***(Itératif):*** فَمـا حدث مرة يســـــرد مــرات.[75] فأين قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني من هذه الأشكال السّردية الثلاثة ؟

-"أبى إبليس أن يسجد لآدم": حدثٌ مرّة واحدة لكنه تمّ سرده مرّات عديدة في سور قرآنية متنوّعة .

-" سجـــود الملائكة لآدم": حدثٌ وقع مرة واحدة ومع ذلك ذُكر مرّات عديدة .

-"غرور إبليس بآدم وزوجه ": حدثٌ وقع مرة واحدة، ولكنّه سُرد مرّات عديدة.

-"خـروج آدم مـن الجنة " : حـدثٌ واحـد والسّـرد تمّ مـرّات عديـــــــدة .

وكلّ هذه الأحداث وما سواها حفلت بها سورة (البقرة/ الأعراف/ الحجر/ طه /ص ...)

لهذا يمكن أن نقول إن القصة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني" يغلب عليها السّرد التّكراري .فنحن إزاء حدث يتكرر بين الفينة والأخرى . وإضافة إلى الوقفة الوصفية والتّواتر نجِدُ أيضا: **المشهد (la scène):** فَبَحثنا في هذا العنصر من خلال قصّة إبليس يتوقّف على الحالة التي يتوافق فيها زمن الخطاب وزمن الخبر. وهي الحالة التي تتجلّى في الحوار، إذ يقحم المتخيل في صلب الخطاب. وإذا ما اعتبرنا أنّ القصّة الإبليسية في الخطاب القرآني هي قصّة أقوال تتعايش فيه أضرب عدّة أهمّها المخاطبة/ الحوار، وحظّ السّرد فيها قليل ، فالسّرد بذلك كان مُمهِّدا أو مُؤطِّرا أو مُسوِّرا للأقوال. فَما أنماط الرّؤية في قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني؟

إنّ نمط الرّؤية أو ما يُعبّر عنه "جرار جنات" بـ"المنظور السّردي" هي من أهمّ المسائل التي تهمّ التّقنية السّردية.[76] لهذا نروم في هذا البحث معرفة موقع القاصّ من محور القصّ أو الشّخصية المحورية في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني. فالمُطّلع على السّور القرآنية التي فيها تكرّرت قصّة إبليس، يُلاحظ أنّ القاصّ الذي يقصّ القصّة تارة يُدمج ذاته ضمن الأحداث وقد دلّنا على ذلك الأفعال المنسوبة إلى الضّمير "نحن" مثلَمَا يَدُلّ على ذلِكَ قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [77]

وبهذا التّعبير القصصي كان الراوي جوّانيا. إذّاك وجّه الأحداث وأظهر مواقفه من الأشخاص بدليل قوله:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [78]

[75] المرجع نفسه ص 131/130
[76] ***خطاب الحكاية*** ص 197
[77] ***سورة الأعراف*** الآية 10
[78] ***سورة البقرة*** الآيتان 35 - 36

وتارة أخرى نجده (القاصّ) يقصّ الأحداث دون أن يُدمج ذاته فيها. وفي هذا الإطار يطغى ضمير (هو) الذي يعود على شخصيّة إبليس: الشّخصيّة المحورية في القصّة. من ذلك نجد قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [79].

فالقاصّ في هذا الشّاهد كان قاصّا خارجيّا إذ هو لا يُشارك في الأحداث إنّما هو عليم بما ظهر وما بطن من الأحداث فهو يُدرك تمام الإدراك عالم الشّخصية القصصية. ونحن نتحرّك داخل المنظور الجوّاني والمنظور الخارجي، يتبادر إلينا ضربان من الأحداث نُلخّصها في الجدول الآتِي:

أنماط الرّؤية بين التّحليل والملاحظة

الأحداث / أنماط الرّؤية	أحداث مُحلّلة من الدّخل	أحداث مُلاحِظة من خارج
قاصّ حاضر بصفته مُشاركا في العمل القصصي ومساهما في النّسيج القصصي في القصّة الإبليسية	القاصّ يحكي القصّة الإبليسية ويُقحِم ذاته في القصّ فيكون ضمير"نحن". فهو المؤلّف العليم والمحلّل الثّقة يحكي قصّة إبليس.	المؤلّف للخطاب القرآني وهو قاصّ القصّة الإبليسية يحكي القصّة من الخارج. فهو ملاحِظ يعرف الباطن والظّاهر. ومع ذلك لم يكن مُشاركا في الإحداث.
النّواة القصصية وهي الشّخصية المحورية، غائبة بصفتها شخصية، عن العمل القصصي فكلّ الأحداث وردت بشأنها أو منها واليها.	الشّخصية المحورية تُساهم في بناء قصّتها. فبين الفينة والأخرى تستحوذ على الحوار وتُحلّل موقف أفعالها.	يغيب إبليس، النّواة القصصية. وتُصبح مُتَحدّثا عنها. فهناك فاعل يحكي قصّة البطل.

وبعد هذا يتّضح لنا أنّ قاصّ القصّة الإبليسية في الخطاب القرآني، يعلم أكثر من الشّخصية المحورية، بل "أكثر ممّا تعلمه أي شخصية من الشّخصيات". [80]

ولا يخفى أنّ أنماط الرّؤية وثيقة الصّلة بمصطلح التّبئير(La focalisation)، لهذا سنعمل مقدار جهدنا على دراسة القصّة الإبليسية المُتواترة في القرآن الكريم من زاوية البُؤرة السّردية.

لدينا من التّبئيرات أضرب ثلاثة وهي: **التّبئير الصّفري**(La focalisation zéro): فَفي هذا المستوى يحضر ضمير غائب في القصّة، فالقاصّ اله عليم بكلّ شيء، ينقل ما ظهر وما بطن. هذا إلى جانِبِ **التّبئير الدّاخلي** (La focalisation interne): الذي يتّصل بالشّخصية: فالقاصّ لا ينظر إلى الأشياء إلاّ بمنظارها. و**التّبئير الخارجي** (La focalisation externe): يقتصر المبأّر فيه على ما يراه دون الغوص في عمق الشّخصية أو التّيه في أقاصي الأمكنة. [81]

فإلـــــــــى أيّ ضرب من هذه الأضرب تنتمي القصّة الإبليسية المكرّرة فـي الخطاب القرآنــي ؟

---

[79] ***سورة فاطر*** الآية 6

[80] ***خطاب الحكاية*** ص 201

[81] جيرار جينات **Figure III** ،منشورات Céres édition _ Seuil 1972-1996 ص ص 314- 315

إنّ المتأمّل في قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني، يلاحظ أنّ القاصّ وهو الله تعالى يُصدر أحكاما بشأن الفواعل بعد أن يُحاورها وتحاوره. ومن ثمّة فهو يُجازيها بأفعالها وفق منظارها. ولنا في هذا الصّدد مثال للتّطبيق:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [82]

فمن خلال هذا الشّاهد نحن إزاء تبئير داخلي: ذلك أنّ القاصّ والشّخصية المحورية لهما منظار مشترك. هذا من جهة الكمّ. أمّا من جهة الكيف، فالمدرك في هذا التّبئير الدّاخلي مشروط بذاتية المدرك. بيد أنّ التّبئير الدّاخلي في القصّة الإبليسية المكررة في الخطاب القرآني لم يُطبّق "بكيفية صارمة".[83] وهو الأمر الذي جعل هذه القصّة يطغى عليها التّبئير الصّفري. وحجّتُنا في ذلك قوله تعالى:

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [84]

فما نلاحظه في هذا الشّاهد القرآني،هو طُغيان الأفعال المنسوبة إلى ضمير الغائب المفرد(هو) من ذلك نجد (أبى، قال، قال، خلقت). والمعلوم أنّ حضور ضمير(هو) في القصّة الإبليسية من شأنه أن يُؤكّد بؤرة سردية سمتها التّبئير الصّفري الذي كان فيه قاصّ الخطاب القرآني مدركا مطلق المعرفة، فهو الله العليم بكل شيء. وأمّا **اللّغة** فَهي الفصحى سواء كان ذلك في الخطاب المباشر الحرّ - وهو خطاب يستَعمِلُ فيهِ النّاقلُ الكلمات والملافيظ التي تستعمِلُها الشّخصيّة دُون نسبتها إليهِ ثُمّ أنّهُ يُوجدُ تفاعل وتعامل بين قول الرّاوي وقول الشّخصيات.

فالشخصيّة المنقول كلامها تُعبّرُ ولا تتلفّظُ، أمّا القاصّ فهو يتلفّظُ ولا يُعبّرُ. ونُشيرُ هُنا إلى أنّ الانتقال من سرد القاصّ إلى أقوال الشّخصيّة لا يُحدِثُ قطيعة تلفّظيّة.[85] - أو في الخطاب غير المباشر الحرّ، وهو خطاب مُزدوج رغم تعلّقهِ بمُتلفّظ واحد هو مقام النّاقل. فيه يحضرُ ضميرُ [أنا] ومع أنّ هذا النّوع يفتقرُ إلى الأمانة الكاملة، إلّا أنّه في الخطاب القرآني ليس كذلك وحسبُنا في ذلك من أصدقُ من اللهِ قولا وحقّا ؟ [86] وحتّى إن عدنا إلى لغة الحوار المتداولة بين الفواعل، فإنّنا لا نجد إلاّ اللّغة القحّة. فتتلوّن الفواعل وتتنوّع الأحداث، ويظلّ المستوى اللّغوي هو ذاته لا يُدركه التّلوُّن و لا يشوبه الاختلاف. "إنّها

---

[82] ***سورة الأعراف*** الآيات 10 – 11 - 12

[83] **Figure III** Ibid ص 321

[84] ***سورة الحجر*** الآيات 33/32/31

[85] ريني ريفارا **La langue du récit**, introduction à la narratologie énonciative منشورات L'Harmattan l'Ecole – polytechnique ص 122 .

[86] المرجع نفسهُ ص 113

استقطابية لا تتعدّد مستوياتُها".[87] ولا يذهبنّ بنا الظّنّ أنّ اللّغة في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني وسيلة إبلاغ، بله هي وسيلة تعبير. والوجه في كلّ هذا أنّ الملفوظات (Les énoncés) تعكس الحالة النّفسيّة التي يكون عليها المتلفّظ. وعلى هذا النّحو، كانت الخلجات النّفسيّة. ولنا في هذا مثال وهو:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[88]

فاللّغة في القصّة الإبليسيّة تُحبّذ التّشبيه والتّكرار وما سواهما.فالتشبيه نستدلّ عليه من خلال هذه الآية:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[89]

وأمّا التكرار فنستدلّ عليه في قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[90]

هذا وقد كانت المجالات التّعبيريّة المهيمنة في القصّة الإبليسيّة مُتّصلة اتّصالا وثيقا بالمجرّد فغاب المحسوس. لهذا نرصد العبارات التّالية: التّوبة ـ التّكبّر ـ الكبرياء ـ الذّمّ ـ الانحدار ـ الغرور ـ العِداء... هذا فضلًا عن مفهوم "التّسطيح". وهو تراكم الأفعال في وظيفة سرديّة تُؤسّس مقطعا سرديّا.[91] من ذلك:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾[92]

ففي هذه الآية نجد إحدى عشر لفظة منها ستّة أفعال هي: (خلق ـ صوّر ـ قلنا ـ اُسجدوا ـ سجدوا ـ لم يكن).

---

[87] محمّد رجب البارديّ، ***إنشائيّة الخطاب في الرّواية العربيّة الحديثة***: من منشورات اتّحاد الكتّاب العرب دمشق 2000- ص 81

[88] ***سورة الأعراف الآية 21***

[89] ***سورة الحشر*** الآية 16

[90] ***سورة ص*** الآية 83

[91] ***إنشائيّة الخطاب في الرّواية العربيّة الحديثة.*** ص195

[92] ***سورة الأعراف*** الآية 11

خاتمة الفصل الأوّل

نستطيع و قد أسلمنا هذا الفصل إلى خاتمته، أن ندرك القيمة القصصيّة لقصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني. فقد شكّلت وحدة قصصيّة مستقلّة من حيث أنماط الحكي وسياقاته ومن جهة الشّخصيات وعلاقاتها فضلا عن الأطر المكانيّة وخصوصياتها والظّرف الزّمني ومميّزاته. وهكذا حاولنا ولوج الخطاب القرآني من خلال قصّة متواترة هي قصّة إبليس فأثرناه خطابا فنّيا جليلا، خطابا يقصّ قصّة قرآنية مكرّرة، تُبنى في هيكلها ولبّها، في قلبها وقالبها على حقّيقة الإنسان في الوجود وتتأسّس . والوجه في ما نقول أنّ القصّة الإبليسية في القرآن الكريم صوّرت أحداثا ووقائع وممارسات وسلوكات تقوم بها الفواعل، تختلف من جهة علاقتها بخالقها مثال: (علاقة إبليس بخالقه: علاقة تمرّد وعصيان، في حين تُعدّ علاقة الملائكة بخالقها: علاقة طاعة وولاء).

وبناء على ما أشرنا إليه، خليق بنا أن نُشير إلى أنّ القصّة الإبليسية من منظور الخبر والخطاب بما هما تقنيّتان سرديّتان، لا تعني أنّها إخبار أو هي قصّة مكرّرة تدلّ على مفهوم الخبر، بل هي قصّة حقّ ووجه الحقيقة فيها أنّها مستمدّة من الواقع. فما نلحظه في القصّة الإبليسيّة المتواترة في الخطاب القرآني هو ضآلة نصيب الأحداث. وهو الأمر الذي جعل الأسلوب القصصي، قصّ قول لا قصّ فعل، بل "لعلّ الفعل الأغلب فيه هو الكلام ذاته. فالفواعل لا يفعلون وإنّما يُفكّرون، حتّى تكاد القصّة تنقلب إلى حكاية أقوال أكثر من حكاية أفعال".[93]

وَنُشِيرُ إلَى أنّ القاصّ في القصّة الإبليسية عرض علينا شخصيّة "الشّيطان" لا يفصلها عن أيّ حدث لذلك لمحنا قصّة ذات حبكة متماسكة، وقد كان السّارد أو القاصّ في القصّة الإبليسيّة المكرّرة نافذا إلى دواخل الفواعل عالما بالوقائع. ومهما يكن من أمر فإنّ التكرار الذي نحن إليه بسبيل، لم يكن تّكرارا خُلوا من كلّ وظيفة و لا هو تكرار خلّب قلّب. إنّما هو تكرار محمّل بجملة من الوظائف. وهي التي سنحاول رصدها في مستهلّ الفصل الثّاني. لذلك نسأل:

ألا يمكن أن يكون تكرار القصّة الإبليسيّة في الخطاب القرآني مظهرا من مظاهر التّنبيه ؟

ألا يكـــــون تكـــرار الحدث القصصـــي ضربا مـــن ضـــروب التّـــأثيـــر؟

أليس في لـغة الحوار المتداولة فـي القصّـــة الإبليسية المكرّرة شكل من أشكال الحجاج؟

فمثل هذه الأسئلة يمكن أن نعتبرها إطلالة على وظائف التّكرار في قصّة حادثتها واحدة وروايتها متشعّبة هي قصّة إبليس. هذه القصّة التي يلحظ فيها "القارئ الحصيف أسلوب المناورة والمداورة في صلب خطاب المحاورة".[94]

---

[93] فرج بن رمضان، ***خصائص الشّكل القصصي***. مجلّة الفكر 1997 العدد السّادس ص 13

[94] محمّد بن عيّاد، ***المقام في الأدب العربي***: مطبعة التّسفير الفنّي ـ صفاقس كلّية الآداب والعلوم الإنسانية. 2004 ص 106

مدخل مفهومي

الوظيفة: (la fonction)هي لفظة متكوّنة من الجذر (و،ظ ،ف) و جمعها وظائف ونقول "جاءت الإبل على وظيف واحد إذ تتبّع بعضها بعضا" بمعنى أنّها لم تحد عن المسار. و هذا ما ينعكس على القصّة الإبليسيّة المكرّرة في القرآن، فالروايات كثيرة بيد أنّ الحدث ظلّ واحدا و هو تمرّد إبليس على خالقه. و يقال" وظف فلان فلانا يظفه وظفا إذ تبعه"[95] وإذا أردنا أن نبحث عن أثر هذا في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني لوجدنا أنّ المعجم القصصي مهما تنوّعت و اختلفت تعابيره الفنيّة تظل كلّ الحكايات تتبع بعضها البعض من جهة المعنى. و من ثمّة تختلف الحكايات و تبقى وظيفتها واحدة.

الأحادية: نقول الأحادية أو الواحد أو الأحد و كلّ منها يعني الفرادة و هو الشّيء الذي لم يكن معه آخر. و الأحادية من الوحدة بمعنى الواحد.[96] و الأحادية في بحثنا المعنون ب :"قصّة إبليس بين أحادية الحدث و اختلاف الرّواية" اقترنت بالحدث ممّا يعني أنّ الحدث في القصّة رغم اختلاف رواياته و تنوّع تعابيره يبقى واحدا أوحدا هو تمرّد إبليس على خالقه و من ثمّة فهو للإنسانيّة عدوّ مبين. ويُقال " إحدى الإحد " بمعنى الأمر المنكر الكبير.

الاختلاف: (Le désaccord) لفظة تتكوّن من جذر (خ،ل،ف) و هو ضدّ الاتّفاق. و المراد بالاختلاف كون المخالفين معاصرين منازعين و الحاصل من ثبوت الضّعف في جانب المخالف في الخلاف، فإنّه كمخالفة الإجماع و عدم ضعف جانب في الاختلاف لأنّه ليس فيه خلاف ما تقرّر.[97]

والاختلاف الذي نحن منه بسبيل هو اختلاف التّعابير الفنيّة و اختلاف الحكايات حول محكي واحد هو إبليس و عصيانه لخالقه. والاختلاف هنا لا يُضير النسيج القصصي ذلك أنّ لبّ القصّة يبقى ثابتا لا يتغيّر. فإذا حافظت القصّة عن معناها رغم اختلاف الروايات كان اتّفاق العبارات و اختلافها سواء.

الحدث: (L'évennement) ينهل من جذر (ح،د،ث) و منه نجد الحديث و الحدث والمحادثة (La conversation) . و ما تجدر الإشارة إليه أنّ لفظة الحدث ارتبط استعمالها بالقصص والحكايات و الأخبار.[98] وإذا رُمنا البحث في موضوع بحثنا و هو " تكرار القصص في القرآن: قصّة إبليس أنموذجا" نجد أنّ الحدث الرّئيسي هو عدم خضوع إبليس لطاعة الله و من ثمّة كان عدوّا مبينا. عندئذ ندرك أنّ الحدث في الاستعمال القرآني هو القول عامّة و هو يعني أيضا القصّة الوعظيّة.[99]

---

[95] ***لسان العرب***، الجزء السّادس ص 4870
محمّد علي التهانوي، ***كشّاف اصطلاحات العلوم و الفنون***، الجزء الأوّل، تحقيق علي دحروج:سلسلة المصطلحات العربيّة و الإسلاميّة، مكتبة لبنان

[96] ناشرون. ص ص 116-117

[97] المرجع نفسه ص ص 110-111

[98] شارل بلا ، ***مقال حكاية***، دائرة المعارف الإسلاميّة ، الطّبعة الفرنسيّة الجديدة

[99] المرجع نفسه

مقدّمة الفصل الثّاني

ما من قارئ ذي أنّاة إلاّ وهو يشعر عند اطّلاعه على الخطاب القرآني برغبة حثيثة متزايدة لمعرفة سرّ تكرار الحكايات والمحكي شيء واحد. فلو ولّينا وجوهنا شطر القصّة الإبليسية في الخطاب القرآني، لوجدناها حكاية واحدة. بيد أنّ طريقة حكيها وأسلوب التّعبير عنها تغيّرا في زُهاء ثلاثة عشر آية قرآنية. فإذا كان في قصّة واحدة ووقع في كلام الله حكاية عمّا قال إبليس وعمّا قيل له عندما كان يظهر من عصيانه، فلماذا اختلفت الحكايات وتنوّعت أساليب التّعبير في صياغة الحكاية والمحكي شيء واحد؟[100] فلا ريب أنّ القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني قد أرخت سدولها على القارئ الحصيف[101] بشتّى الوظائف ليتعلّم العبرة ويُعلّمها لمريديها.

وطبقا لذلك صحّ منّا العزم على أن نرصد ثلاث وظائف في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني، بدءا بالوظيفة التّنبيهية مرورا بالوظيفة التّأثيريّة وصولا إلى الوظيفة الحجاجية. ولعلّ إشارتنا إلى هاته الوظائف فحسب هو تخيُّر دعاه داع، ذلك أنّ القصّة القرآنية بتكرارها وتواترها، ترسّخ في أذهاننا أحكاما وَهذه الأحكام تتمخّض عن الوظيفة التّنبيهيّة. ثمّ إنّ الكلام في وجه من وجوهه يُعدّ قوّة تأثيرية، فالكلام التّأثيري هو ما عبّرنا عنه بالوظيفة التّأثيرية. ثمّ إنّ من أقوى الحجج هي حجّة الشّاهد القولي. ولا قول أحقّ من قول الله مبثوثا في الخطاب القرآني. لذلك تخيّرنا دراسة الوظيفة الحجاجية.

هكذا نكون قد برّرنا اختيارنا لوظائف ثلاث تجسّدت في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني، حيث كتاب الله المفتوح يتجافى عن المشارب والنّزاعات الانعكاسية الضّيّقة.[102]

وكيفما تصرّفت الحال على حدّ عبارة "ابن جنّي"، فإنّ رصدنا لوظائف قصّة إبليس بين أحادية الحدث واختلاف الرّوايات. وتسليطنا الضّوء على هيمنة حضور إبليس في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني ثمّ توخّي إبليس لإغرائيّة المناورة في صلب المحاورة التي بمقتضاها انتقل من التّبعيّة لآدم وزوجه إلى السّلطة عليهما ومن ثمّة كان إعلان الهزيمة وإخلاء المسؤولية. كان بتعلّة فهم القصّة الإبليسية المكرّرة. لذلك نستنجد بالتّأويليّة لاستجلاء الدّلالة ونتقيّد بالتّداوليّة لفهم المعجم المتداول بين الفواعل في القصّة. ونعتدّ بالتّلفّظيّة لمعرفة تكرار الكلام الذي يتوجّه به الفاعل إلى فاعل ثان قصد التّأثير فيه. ومجمل القول فيما نحن فيه، إنّ فهم الموقع تأويليّا وتداوليّا وتلفّظيّا، يُهيّئ لنا سبل الاستفادة من كلّ المناهج النّقديّة ذات الصّلة بالدّلالة كما سنرى ذلكَ في متنِ هذا الفصل.

---

[100] الخطيب الإسكافي، ***درّة التّنزيل وغرّة التّأويل. برواية أبي الفرج الأردستاني***،ط 4 لسنة1981م: دارالآفاق الجديدة. بيروت ـ لبنان ص 141

[101] ***المقام في الأدب العربي***. ص106

[102] محمّد بن عيّاد: ***مسالك التّأويل السّيميائي***. الطّبعة الأولى، 2009 مطبعة التّسفير الفنّي، صفاقس ـ تونس ص 117.

II - وظائف التكرار:قصّة إبليس بين أحادية الحدث و اختلاف الرواية

1- وظائف القصّة المكرّرة: قصّة إبليس أنموذجا

أ. الوظيفة التّنبيهيّة:

إنّ المتأمّل في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني يلحظ أنّها قصّة هداية وإقناع. لذلك فالخطاب القرآني المكوّن لهذه القصّة الإبليسية توفّر على وظيفة تنبيهيّة. ونعني بذلك أنّ الله الذي كرّر حكاية إبليس في أكثر من سورة وبطرق تعبيريّة متنوّعة، أبقى على ميزة واحدة هي تنبيه الإنسان المقبل على الخطاب القرآني إلى فهم الواقع الذي يكتنفه. وليس في القصّة الإبليسية المكرّرة في القرآن أوامر مفروضة بل إنّ غاية ما نجد وظيفة تنبيهيّة نابعة من مشاهدات ثابتة تُستنبط منها نتائج لازمة.[103] وأوّل ما يُبديه الخطاب القرآني من صور تنبيهيّة هو تنبيه النّاس جميعا وتحذيرهم من مكائد الشّيطان وحيَله. أولم ينعت الله الشّيطان بأنّه عدوّ مبين. يقول تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾[104]

فَمن خلال هذا الشّاهد، يتّضح لنا جليّا أنّ الله استعمل أسلوب الأمر(كلوا) وأسلوب النّهي (لاتتّبعوا) وأسلوب التّوكيد (إنّه) في جملة واحدة لينبّهنا إلى أنّ الشّيطان منكور لأفعاله ومكروه لذاته ذلك أنّه يُوسوس لكلّ امرئ بالمخالفة لمنهج الله لا سيّما أنّ عداوة الشّيطان ظاهرة، خصوصا وأنّها عداوة سابقة. " فقد أنزل الشّيطان آدم وحوّاء من مرتبة الطّاعة إلى مرتبة المعصية وجرّأهما على المخالفة فأخرجهما من الجنّة"[105]. لهذا الغرض وربّما بغيره، يُنبّهنا الخطاب القرآني من أن نحتاط من قبول وساوس الوسواس الخنّاس. ولا غروَ أنّ الخطاب القرآني يحمل دلالة التّنبيه لجميع الخلق في كلّ عصر وفي كلّ مصر كلّما عدلوا عن المقصود. ويكون ذلك خاصّة إذا ما تحرّكت النّفس وفق شرعية الرّاغبة بكلّ معانيها وحجبت عن صاحبها طريق ربّه. ولنا هذا الشّاهد القرآني نسوقه لتدعيم الفكرة بالمثال.

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ

---

[103] عبد الحليم الجندي، ***القرآن والمنهج العلمي المعاصر***. الطّبعة الأولى 1404هـ/ 1984م. دار المعارف القاهرة، مصر ص36

[104] ***سورة الأنعام*** الآية 142

[105] محمد متولّي الشّعراوي، ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، أخبار اليوم، قطاع الثّقافة ص 3970

بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [106]

فلا يخفى أنّ هذا الشّاهد القرآني محمّل بالتّنبيه والإرشاد من ذلك قوله تعالى متوجّها بالخطاب إلى آدم:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنَ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

فالمولى هنا يُرشد آدم و حوّاء ويُنبّههما ألّا يُغيّر وجهتهما ولا يُخالفا أمرهُ ولا يغترآ باغراءات الشّيطان:

﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

فكان الخطاب القرآني في هذا الموضع في شكل نصيحة أو موعظة أو عتاب.[107]

وما تجدر الإشارة إليه في هذا الإطار، أنّ التّنبيه والإرشاد لا يخصّ إبليس وحوّاء فحسب، بل يتعدّى ذلك ليشمل الإنسانية قاطبة. ألا يكون الخطاب القرآني المحمّل بالإرشاد والتّنبيه ذا طبيعة تأثيرية؟ أليس التّأثير ضربا من ضروب الحجاج؟ ألا يُعدّ الكلام القرآني حجّة تندرج ضمن حجّة الشّاهد القولي؟ ألا يكون الشّاهد القولي طرزا من طراز التّأثير؟

ب ـ الوظيفة التّأثيرية:

لئن كان التّنبيه أكثر روعة للشكّاك والمنافق والمخمّن، فإنّ التّأثير يُحدث من الرّوعة ما تنخلع له الأفئدة. لهاذا يستعمل الخطاب القرآني في القصّة الإبليسية المكرّرة أسلوب القسم وذلك لتقرير الأمر الجليل للتّأثير في عقول الغافلين. ومن ثمّة يلفت أفهام الذّاهلين[108]. أو كما يقول الإمام عبده: "لتقرير وجوده في عقل من يُنكره ولتعظيمه في شأن من يحتقره " وتنبيه الشّعور إلى حكم وأسرار قصّ القصّة الإبليسية أكثر من مرّة وبطرق تعبيرية شتّى من ذلك يقول تعالى:

﴿ قَالَ فَٱلۡحَقَّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [109]

فالتّكرار اللّفظي (الحقّ الحقّ) برفع الأوّل على الابتداء، أي الحقّ يميني، أي أنا الحقّ.[110] فالله يستعمل أسلوب القسم في هذا الشّاهد بغية التّأثير في العقول الغافلة عن ذكر الله وتتبّع وساوس الشّيطان. كما نجد الوظيفة التّأثيرية كامنة في أسلوب الوعد والوعيد. وذلك في قوله تعالى:

---

[106] ***سورة الأعراف***: الآيات 18 – 19 – 20 – 21 -

[107] صابر سويسي، مقال بعنوان: ***المعلن والمسكوت عنه ضمن ندوة" المسكوت عنه"*** قسم العربية بكلّية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس أفريل 2009. مراجعة وتقديم محمد الشّيباني.نوفمبر 2010 ص323

[108] ***القرآن و المنهج العلمي المعاصر***، ص38

[109] ***سورة ص***، الآية 83

[110] الفيض الكاشاني، ***كتاب الصّافي في تفسير القرآن***، تحقيق محسن الأميني ط 1 لسنة 1419هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران ، ص 247

﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى ۝ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝ ﴾ [111].

فالله في هذا الشّاهد يتوخّى أسلوب الوعد والوعيد لغاية التّأثير في الفئة الضّالّة. هذه الفئة يتوعّدها بالعيش الضّنك والعمى يوم القيامة. في المقابل يؤثّر في الفئة التي تخشاهُ وتتّبع أوامره بالمآل المحمود. كذلك حصلت الوظيفة التّأثيرية في خطاب القصّة الإبليسية المكرّرة عن طريق العظة. كما ورد في قوله:

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ ﴾ [112].

فالوظيفة التّأثيرية في الخطاب القرآني بما هي وظيفة يترتّب عنها من عمل التأثيربالقول (acte perlocutionnaire) تهدف إلى تحقيق قبول القارئ وجهة نظر يتمّ القبول بها. ولعلّ التّأثير الحاصل لدى القارئ قد يكون غير التّأثير الذي قصده القائل المؤثّر بقوله أو أقواله. فعندما يقول تعالى:

﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝ ﴾ [113]

يحصل للمتقبّل ردود تفكير وردود فعل كثيرة من قبيل: عدم اتّباع خطوات الشّيطان، تطبيق، أوامر الله ونواهيه، تقويم السّلوك، مراقبة النّفس، الابتعاد عن المعاصي.[114] ولمّا كان التّأثير الوظائفي يتأسّس على بنية منطقيّة، فإنّ هذا من شأنه أن يُؤكّد أنّ الوظيفة التّأثيرية في عُلقة وطيدة بالوظيفة الحجاجية.

ج. الوظيفة الحجاجية:

إنّ المقصود بهذه الوظيفة هو سعيُ المُحاج إلى أن يكون في حلّ عن كلّ خلاف. وذلك بإخفاء العنصر المشكوك فيه وإحلاله محلّ العنصر المألوف و البديهي. وهذا من شأنه إن يُؤكد أنّ الخطاب يسير من تلقاء نفسه. ومن ثمّة تصبح الفكرة سهلة النّفاذ إلى الأذهان.[115] وما يمكن التّفطّن إليه في قصّة إبليس المكرّرة، أنّ الخطاب القرآني خطاب إقناعي قائم على الحجج (argumentation) والبراهين (démonstration) الإغرائية، وأيضا قائم على الحجج المنطقيّة وأساليب الاستدلال بمهمّة توجيه فكر المتلقّي. فلكي نستدلّ على الحجج الإغرائية في القصّة الإبليسية المتواترة في القرآن، نورد هذا الشّاهد:

---

[111] ***سورة طه***، الآيات 120 – 121 - 122

[112] ***سورة الزّخرف***، الآية 62

[113] ***سورة المجادلة***، الآية 19

[114] انظر كتاب عامر الحلواني، ***أسلوبية الوصف والحوار***، مطبعة التّسفير الفنّي صفاقس، ص146

عبد الله البهلول، مقال بعنوان ***استراتجيات السّكوت والإسكات في الرّسائل المتبادلة بين أبي العلاء المعرّي وداعي دعاة الفاطميين***"، ضمن

[115] أعمال ندوة المسكوت عنه. ص170

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [116]

فالواضح أنّ الشّيطان هنا سعى إلى المكيدة والحيلة وتوخّى حجّة إغرائية بها كسب الرّهان وتمكّن من خداع آدم وزوجه مقدّما إيّاهما إغراءات هي غاية في التّمني وقد دعّم هذه الإغراءات بالقسم، ليُوهم أنّه من النّاصحين. ومن ثمّة كانت هذه الوظيفة الحجاجية الإغرائية محمّلة بأوزار الكفاءة الإقناعية (La compétence persuative). ولا يخفى أنّ الخطاب القرآني هو الموطئ الذي تنقدح عنده شرارة الحجج المنطقية وذلك لتوجيه الإنسان والتّعديل من سلوكه. ولمّا كانت الوظيفة الحجاجيّة تُبنى على سيرورة ثلاثية وهي فكرة فحجّة فمثال. فإنّ مثل هذا التّمشّي كان حاضرا في خطاب القصّة الإبليسيّة.

ـ **الفكـــــرة**: عـــداوة إبليس وطغيانه وعصيانه لأمر ربّه. / ـ **الحـــجّـــــة**: أمره الله بالسّـجود لآدم فأبـــــــى وتمرّد. / ـ **المثال**: سجد الملائكة لآدم. إلاّ إبليس فقد فسق عن أمر ربّه.

وضمن هذا الإطَار نُشيرُ إلى أنّنا قد تبيّنا هذا المسار من خلال الآية القرآنية الآتية:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ۝ ﴾ [117]

فالمنطق الحجاجي الذي نستنتجه من خلال هذه الآية القرآنية، هي هذه الحجّة المنطقية: " كلّ من تمرّد على أمر الله هو عدوّ للإنسانية. إبليس تمرّد على أمر الله، إذن إبليس عدوّ للإنسانية".ويقُولُ تعالى :

﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ ﴾ [118]

ففي هذه الآية نجد أنّ الخطاب القرآني مبنيّ على أضرب ثلاثة: وهي مقدّمة كبرى فمقدّمة صغرى فنتيجة عامّة. نتمثّلُها كما يلي:

ـ المقدّمة الكبرى: من اتّبع الشّيطان كان مصيره جهنّم وبئس المصير.

ـ المقدّمة الصّغرى: الكافرون نسوا ذكر الله واتّبعوا خطوات الشّيطان.

ـ النّتيجة: إبليس والكـــــافرون هم وقود لنـــــار جهنّم وبئس المصيـر.

وهكذا فإنّ الدّراسة الحجاجية (Etude argumentatif) المطبّقة على قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، وردت على ضربين اثنين: ضرب فيه نجد أنفسنا أمام الحجج الإغرائية التي تبعث على إغراء السّامع وإذعانه، وهو الضّرب الذي استنجد به إبليس للغرور بآدم وحوّاء بدليل الآية:

---

[116] ***سورة الأعراف***، الآيات 19 – 20 - 21

[117] ***سورة الكهف***، الآية 49

[118] ***سورة ص***، الآية 83

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [119]

وأمّا الضّرب الثّاني، نحن فيه لا نبرح حدود المنطق المرادف للبرهنة والاستدلال، إذ هو يُعنى بتتبّع الجانب الاستدلالي في المحاجّة. وحصيلة كلّ هذا، أنّ التّكرار في القصّة الإبليسية المتراوحة بين أحادية الحادثة واختلاف الرّوايات وتنوّع التّعابير الفنّية. كانَ ذا معنى، ومعناه أنّ الشّيء إذ تكرّر تقرّر. وتقرير تكرار القصّة الإبليسية في الخطاب القرآني، كان بفضل الوظائف التي أدّاها الخطاب القصصي في قصّة إبليس. ذلك أنّ هذه القصّة القرآنية لم يُقصد بتكريرها فائدة الخبر على حدّ تعبير البلاغيين.

ومجمل القول، إنّ خطاب القصّة الإبليسية، لم يكن ليُعلّم النّاس التّاريخ أو يُؤرّخ لحادثة ولّى زمانها أو ليُذكّر الخلق بشيء من الأحداث. بل إنّ الخطاب القرآني صنع من هذه المواد وظائف متنّوعة، لها معان حقيقيّة مستخرجة من الأساليب التّعبيرية المختلفة. واستخراج هذه الوظائف من القصّة الإبليسية شبيه باستخراج المعاني المجازية من المعاني الحقيقيّة.[120] عندئذ يُتيح لنا استخراج وظائف قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، الإجابة عن سؤال اعترض سبيلنا وهو: لماذا اختلفت الحكايات والمحكي واحد؟ فالجواب والعهدة على الاسكافي صاحب "درّة التّنزيل وغرّة التّأويل" وعلى محمد أحمد خلف الله صاحب "الفن القصصي في القرآن"، هو أنّ الخطاب القرآني في هذا الموضع "لم يقصد أداء الألفاظ بأعينها، إنّما قصد ذكر المعاني. "ذلك أنّ الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود، كان اتّفاقها واختلافها سواء"[121]

فكلّما وجدنا أنفسنا أمام إشكالية قوامها: لم اختلفت الصّور وتباينت التّعبيرات الفنّية والأدبية في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني؟علينا أن نستنجد بالقاعدة الآتية: "ابحث عن المعاني الثّواني وأعرض عن المعاني الأوائل".[122] وبعد الذي سبق ذكرهُ تَجدرُ الإشارة إلى أنّ المتأمّل في قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني يلحظ أنّ إبليس نواة أسّ لا تغيب عن الأحداث القصصية. فهل سلطة إبليس ونصيبه من الأحداث كان كمّا أم هل كان فعلا ؟

2- إبليس في القصّة الإبليسية: سلطة الكمّ أم سلطة الفعل:

أ ـ هيمنة حضور إبليس في القصّة:

إنّ شخصية إبليس في القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني، تمثّل قطب رحى القصّ. شخصيّة تُشعّ بحضورها على كامل القصّة. وفي كلّ السّور التي ذُكرت فيها قصّة إبليس. فكلّما تكلّم إبليس مناورا لآدم وحوّاء أو محاورا للمولى، غابت الفواعل(آدم وحوّاء والمؤمنون والكافرون) وكلّما انزاح

---

[119] ***سورة طه***، الآيتان 117 - 118

[120] عبد الله صولة، ***الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية***، ج1، منشورات كلية الآداب بمنوبة2001، ص12

[121] ***الفن القصصي في القرآن***، ص450

[122] المرجع ذاته، ص452

إبليس عن الأحداث القصصية، احتاج إليه القاصّ ليُحرّك فواعل القصّة[123]. فلا محيص من أن نلاحظ من خلال هذه الإشارة أنّه كلّما تكلّم محور القصّ(إبليس) سكتت الفواعل الأخرى. وكلّما تكلّمت الشّخصيات الثّانوية، كان كلامها موجّها إلى البطل بتعلّة أن يتكلّم أو يُتكلّم عنه. فحتّى الحوار الذي دار بين المولى والملائكة، كان إبليس حاضرا فيه بالغياب. يقول تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[124]

فلا يخفى أنّ إبليس في القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني هو موضوع الكلام سواء كان إبليس حاضرا في العملية الخطابية أم غائبا عنها. وما تجدر الإشارة إليه أنّ هيمنة حضور إبليس في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني، عنوان دفعنا إليه السّؤال الآتي: هل سلطة إبليس في القصّة القرآنية هي سلطة كمّ أم هل هي سلطة فعل؟ فلو تدبّرنا خطاب القصّة الإبليسية المتواترة في بعض السّور القرآنية، فنجد شخصيّة إبليس كانت سلطتها القصصية كمّا وفعلا. وتبعا لذلك، نَقترح جردا جدوليا نتبيّن فِيهِ سلطة إبليس بين الكمّ والفعل.

إبليس في القصّة الإبليسية المكرّرة. بين سلطة الكمّ وسلطة الفعل.

السّور القرآنية	إبليس: سلطة الكمّ	إبليس: سلطة الفعل
سورة البقرة: من الآية34 إلى الآية37 ثمّ الآيتان 208 و268	ـ إلا إبليس: إبليس في محلّ مستثنى ـ أزلّهما الشّيطان:إبليس في محلّ فاعل ـ لا تتّبعوا خطوات الشّيطان: إبليس في محلّ مفعول به، مركّب بالإضافة ـ الشّيطان يعدكم: إبليس في محلّ مبتدأ	ـ إبليس أبى، استكبر، كفر، أغرى، أخرج آدم وزوجه من الجنّة. سلطة الفعل تتأسّس وفق معجم التّمرّد والعصيان بدليل الآية: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾
سورة آل عمران: الآية 175	ـ ذلكم الشّطان: إبليس في محلّ فاعل	إبليس يُذلّ، يُخوّف. بدليل الآية: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾
سورة الأنعام: الآية	ـ لا تتّبعوا خطوات الشّيطان: إبليس في محلّ	إبليس سلطة فعله تولّد عن طريق عداوته للإنسانية، وقد

[123] نقصد بذلك جدليّة الحركة والسّكون فكلّما كان البطل متحرّكا كانت الفواعل ساكنة لأنّ البطل يُشعّ عليها ويدخلها في سيّاق الأحداث. و كلّما كان البطل ساكنا احتاج القاصّ في القصّة الإبليسية إلى تحريك الفواعل الأخرى باتجاهه لتتنامى الأحداث. لذلك فإبليس هو قطب رحى القصّ في القصّة الإبليسيّة المكرّرة في الخطاب القرآني. انظر كتاب ***مقاربات منهجية: رسالة الغفران نموذجا***، بقلم كمال العزّابو، دار الميزان للنشر2001/2000 ، الفقرة الثّانية، ص 24.

[124] ***سورة البقرة***، الآيات 34 - 35

142	مركّب بالإضافة، مفعول به	ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾
سورة الأعراف: من الآية 11 إلى الآية 27	ـ إلاّ إبليس: إبليس في محلّ مستثنى ـ قال إبليس أنا خير منه: إبليس في محلّ فاعل ـ قال إبليس أُنظرني: إبليس في محلّ فاعل ـ قال إبليس فيما أغويتني: إبليس في محلّ فاعل ـ وسوس لهما الشّيطان: إبليس في محلّ فاعل ـ دلّهما الشّيطان: إبليس في محلّ فاعل ـ إنّ الشّيطان عدوّ مبين: إبليس في محلّ اسم ناسخ ـ جعلنا الشّياطين أولياء: إبليس في محلّ مفعول به.	رفض السّجود ـ الاستعلاء ـ الطّلب(أنظرني)ـ الوسوسة لآدم وحوّاء ـ القسم للإغراء ـ الفتنة سلطة الفعل تتأسّس على التّحدّي: بدليل الآية : ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾
سورة الحجر: من الآية30 إلى الآية 24	ـ إلّا إبليس أبى السّجود: إبليس في محلّ مستثنى ـ قال لم أكن لأسجد: إبليس في محل فاعل ـ قال ربّ أُنظرني: إبليس في محلّ فاعل ـ قال ربّ بما أغويتني: إبليس في محلّ فاعل	سلطة الفعل حصلت من خلال رفض السّجود والتّكبّر على آدم . ومن خلال الطّلب أيضا(فأنظرني). لذلك كانت سلطة الفعل منسوجة وفق: الرّفض، التّكبّر. وقد ورد في قوله: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
سورة النّحل: الآيات 100/99/98	ـ فاستعذ من الشّيطان الرّجيم: مفعول به مركّب بالجر ـ إنّ الشّيطان ليس له سلطة على الذين آمنوا: إبليس في محلّ اسم ناسخ(إنّ)	سلطة الفعل مردّها الإغواء، الإغراء، المراودة. بدليل الآية: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾
سورة الكهف: الآية 50	ـ...إلّا إبليس كان من الجنّ...: إبليس في محلّ مستثنى ـ فسق إبليس عن أمر ربّه: إبليس في محلّ فاعل	الأفعال التي تعكس سلطة إبليس(رفض السّجود لآدم، الفسق عن أمر ربّه...). والوجه في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ

		عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾
سورة طه: من الآية 113إلى الآية 117	ـ إلّا إبليس أبى...: إبليس في محلّ مستثنى ـ وسوس إليه الشّيطان: إبليس في محل فاعل	رفض الخضوع لآدم والسّجود إليه، الوسوسة من أجل الإغراء والغرور. بدليل الآية: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١١٧﴾ ﴾
سورة فاطر: الآية 6	ـ إنّ الشّيطان لكم عدوّ: إبليس في محلّ اسم ناسخ ـ يدعو الشّيطان حزبه: إبليس في محلّ فاعل	العداوة، التّحريض، الدّعوة: أفعال تؤكّد القيام بالفعل ومن ثمّ توظيف سلطة الفعل. كمثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾
سورة ص: من الآية 71 إلى الآية 85	ـ... إلّا إبليس: إبليس في محلّ مستثنى ـ يا إبليس: إبليس في محلّ منادى ـ قال إبليس أنا خير منه: إبليس في محلّ فاعل	أفعال السّلطة تتجلّى من خلال(استكبار، الاستعلاء، القسم،(فبعزّتك)...). والوجه في ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾
سورة الزّخرف: الآية62	لا يصدنّكم الشّيطان: إبليس في محلّ فاعل	صدّ/ عادى: فعلان جسّد بهما إبليس سلطته في القصّة الإبليسية بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾
سورة المجادلة: الآية 19	ـ استحوذ عليهم الشّيطان: إبليس في محلّ فاعل. ـ أنساهم: إبليس في محلّ فاعل ـ إنّ حزب الشّيطان...: إبليس في محلّ اسم ناسخ.	(استحوذ، أنسى...) سلطة الاستحواذ من قبل إبليس جسّدت سلطة الفعل. بحجّة قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾
سورة الحشر: الآية 16	ـ قال إبليس للإنسان: إبليس في محلّ فاعل ـ قال إبليس إنّي بريء منك: إبليس في محلّ فاعل ـ إنّي أخاف الله: إبليس في محلّ اسم ناسخ	(القول، الأمر بالكفر، إخلاء المسؤولية، الخوف من الرّب...) كلّها أفعال تجسّم السّلطة الفعلية في القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني.فقد ورد في السّورة: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

ونرى مفيدا في هذا الموضع من التّحليل أن نشير إلى حضور شخصيّة إبليس في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني كمّا وفعلا. قد حُظيَ بضربين من المدارات: فأمّا الضّرب الأوّلانيّ فيتمثّل في مدار الفاعلية، فيه هيمن حضور إبليس في الأحداث القصصيّة. إذ ذاك استحوذ على النّسيج الحكائي فكان مدار الفاعلية متوائما وأنظمة الحكاية [125]. ولتأكيد ما نقول أردنا أن نسوق هذا الشّاهد:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [126]

وقَد اقترنت صيغة الفاعلية في قصّة إبليس الحكائية في كثير من الأحيان بضرب ثانياني أطلقنا عليه تسمية مدار المفعولية. وضمن هذا الإطار كان "إبليس" بما هو الشّخصيّة المحورية في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني مفعولا به. ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى مخاطبا إبليس:

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [127].

فلا محيص من أن نلاحظ أنّ إبليس من خلال هذا الشّاهد أصبح في مقام المأمور الذي تسلّط عليه الحدث وما عليه إلّا التّنفيذ. وليس اجتماع هذه بتلك (الفاعلية والمفعولية) في هذا العنصر، أزواجا في بحثنا من باب الاعتباطية (arbitraire)، بل نحن نحاول جاهدين مراعاة الصّلة المبرّرة بين الصّيغتين، خشية أن تنقلب هذه الأضرب إلى اختيار شكلي. فَالحاصل من كلّ هذا، أنّنا عرضنا المدارين: الفاعلية والمفعولية، اللّتان أحاطتا بشخصية إبليس في القصّة لغاية منهجية هي أن سلّمنا البحث إلى نتائج عقب التّحليل. [128] فالمتأمّل في القصّة الإبليسية المكرّرة على مدى ثلاث عشر سورة، يلحظ أنّ الأفعال الصّادرة عن إبليس كان عددها سبع وثلاثين فعلا. والأفعال الموجّهة للشّيطان والصّادرة عن الخالق، مثّل عددها أربعة عشر فعلا. لذلك صحّ منّا العزم على أن نقوم بالمعادلة الآتية المَحفُوفَة بهَذا الجَدوَل :

التّواتر / المدار	العَدَد	النّسبة
مدار الفاعلية	37	%72,55
مدار المفعوليّة	14	%27,45
المجموع	51	%100

ـ مدار الفاعلية: (37×100)÷51= 72,55%.

ـ مدار المفعولية: (14×100)÷51= 27,45%.

[125] ***جدلية القصّة والشّعر***، ص118
[126] ***سورة الأعراف***، الآية 19
[127] ***سورة الأعراف***، الآية 12
[128] ***جدلية القصّة والشّعر***، ص124

ولعلّ الرّسم البياني الموالي يكون تكملة لهذه المعادلة:

رسم بياني: حضور إبليس في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني:

" مدار الفاعلية والمفعولية "

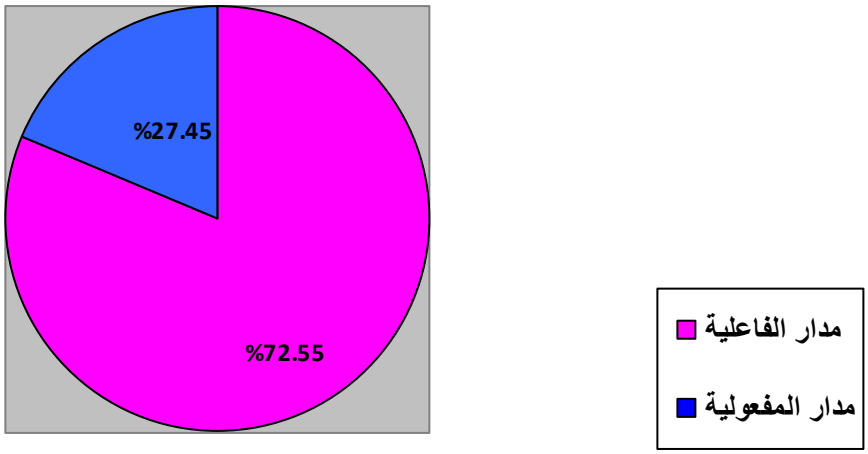

وبناء على ما تَقَدّمَ، نلاحظ أنّ المفعولية التي حظيَ بها إبليس في القصّ هي في وجه من وجوهها ضرب من ضروب التّبعيّة. وأنّ الفاعلية التي مارسها إبليس في القصّة الإبليسية هي نوع من أنواع الاقتِدَار على آدم وحوّاء لا على الخالق. حينئذ يتوجّب البحث في طبيعة التّحوّل من حال إلى حال،

ب ـ إبليس من التّبعيّة لآدم وحوّاء إلى الاقتِدَار عليهما:

لقد صحّ منّا العزم في هذا العنصر أن ننظر في مدى الطّواعية التّأويلة للعلامة الخطابية المنشئة للملافيظ (Les énoncés) والمؤثّثة للمقام التّلفّظي (contexte d'énonciation) وليس تطرّقنا إلى السّيميائيات التّأويليّة (sémiotique de l'interprétation) اختيارا اعتباطيا(Arbitrairement) أو تأنّقا استعراضيّا، إنّما هو اشتراط منهجي اقتضته طبيعة مقام الخطاب(discours) الذي انبنى على وجود طرفين اثنين، وهما إبليس من ناحية وآدم وزوجه من ناحية ثانية. وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أنّ التّلفّظ (L'énonciation) الذي أنشأه إبليس وتوجّه به إلى آدم، تكرّر في مواقع كثيرة من السّور القرآنية وبموادّ تعبيرية متنوّعة. وذلك لا يُعدّ علامات متنافرة، بل يجب أن ننظر إليه على أنّه إجراء دلالي.[129]

ولمّا كان التّأويل (L'interprétation) في عُلقة بالسّنن الثّقافي، فإنّ ذلك من شأنه أن يُصيّر"السّميوز"[130] من المستوى المباشر إلى المستوى الدّينامي، فالمستوى النّهائي. مستويات ثلاثة لها

---

[129] ***المقام في الأدب العربي***، ص108

[130] السّيميوز: مفهوم ابتدعه سعيد بنكراد ترجمة لمصطلح(Sémiosis)، ونعني به "أنّ المعاني لا تتحدّد بجواهرها، بل تعود إلى الإكراهات التي يفرضها نمط بناء كلّ شكل تعبيري على حدة..." . والعهدة على "محمد بن عيّاد" انظر كتابه ***"المقام في الأدب العربي"*** الفقرة الثّانية ص 108.

من الأضرب ثلاثة: بدءا بالأسر المقصدي الخطابي مرورا بالأسر المفعم بالمؤهّلات المعرفية وصولا إلى الأسر السّمتي.[131] فعندما يقول تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[132].

فلفظة الجنّة في هذا الشّاهد ـ في مستواها الأوّلاني المباشر ـ خُلوة من المقصديّة، فهي مازالت في مستواها الأكسيولوجي الخام. لكنّ هذه اللّفظة (الجنّة) في المستوى الثّانياني الدّينامي، تشدّ الرّحال في اتّجاه المقصديّة. فهي المكان الذي يدُرّ خيرا، بدليل قوله تعالى:

﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾

فالجنّة تصبح ذات قيمة، وقيمتها في خيراتها الفُرادة. وأمّا في المستوى الثّالثاني النّهائي، اكتملت مقصديّتها. ووجه المقصديّة فيها أنّها جزاء من الخَالِقِ لآدم وزوجه . فأين إبليس من هذا الجزاء؟ فَمن نافل القول أنّ إبليس الذي عصى ربّه وتمرّد على أمره، كان مآله الخروج من الجنّة. فعصيانه وتمرّده على خالقه ذُخر يجنيه يوم الحساب. فلا يخفى أنّ إبليس في تبعيّة لآدم، ذلك أنّ آدم خير منه لاعتبارات جمّة: (فهو الذي أطاع ربّه وهو الذي سكن الجنّة فضاء المتّقين، وهو الذي لم يأبى ولم يستكبر ولم يكن من الكافرين). فهو الذّات البشرية المعاكسة تماما لإبليس. وما أحوج إبليس إلى أن يكون مثل آدم وزوجه.

ولمّا كان من صفات إبليس المكيدة والحيلة والإغراءات والغُرُور، فإنّه اتّخذ أسلوب المناورة مطيّة، محاولا أن يُمارس سلطة على آدم ولو تحقّق ذلك في منتصف الطّريق. فهل مناورة منتصف الطّريق هذه أطروحة حسم ونجاح أم هل هي أطروحة تركيب وتلفيق؟ نقصد ما حظوظ نجاح إبليس؟ وما إمكانيات فشله. وعماد القول، هل تمّ تحوّل الذّات الإبليسية من حالة سابقة هي الانفصال عن آدم إلى حالة ثانية هي حالة الاتّصال وفق ترسيمة "كورتاس" وقوامها إيعاز(manipulation) وفعل(action) وتصديق(sentions) وكفاءة(compétence) ؟

إنّ التّأمّل في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني من جهة التّواصل والتّفاصل بين آدم وإبليس يُلاحظ أنّ البرنامج السّردي القصصي نهض على شكلين اثنين هما:

ـ حالة الانفصال(disjonction): الذّات الأولى (آدم وحوّاء) منفصلان عن الذّات الثّانية(إبليس).

ـ حالة الاتّصال(conjonction)[133]: ذات إبليس تعمل على أن تتصل ذات آدم بموضوع رغبتها.

ومن ثمّة فنحن ضمن هذا الإطار نتحرّك وفق ملفوظي حالة (énoncés d'état).

وليكون عملنا أكثر وضوحا أردنا أن نورد هذا الشّاهد:

---

[131] ***المقام في الأدب العربي***، ص112

[132] ***سورة البقرة***، الآية 34.

[133] A.J.G **Sémantique structurale recherche de métaphorique** منشورات1966 Librairie larousse ص ص 19- 20

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنَ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ ﴾ [134].

فوجود المُخَاطَب/ المتلقّي (allocutaire) نستدلّ عليه من خلال العبارات التّالية(نهاكما، ربّكما، تكونا، لكما...). وكلّ مخاطَب يكون معه بالضّرورة مخاطِب /متلفّظ. فكل تلفّظ جليّا كان أو مضمرا، هو مخاطبة (allocation) أو محاورة تتطلّب مخاطَبا بالضّرورة. فالضّمير المتكلّم(الأنا = الشّيطان) يدلّ على الفاعل المتلفّظ. والضّمير(أنت = آدم) هو الفرد الذي يحضر بما هو مخاطَب. [135] ولا يخفى أنّ بروز المشيرات الضّمائرية (أنا ـ أنت) لا يكون إلّا في عملية التّلفّظ ومن خلالها. فالضّمير "أنا" يدلّ على الفرد الذي تلفّظ بالكلام. والضّمير "أنت" هو الفرد الذي يحضر بصيغته مخاطَب.[136]

أليس التّلفّظ هو قول يقوله قائل ويتوجّه به إلى المخاطَب قصد التّأثير فيه؟ بلى. لذلك توجّه إبليس بالتّلفّظ إلى آدم قصد التّأثير فيه لغاية السّلطة عليه بعد التّبعية إليه؟ فأنّى ذلك؟

يُمثّل انتقال إبليس من حالة الاتّباع والمفعولية إلى مرحلة السّلطة على آدم وحوّاء في القصّة الإبليسية المكركرة في الخطاب المبين، علامة سيميائية مائزة. ذلك أنّنا نلاحظ انقلابا في الوضعيّة الإستراتجيّة لإبليس، بهدف تجريد آدم وزوجه من موضعهما وسلبهم قيمتهما. وكلّ ذلك كان بدافع أسّ وهو امتلاك إبليس القدرة أو الاستطاعة (pouvoir) على تحويل(transformation) عقلية آدم، ومن ثمّة كان دخول الشّيطان في عالم يسترجع فيه مجده. وفيه يتحقّق وعده. أَوَ لم يقل(إبليس):

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ۝ ﴾ [137]

وممّا لا شكّ فيه أنّ الأسر بتقلياته وتنويعاته هو سبيل إبليس لتحقيق سيادته على آدم. من ذلك نجد الأسر المقصدي ولا سيّما الضّرب المقصدي الجزئي.[138] فلمّا كان إبليس فاعل إغراء ومكيدة وحيلة،

---

[134] ***سورة الأعراف*** الآيات 18 – 19 - 20 - 21

[135] يقول إميل بنفينيست ,

« Toute énonciation est explite ou implicite, une allocution, elle postule un allocutaire »

Problèmes delinguistique général,2, منشورات Gallimard 1974 ص 82

[136] يقول بنفنيست:

« L'émergence des indices de personne (je_tu) qui se produit dans et part l'énonciation le terme « je » dénotant l'individu qui profère l'énonciation, le terme « tu », l'individu qui y est présent comme allocutaire »

نفس المرجع ص 82

[137] ***سورة الأعراف***، الآيتان 15 - 16

فقد فاضل وعاين ومن الخطاب انتقى ووازن. فكان تلفّظه(son énonciation) تلفّظا انتقائيّا وجيها. والانتقاء محمدة، إلّا هنا أي في هذا الإطار. فقد عرف إبليس أنّ الإنسان ـ ويمثّله في القصّة الإبليسية آدم ـ مسكون بهاجس الخلود والملك وحبّ البقاء، لذلك كان تركيزه منصبّا على هذه النّقطة دون سواها. والوجه فيما نقول، نجد قوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ ﴾ [139]

فلا ريب أنّ إبليس من وراء هذه الوسوسة، يحثّ آدم ومعه حوّاء على تعميق النّظر في المسألة. وضمنيا ينتظر منهما ردّ الفعل(L'acte de réaction). إنّها مناورة خداع وعملية هيمنة وبسط للنّفوذ وممارسة السّلطة. فالواضح إذن في الأسر المقصدي الجزئي الذي توخّاه إبليس هو علامة بمقتضاها حصل النّفع المرتجى وحقّق إبليس ما يبتغيه كأحسن ما يكون الابتغاء، ألا وهو هبوط آدم وحوّاء إلى الأرض ومن ثمّة كان الخروج من الجنّة. بدليل قوله تعالى:

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ قَالَ فِيهَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ ﴾ [140]

وإلى جانب الأسر المقصدي نجد الأسر بالمؤهّلات المعرفية[141]. وهنا برز إبليس في هيئة العارف المجيب عـن سؤال لمـاذا؟ لا سؤال كيف؟ فإذا خطر ببال آدم لماذا نهاه ربّه عن هذه الشّجرة؟ وجـد الجواب عند إبليس الـــذي أجاب فقـال:

﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ ﴾ [142].

والجالب للانتباه في هذا الشّاهد، أنّ إبليس ظهر مستأصلا بالمعرفة عبر الإدراك الجيّد للتّقنية اللّفظية. إذ ذاك استدعى أرقى الصّور والصّفات التي يتمنّاها المرء وصعب يدركها، من ذلك صفتي الملك والخلود. والطّريفُ في هذا الشّاهد أيضا أنّهُ يخضعُ للسّنن التلفّظي. فأصل الجُملة هُنا: [أنا الآنَ وهُنا أقولُ

---

[138] المراد بالمقصدية الجزئية: هو اقتصار على الجزئية لا الكلّية وهذه الجزئية عادة ما تكون نقطة الارتكازالجوهريّة في العمليّة الخطابيّة . فالمتلفّظ يبني موضوع كلامه بأكمله بالتّركيز على ناحية واحدة منه. يجلب من خلالها انتباه السّامع أو المتلقّي. انظر مثلا قول محمد بن عيّاد معرّفا المقصديّة الجزئية في كتابه ***المقام في الأدب العربي***، الفقرة الثّانية ص134.

[139] ***سورة الأعراف*** الآيتان 19 - 20

[140] ***سورة الأعراف***، الآية 22 - 23

[141] المؤهّلات المعرفية ضمن هذا السيّاق نقصد بها المعرفيّة الإغرائيّة. فإبليس ضمنيّا توجّه إلى آدم ليعلّمه بأنّه أهل مكرمة وقد خصّه الله بالجنّة وعلّمه الأسماء كلّها. لكن لا علم له بسرّ إبعاده عن الشّجرة وحرمانه الأكل منها، مقابل ذلك يعرف إبليس مكمن الحقيقة ولكن على سبيل المكر والإغراء فحسب. لذلك نحن نتحدّث عن المؤهّلات المعرفية الإغرائية الكاذبة. انظر ***كتاب المقام في الأدب العربي***، فيه يُعرّف "محمد بن عيّاد مفهوم المؤهّلات المعرفية. الفقرة 2 ص112.

[142] ***سورة الأعراف***، الآية 19

ما نهاكُما ربّكما عن هذه الشّجرة إلّا أن تكُونا ملكين أو تكُون من الخالدين]. ونحنُ إذ نُشيرُ إلى ذلكَ فإنّنا نستدلّ على حُضُور المُتَلفّظ من خلال حُضُور المُخَاطَب. من ذلك نجدُ : [نهاكُمَا بدلَ نهاهُما ، ربّكُما عِوَض ربّهُما...][143] فالأسر بالمؤهّلات المعرفية(المزيّفة) يتمثّل في أنّ نيل الخلود بمستطاع. ووجه الاستطاعة فيه هو الأكل من الشّجرة.

وهكذا انقاد إبليس ومعه حوّاء إلى وسوسة الشّيطان "فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة". ومن ثمّة كانت سلطة إبليس على آدم، فكفاءة إبليس(La compétence de diable) هي سلطة إغرائيّة بلغت أوجها لمّا انطلقت وسوسة الشّيطان وحيلته على آدم، فكانت سلطة الفعل. هذا إلى جانب الأسر بالسّمت [144]. وضمن هذا السّياق كان إبليس يمتلك القدرة على التّحكّم في بثّ الفكرة. فكان النّداء " يا آدم" وكان الالتماس المتمخّض عن الاستفهام "هل أدلّك على شجرة الخلد" كما ورد في قوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [145]

والمتأمّل في هذه الملافيظ الصّادرة عن إبليس المتلفّظ (L'énonciataire) من جهة الخبر، يُلاحظ أنّ إبليس من أجل بسط سلطانه وسلطته على آدم، توخّى سائر أصناف الحجاج كما يتّضح ذلك في هذا الجدول وهو بعنوان:

صنافة خطابية تؤكّد السّلطة الإبليسية:

نوع التّلفّظ	نوع الخبر	صفة الخبر	طبيعة المتلقّي: صيغة تأويلية احتمالية	وضعية المتلقّي "آدم"	المثال: الشّاهد القولي
تلفّظ تعليمي (énonciation pédagogique)	ابتدائي	خلو من أدوات التّأكيد	جاهل	مصدّق للقول لأنّ ذهنه خال من الموضوع	﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [146]
تلفّظ وعظي	طلبي	يتضمّن أداة توكيد واحدة	غافل	المتلقّي(آدم) بين الشّك واليقين في قبوله الموضوع	﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [147]

[143] كاترين كيربرات أوركيُوني **L'énonciation de la subjectivité dans la language** منشُورات Librairie Armand , Colin, Paris 1980 ص ص 40 و 45 .

[144] السّمت بالفتح وسكون الميم بمعنى الطّريق أو المسلك والأسلوب الحسن وحسن الأسلوب هنا يكون بتَعلّة بلوغ المقصد وتحسّس الطّريق المستقيم للتّأثير في المتلقّي. انظر مثلا ***موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم***، ص971. وكذلك كتاب محمد بن عيّاد ***المقام في الأدب العربي***، الفقرة الثّانية ص122.

[145] ***سورة طه الآية*** 117

[146] ***سورة الأعراف*** الآية 19

[147] ***سورة الأعراف*** الآية 20

والحقّ، أنّ هذه الأضرب الأسرية التي ذكرناها آنفا والتي بمقتضاها، بيّنّا سلطة إبليس على آدم وحوّاء. هي في علقة بصنافة ثلاثيّة أدرجها "أوستين" في ما يُسمّى بالأعمال الكلامية (L'acte de parole) وهي: عمل القول (L'acte de locution)، فعندما يقول إبليس مخاطبا آدم وزوجه:

﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [148]

يكون قد أنتج معنى مفاده تقديم معرفة كان يجهلها آدم. غير أنّ عمل القول هذا، الضّابط لمعنى والمحيل على مرجع(référence) في الطّبيعة (الشجرة) يتجاوز حالة النّصح إلى الإغراء من أجل الإطاحة بآدم ونسف مكانته، ومن ثمّة ممارسة السّلطة عليه. لذاك فالعمل الذي أنجزه المتلفّظ، طبّق أحكام النّحو والصّرف يُفضي إلى إنتاج المعاني (Les senses) بالمفهوم التّقليدي المتمثّل في ضبط المعنى وما يُحيل عليه من مرجع[149].

وهذه إفادة ندركها بالقرائن السّياقية (justifications contextuels) لتحديد قصدية المتلفّظ، فإبليس وهو المتكلّم ضمن هذا السّياق، غرضه من هذا الكلام هو تشويه مكانة آدم والحطّ منها. إنّه ضرب من ضروب الممارسة السّلطاوية. هذا فضلا عن العمل المقصود بالقول(l'acte d'illocution) فعندما يتوجّه الشّيطان بالكلام إلى آدم:

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [150]

يكون العمل المقصود بالقول هنا، دعوة آدم المخاطَب إلى اتّباع طريق الخلود والملك. لهذا يُعرّف أوستين العمل المقصود بالقول على النّحو الآتي: "العمل المقصود بالقول هو الذي يتحقّق ونحن نقول الأشياء خلافا لعمل القول" [150] وبالفعل، فقد تحقّق الفعل، فعل السّلطة والتّسلّط من قبل الشّيطان وهو يقول الأشياء. - هذا إلى جانب التّأثير بالقول(l'acte per locution) والتّأثير القولي هو ضرب من ضروب ممارسة السّلطة فهو الأسلوب الذي اعتمده الشّيطان ليُغري آدم. من ذلك قوله:

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [151]

---

[148] ***سورة الأعراف***، الآية 19.

[149] يقول ج.ل.أوستين:

L'acte de locution « la production de son appartenant à un vocabulaire et à une grammaire et auxquels sont rattachés un « sens » et une « référence » c'est-à-dire une « signification » au sens classique du terme ».

Quand dire c'est faire منشورات Seuil 1970ص 28

[150] يقول :

« Produit en disent quelque chose, et consistant à prendre manifeste comment les paroles doivent être comprise en ce moment ».

Loc.Cit. ص 128

[151] *سورة الأعراف*، الآية 20

فلا شكّ أنّ هذا الشّاهد محمّل بمحاولة الإقناع والحمل على الاعتقاد وإنارة السّبيل. ولا يخفى أنّ محاولة الإقناع هنا هي محاولة إغرائية توخّاها الشّيطان ليُخرج آدم من الجنّة. فقد بذل قُصاره ليجعل آدم يعتقد أنّ إبليس كان له من النّاصحين. وبذلك يكون إبليس قد أنار السّبيل، سبيل تحقيق سلطته ومن ثمّة انتقل من التّبعيّة لآدم وحوّاء إلى التّسلّط وممارسة السّلطة عليهما. لهذا يشير "أوستين" إلى أنّ العمل القولي التّأثيري هو العمل الذي ننتجه أو ننجزه بواسطة قول شيء من الأشياء.[152] وتِبَعًا لِذَلِكَ أعلان الشّيطان هزيمة آدم أمامه، ومن ثمّة تركه يتحمّل مسؤوليته لوحده، فلكلّ امرئ شأنه وشأنه يُغنيه.

ج: إعلان الهزيمة وإخلاء المسؤولية:

الهزيمة التي عنها نتحدّث، هي هزيمة اقتراف الفعل، أو لنقل هي هزيمة في الواقع. هزيمة ناءت على آدم وحوّاء بكلكلها. ولعلّ الحديث عن الشّيطان الذي غالط آدم وكان السّبب في خروجه من الجنّة والنّزول إلى الأرض، هو حديث عن الذّات الإبليسية في شكل فنّي يتضمّن عمق الموقف وكثافة الإيحاء[153]، فإبليس الذي أخرجه الله من الجنّة وقدّم خيراتها لآدم عطاء حسابا، رأى(أي إبليس) أنّ في ذلك ضعفا له، فما كان منه إلّا أن تدبّر أمره وخاطب آدم خطابا مزدوجا: خطاب في حدود الظّاهر وخطاب يغوص في أعماق المومإ إليه. وتِلكَ أشكال تخوّل لنا الغوص في التّأويل. ونستدلّ على ذلك بقوله:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [154]

نستضيء هنا بالمعجم اللّفظي ومنه نستقي الدّلالة، فنلمح في هذا الشّاهد ثلاثة مصطلحات هي من الأهمّية بمكان وهي: (أزلّهما ـ أخرجهما ـ اهبطوا)، فالفعل "أزلّهما" فاعله إبليس والمفعول به هو آدم وحوّاء. وهو فعل في أبعد معانيه يعني نجاح الخطّة المناوريّة الإبليسية. إذ ذاك، أغرى إبليس آدم بأنّ سبيل الخلود هو الأكل من الشّجرة. وبهذه المناورة الخداعيّة انقاد آدم وراء وسوسة الشّيطان، فانطلت عليه الحيلة. وحينئذ شهد هزيمته وتحمّل مسؤوليته. أولم يقل له الخالق:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [155].

---

[152] يقول:

« L'acte de perlocution produit par le fait de dire quelque chose, c'est-à-dire que l'acte donne lieu à effets »

Loc.Cit ص 28

[153] عبد الرزاق الهمّامي، ***الحكاية والتّأويل***، أطروحة دكتورا بإشراف حسين الواد، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب بمنوبة، جوان 1999، ص304

[154] ***سورة البقرة***، الآية 35.

[155] ***سورة البقرة***، الآية 34

فالإخلال بالوعد واتّباع خطوات الشّيطان هي **هزيمة من الدّرجة الأوّلانيّة**، ثمّ إنّ الفعل"أخرجهما" احتلّ فيه إبليس مرتبة الفاعل، فكان آدم وحوّاء من نصيب المفعول به، لا المفعول به من نصيب آدم وحوّاء. وهذا قول مقول لا قول للمقول. فالمتأمّل في الفعل "أخرجهما" يلحظ أنّه فعل محمّل بأوزار دلالية، أهمّها على الإطلاق الشّعور بالقهر والذّنب، لذلك قال:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [156]

فعصيانه لأمر ربّه وانسياقه وراء خطوات الشّيطان، أمر جعله يُحسّ بذنب كبير ويشعر شعور المقهورين المنهزمين النّادمين.[157] وهذه **هزيمة من درجة ثانية.**

وأمّا فعل "اهبطوا" فهو أمر، والآمر فيه هو الله والمأمور هو آدم ومعه حوّاء. ولعلّ الدّلالة التي يُحقّقها هذا الفعل الوارد في صيغة الأمر ضمن هذا السّياق هو حركة النّزول، ومن ثمّة يحلّ منطق الأسافل محلّ منطق العلو، أي توديع الجنّة ومفارقة ملذّاتها والنّزول إلى الأرض وتحمّل مشاقّها. فآدم قد عصى أمر ربّه، ذلك أنّ الله أخبره بألّا يقرب وزوجه الشّجرة وأن لا ينقاد وراء وسوسة الشّيطان. بدليل:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [158].

بيد أنّ آدم أغراه الشّيطان وحقّق رغبة "كلّ ممنوع مرغوب فيه"، وأكل من الشّجرة

﴿ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾

. وهذه **هزيمة من درجة ثالثة.** وَبهذه الدّرجات الانهزامية الثّلاث، نتبيّن إعلان هزيمة آدم وحوّاء أمام إغراءات إبليس ووسوسته. ووجه العلنيّة هنا هو إخلاء المسؤولية، ذلك أنّ إبليس ترك آدم وحوّاء يعمهان في قهرهما وغاب عن الأحداث غياب دفع بآدم إلى "البحث عن الجواز"[159]. فما كان عليه إلّا أن يتحمّل مسؤوليته "وما الله بظلّام للعبيد". فما السّبيل لتجاوز هذه المعصية ؟ لا شيء أجلب إلى الذّهن من أن يلتمس آدم الغُفران من الله. وهذا هو الطّريق الذي سلكه. إذّاك ورد في الخطاب القرآني:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [160]

فآدم لمّا التمس من الله المغفرة لم يقل "ربّ لقد ظلمنا الشّيطان"، وإنّما قال " ظلمنا أنفسنا". وهذا ما عبّرنا عنه بتحمّل المسؤولية.

---

[156] ***سورة الأعراف***، الآية 22

[157] نقصد هنا أنّ العالم الذي يتحرّك فيه آدم هو عالم القهر، عالم القمع. ذلك أنّ إبليس مارس عليه سلطة قمعية عن طريق الأسلوب الإغرائي والأفكار المغرية، فالخلود والملك قيم وجوديّة لأجلها يسيل اللّعاب. لهذا وظّفها إبليس ليهزم آدم ومن ثمّة يُخرجه من الجنّة. ولمّا عرف آدم أنّ

[157] الشّيطان كان له عدوّا مبينا، وقتها تجرّع طعم الهزيمة. انظر مثلا كتاب عبد الرزاق الهمّامي، ***الحكاية والتّأويل***: الفقرة الثّالثة ص322.

[158] ***سورة الأعراف***، الآية 18

[159] توفيق بكّار، ***في تقديمه لرواية السّد*** لمحمود المسعدي، ص13

[160] ***سورة الأعراف***، الآية23.

خـــاتمة الفصـــل الثّانـــي

وبعد ـ وقد أسلمنا الفصل الثّاني من عملنا إلى خاتمته. قد عرفنَا سرّ التّكرار: تكرار قصّة أحادية الحادثة. وهو أنّ الشّيء إذا تكرّر تقرّر، وإذا كان المعنى ثابتا لا متغيّرا كان اتّفاق الألفاظ واختلافها سواء.[161] ومن ثمّة لا نشتطّ في القول ولا نجانب الصّواب في شيء إذ نحن حصرنا البنينة اللّوجيكيّة (البناء المنطقي) في العمل الخطابي المتبادل بين إبليس وآدم وما يشوبه من ديالكتيكيّة. وفي هذا الإطار يستوي البعد العلائقي بعدا قائما في قلب المساعدة ، عن جوهر العلاقة البيذاتية كما يتّضح ذلك في قوله:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [162]

وهكذا فإنّ الاستعانة بالمفاهيم الفلسفية، كان لها الفضل الكبير في مساعدتنا على استجلاء الأنماط العُلقيّة ونظام التّراتبية الذي نشأ بمقتضاها.[163] فكانت تراتبية الهيمنة الإبليسية من جهة الحضور في القصّة، ليليها مباشرة ضرب لعصا التّرحال ، ترحال من التّبعية لآدم وحوّاء إلى السّلطة عليهما. وإذا نظرنا في هذا التّحوّل من التّبعيّة إلى السّلطة، عبر أجزاء القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني. أمكن لنا القول، إنّ هذا الوضع المتحوّل (Léta changeable) مرشّح لتحقيق هزيمة آدم وإخلاء المسؤولية له. وفي هذا الهامش من المآل الحاصل، كانت رغبة آدم ومعه حوّاء في الاتّصال بالذّات الإلهيّة طوعا. مؤكّدان بذلك، أنّ الانفصال عنها كان كرها، وهو ما تُؤكّده الآية:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [164].

هكذا تبدو لنا القيمة الفنّية في المناورة الحواريّة، تقنية خطابية قوامها الإخفاء والمراوغة.[165] ومن ثمّة كانت قصّة إبليس المكرّرة من هذا المنظور القصصي، قصّة أتاحت لنا فرصة الفهم. والفهم هنا بالمنظور التّأويلي. "فكان العثور على المعنى من جديد"[166] بتعلّة معرفة القصديّة من المراوغة الخطابية. والحقّ كلّ الحقّ هو معرفة الآخر من وراء خطابه. فلئن أسلم آدم قياده للشّيطان معتبرا كلامه شرعيّة، فقد اتّضح في خاتمة المطاف أنّ كلام إبليس خلو من كلّ شرعيّة. لهذا يقول محمّد بن عيّاد:" الفهم يزداد فهما كلّما تطلّع إلى مزيد من فهم الآخر الأكثر أصالة أو إلى أكثر ما ينطوي عليه الآخر من أصالة"[167].

فدونك الآن الفصل الثّالث يا قارئ.

---

[161] ***درّة التّنزيل وغرّة التّأويل***، ص 141

[162] ***سورة الحشر***، الآية 16

[163] ***المقام في الأدب العربي***، ص167.

[164] ***سورة الأعراف***، الآية 22.

[165] أنظر كتاب ***لمقام في الأدب العربي***: فصل القيمة الحجاجية والإخفاء الإيديولوجي، فقرة 3، ص191.

[166] ***المقام في الأدب العربي***، ص 192

[167] المرجع نفسه، ص192.

مدخــل مفهومــي

الدّلالــة: المقصود بالدلالة هو ما يفهم من غير قصد من المتكلّم. فالدلالة إذن هي فهم المراد وفهم المعنى من اللّفظ وما سواه .لهذا يمكن أن نطلق على مفهوم الدلالة فحوى الخطاب.[168]

اللّــفــظ: ينهل من جذر(ل،ف،ظ) و الفعل منه تلفّظ. واللّفظ هو واجب بمقتضى عقد قانوني. واللّفظ لا بُدّ أن يكون منجزا (Exécutée).من جهة التصنيف نجد اللّفظ المعطّل (terme suspencif Le) وهو وثيق الصّلة بالتّأريخ. هذا إلى جانب اللّفظ المسقط (Le terme extinctif) الذي يُطلق عليه "ابن هشام الأنصاري" اللّفظ المهمل. وبذلكَ فاللّفظ وحدة تلقيب Le terme est une unité de (dénomination) ينتمي إلى علم المصطلحات (La terminologie).[169] فمــا الــجملـــــــة؟

الجملــة: تتكوّن من الجذر (ج،م،ل) وهي سلسلة من المواضع يربط بينها عامل ويحدث في مكوّناتها الإعراب.[170] وتُعدّ الجُملة أيضا وحدة تركيبيّة تتميّز سيميائيّا بكونها مستقلّة دلاليا وصوتيا وتتطلّب الجُملة تكلّف أثناء تغيّر طبقة الصّوت.(Phrasé de modulation) وتتميّزُ كذلك بكونها تحمل افتراضات عدّة ومع ذلك تبقى الخصيصة الصّوتية ثابتة. فهذان المقاربتان (Ces deux proches) أن يُحدّدا معنى الوحدة التركيبيّة.[171]

السيّــاق: هو لفظة تتكوّن من الجذر(س،و،ق) وما يهمّنا هو سياق الكلام أي الأسلوب الذي يجري عليه الكلام. والسيّاق البعيد في المنطق هو شكل من أشكال القيّاس يكون الحدّ الأوسط فيه مسندا في المقدّمة الكبرى ويكون مسندا إليه في المقدّمة الصغرى.[172]

---

[168] ***كشّاف اصطلاحات الفنون و العلوم***، ص ص 787-788

[169] انظر أ.ريي و جون دي بوف الذان أوردا ما يلي:

Le terme est une dette est retardée par contrat ou par la loi et doit etre exécutée (terme suspensif) date à la quelle est fixée l'extinction d'une obligation (terme extinctif) . Le terme est l'expiration d'un délai « tout ce qui est payable par année ona des termes périodiques plus court ». Le terme unité de dénomination appartenant à une terminologie . Il ya d'autre terme qui donnent une équivalence à l'aide d'autre mots .

Le petit Robert منشورات 1992 Revue ص 1945 .

[170] ***المعجم المفصّل في اللّغة و الآداب***، ص ص 532-533

[171] ذهب كلّ من أ.ج.قريماس و ج.كورتاس إلى القول:

La phrase c'est une unité de la chaine syntagmatique caractérisée sémantiquement par l'autonomie relative de sa sinificaton et phonétiquement par présence de démarcateus de nature prosodique(pause et phrasés de modulatin).

La phrase peut comporter plusieurs propositions et que les critères phonétiques restent incertains. Ces deux approches cherchent en effet à spécifier la phrase par autre chose que cequ'elle est une unité syntaxique.

Sémantique dictionnaire raisonné de la théorie de language منشورات 1993 Hachette ص 280

[172] حسن سعيد الكرمي ***قاموس الهادي إلى لغة العرب***،الجزء الثّاني،الطّبعة الأولى 1411هـ /1991 م دار الطباعة و النّشر .بيروت – لبنان، ص 408.

مقدّمة الفصل الثّالث

خارجة عن الصّفّ بلا ريب، القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القُرآني. فالمعمار القصصي فيها من أين يُؤتى؟ إنّ سرّ الصّنع في ذات المصنوع وذات المصنوع، لفظ متعاود وجمل مكرّرة وسياق متواتر. وكلّها آيات من الفنّ، بها تشكّل الخطاب الإعجازي في قصّة إبليس. وقد شاع تكرار الألفاظ المؤتلفة وتعدّد تواتر الجمل المتشابهة وتنوّعت السّياقات المتحالفة في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني، شيوعا أضحى بموجبه التّكرَارُ آلية تقنية.

فأمّا الضّرب الأوّل الذي نقصد، هو تكرار اللّفظ في السّور القرآنية التي تواترت فيها قصّة إبليس. فالبيّنُ، أنّ الخطاب القُرآني في مجمله تمّ فيه "استعمال اللّفظ في المعنى اللّغوي نفسه"[173]. وتبعا لذلك، كانت ذخيرتنا على مستوى اللّفظ، ألفاظ تتواتر بحروفها الأصول أي بجذورها. وهذا ما عبّر عنه عامر الحلواني بـ" التّكرار الجذري"[174]. هذا فضلا عن التّكرار غير المباشر أو التّكرار الحرفي مع المباعدة والفصل بالأداة[175] وما سواه. وأمّا الضّرب الثّاني الذي وسمناه بتكرار الجُمل، فيه نجد الجُملة الاسمية والفعلية. وهذه الأنواع من الجُمل وردت في مُجملها متشابهة في زهاء ثلاثة عشر سورة قرآنية. وممّا لا شكّ فيه أنّ الألفاظ في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني وإن ائتلفت وأنّ الجُملَ في هذا الموضع وإن تشابهت، تبقى جميعا آليات تقنية لها سياقها الخاص الذي تنزّلت ضمنه. لذلك رأينا أنّه من الجدوى، النّظر في دلالة الائتلاف في القصّة الإبليسية من جهة السّياق حتّى يكتمل البناء المنهاجي.

ولئن وجدنا أنفسنا وجها لوجه مع السّؤال: ألا ينضاف معنى جديد إلى الألفاظ والجمل والسّياق رغم ائتلافها؟ [176] فإنّنا نُجيب بشبه يقين: إنّ ائتلاف الألفاظ والجمل في قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني يحافظ على المعنى ذاته. وذلك وفقا للقاعدة الآتية: نفس اللّفظ أو نفس الجملة في نفس السّياق، يُؤدّي حتما إلى نفس المعنى. وبناء على ما تقدّم يمكننا القول، إنّ التّكرار ضمن هذا الإطار،هوعملية جمع لا عملية ضرب.[177] لهذا نحن نتحرّك وفق تكثيف مادّي وهو التّكثيف على مستوى العدد.[178] فلا ريب أنّ طرقنا باب دلالة الائتلاف في قصّة إبليس المكرّرة على مستوى اللّفظ والجملة والسّياق، يفتح لنا الآفاق أمام آيات مهندسة الشّكل لعوب. يمضي بنا اللّفظ في السّور القرآنية ثمّ يؤوب. والجملة تُعلّق وتُسوّف والسّياق ثابت لا يُفاجئ. وما عرضنا ذكرنا هذا، فمن التّحالف الدّلالي لفظا وجُملة وسياقا ما لا يخفى عن نظر الفاحص.

---

[173] عامر الحلواني، ***جمالية الموت***، الطّبعة الأولى، جوان 2004، مطبعة التّسفير الفنّي صفاقس ـ تونس، ص 155

[174] ***جمالية الموت***، ص 159

[175] حاتم عبيد ***وظائف التّكرار في القرآن***، شهادة الدّراسات المعمّقة: إشراف محمّد الهادي الطرابلسي، السّنة الجامعية 1997/1996، ص73

[176] انظر كتاب عامر الحلواني، ***جمالية الموت***، الفقرة الأولى، ص 158.

[177] محمّد الهادي الطرابلسي، ***خصائص الأسلوب في الشّوقيات***، منشورات الجامعة التّونسية: المطبعة الرّسمية للجمهورية التّونسية ، 1981، ص62.

[178] المرجع ذاته، والصّفحة نفسها.

III - دلالة الائتلاف في تكرار قصّة إبليس:

1 - على مستوى اللّفظ

إنّ الدّلالة التّشابهية لا تتمّ بواسطة فعل القراءة فحسب، وإنّما تتمّتها تجري كذلك على نطاق تشابه الوضعيّات.[179] في حيّز النّسيج القصصي. ولتأكيد هذا الرّأي، بوسعنا أن نستدلّ بنماذج تطبيقيّة مستوحاة من القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القرآني. ولا أدلّ على ذلك من تشابه التّلاؤم (La similitude de convenance)[180] بين اللّفظين المؤتلفين. والائتلاف ضمن هذا الإطار، كان بحكم اشتراك العبارتين في الحروف الأصول وهذا ما وسمناه بالاشتراك الجذري بين الألفاظ. وهذا الأفق الذي قصدنا ليس قصدا به اعتدنا، وإنّما تكرار هذا الضّرب الفنّي التّقني ظلّ ويظلّ وعلى الدّوام يظلّ حلما جميلا من أجله سنوغل في الدّرب، بُغية إيجاد الدّلالة. هكذا إذن ينمو الجذر داخل اللّفظ. فإذ اللّفظ إلى اللّفظ لا يُساييرُهما إلّا ضرب من ضروب الائتلاف الجذري. وقد وسمنا ذلك كذلك لأنّ الكلمات من فينة إلى فينة تعاد بجذورها لا بحرفيتها.[181] ونَستَدلّ على ذلِكَ من خلال قوله تعالى:

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ ﴾[182].

فاللّفظ ومن ورائه التّكرار هو الذي يُتيح لنا تأويل الوضعية لتفسير الدّلالة. ففي هذا الشّاهد نجد ضربا من ضروب التّكرار وهو" التّكرار الجذري"، حيث تكرّر الجذر(س،ج،د) مرّتين. إذ ذاك تألّف منه الفعل (سجد) في قوله "سجد الملائكة..." ونُسج منه المفعول معه (مع السّاجدين) في قوله "...أبى أن يكون مع السّاجدين". فقد ساعد التّكرار في هذا الموضع على ترسيخ دلالة رفض الشّيطان لتعليمات خالقه. فالمُقابلة السّياقية الظّاهرة في الشّاهد القرآني المذكور آنفا، تكشف لنا خروج إبليس عن صفّ الملائكة. وقد تأكّد ذلك من خلال التّكرار اللّفظي (سجد/ السّاجدين) الذي دلّ أيضا على عناد إبليس وتمرّده وعصيانه. وهكذا جاء الحديث عن الشّيطان بالاستثناء (إلّا إبليس)، فالاستثناء هنا كان بتعلّة الخروج عن طاعة الله، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان تكرار اللّفظين المؤتلفين في الجذر (سجد/ السّاجدين) في الشّاهد الذي ذكرنا، أسلوبا تقنيا أراد به الله أن يُذكّر الخلق في كلّ مرّة بكبرياء الشّيطان واستعلائه. فما

---

[179] هذا ما ذهب إليه محمّد بن عيّاد في إطار حديثه عن البعد التّشابهي فهو القائل"إنّ الاحتكاك الثّقافي لا يتمّ عن طريق فعل الكتابة بقدرما يجري على نطاق تشابه الوضعيات في حيّز الفعل القرائي..." انظر كتابه ***مسالك التأويل السيميائي***، فصل أبعاد الرؤية، عنصر البعد التشابهي الفقرة الأولى، ص 134

[180] تشابه التلائم: نعني بالتشابه التحالف أو الائتلاف ونعني بالتلائم ملاءمة الشّيء الأوّل للشيء الثّاني. ومن هنا تتولّد عُلقة بين الشّيئين المتشابهين ولعلّ هذه العلقة أو هذه الصّلة المنعقدة بين المتشابهين مردّها التجاور المكاني. ولا أدلّ على ذلك من كثرة الكلمات أو الألفاظ المتشابهة والمتجاورة
لبعضها البعض في القصّة الإبليسيّة المكرّرة. انظر كتاب محمّد بن عيّاد ***مسالك التأويل السيميائي*** الفقرة الأولى ص 135

[181] يقول عامر الحلواني" عندما تتكرّر هيئة مغايرة وصيغة صرفية مختلفة، يُصيبها تغيّرينال من إحدى مقولاتها النحويّة أو الصرفية أو كليهما معا، فنحن إزاء تكرار جذري لأنّ الكلمات تعاد بجذورها لا بحرفيتها". ورد في كتابه ***جمالية الموت***، الفصل الثّاني أساليب التّأثير ووظائفها،عنصر
التكرار في مستوى الكلمة، الفقرة الأولى، ص 159

[182] ***سورة الحجر***، الآية 31/30.

ائتلاف اللّفظ في هذا الموضع بصيغة تكرارية، إلّا دليلا على أنّ التّكرار تعليل لعملية الإباء والاستكبار من قبل إبليس.[183]

وإلـــــى جـانب التّـكرار الجـذري للّفظ ، نـجد ضربـا ثان مـن التّكـرار اللّفظـي وهـــــــو: " التّكرار اللّفظي الحرفي مع المباعدة والفصل بالمركّب". نقصد بهذه التّسمية التي أطلقناها على هذا الضرب من ضروب التّكرار اللّفظي، أنّ الكلمة تكرّرت بحرفيتها، حيث حافظت كلّ لفظة على الحروف ذاتها التي تألّفت منها شبيهتها. ومن هنا تأتّى التّكرار الحرفي للكلمة. ونعني بالمباعدة والفصل بالمركّب، أنّ اللّفظتين المتكرّرتين تباعدتا جرّاء الفصل بينهما بنوع من أنواع المركّبات. فالنّوعية التّركيبية التي تتوسّط العبارتين هي تركيب واصل فاصل، يفصل بين الكلمتين من جهة المسافة ويوصلهما ببعضهما البعض من جهة الحرفية والمعنى. ولنكون على رويّ، لنا أن نعتدّ بهذا الشّاهد:

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾[184]

فلا محيص من أن نلاحظ أنّ الفعل (خلق) تكرّر مرّتين في هذا الشّاهد، وفي كلّ مرّة كان مردوفا بالفاعل والمفعول به. ففي قوله خلقتني نجد: فعلا+ فاعلا+ مفعولا به. وفي قوله خلقته نجد: فعلا+ فاعلا+ مفعولا به. ويمكن أن نلحظ أنّ بين (خلقتني) و(خلقته) نقطة فاصلة بين اللّفظتين وهي المركّب بالجر. ويمكن أن نوضّح هذا الرّأي بالمثال الآتي:

مثال يجسّم التّكرار اللّفظي مع المباعدة والفصل بالمركّب

﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾

مركّب بالجر: فاصل بين

اللّفظتين ا تكرار حرفي (خلقت) ×2

ففي هذا الشّاهد كان تكرار لفظة (خلقت) من أجل دلالة، وهي إفصاح إبليس عمّا يُكنّه من فهم خاطئ لطبيعة العناصر. إذّاك توهّم أنّ الطّين الذي منه خُلق الإنس أقلّ مرتبة من النّار التي خُلق منها الشّيطان. وبمقتضى هذه المعادلة، امتنع إبليس عن السّجود. فما يمكن أن نستنتجه من هذا التكرار هو أنّه تكرار لفظي معلّل، وكأنّ إبليس فهم أنّ عنصر المخلوقية هو الذي يُعطي التّمايز. ومن ثمّة تجاهل أنّ الأمر هو إرادة المعنصرالذي يُرتّب المراتب بحكمته وليس على هوى أحد من المخلوقات.[185]

وعلى هذا الأساس، أتاح لنا تكرار اللّفظة (خلق×2) "خلقتني من نار وخلقته من طين"، أنّ قناعة إبليس بوجود عنصر أفضل من عنصر، هو الذي زيّن له عدم الامتثال لأمر السّجود. ولا يخفى أنّ عدم

---

[183] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7698.
[184] ***سورة ص***، الآية 75
[185] **تفسير الشّعراوي**، المجلّد الثّاني عشر، ص 7699.

امتثال الشّيطان لأمر الله من خلال رفضه عمليّة السّجود، مثال لا يتقرّر إلّا باللّفظ الذي يتكرّر، لذلك ذهب الخطيب الإسكافي إلى أنّ الشّيء إذا تكرّر، في الذّهن تقرّر. ومن آيات التّكرار اللّفظي كذلك، نجد: "التّكرار اللّفظي مع المباعدة والفصل بالأداة ".فقد تخيّرنا هذه التّسمية دون أخرى، ذلك أنّ الكلمتين المتكرّرتين متحاذيتان جنبا إلى جنب. بيد أنّ هناك أداة تفصل بينهما. ونظرا لوجود هذه الأداة بين اللّفظتين المتعاودتين. أضفنا إلى لفظة "التكرار" عبارة "المباعدة بالأداة". ولئن كان البعض يرى أنّ عبارة(الفصل) في هذا العنوان زائدة، فإنّنا نُجيب: أردنا بكلمة الفصل بالأداة، أن نؤكّد أنّ المسافة بين اللّفظتين المتكرّرتين ليست بعيدة، بل إنّ حجمها يساوي الأداة الفاصلة[186] نوضّح ذلك من خلال قوله:

﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ [187]

نلاحظ إذن أنّ المخاطِب قد فصل بين "الحقّ" الأولى و"الحقّ" الثّانية بأداة عطف وهي "**الواو**"، فكانت حرفا في هذا الخطاب للوصل، تعطف الحقّ على الحقّ فتصافي بين الكلمتين وتؤاخي. فلا محيص من أن نلاحظ أنّ هذا التّوكيد اللّفظي في أبعد أبعاده، آية من آيات القسم. إذ ليس التّكرار اللّفظي في هذا المقام من أجل غاية صوتية، إنّما دلالته تتجاوز هذا. فالله في هذا الخطاب ومن خلال هذا التّكرار اللّفظي المؤتلف، يقسم بذات الحقّ وكرّر أنّه لا يقول إلّا الحقّ لغاية الرّدّ على الخصم (إبليس) أو الخصوم (حزب الشّيطان). ومن ثمّة يبيّن الله لإبليس وأتباعه طبيعة المكافأة، وهي مكافأة منغلقة [188] . من ذلك قوله:

﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [189].

وهكذا فإنّ اللّفظتَينِ المتكرّرَتَينِ في اتّساق تامّ. ولعلّ هذا ما يُجلّي العلاقة السّببية بينهما (La relation causal entre eux). وَهذا مَا نُجسّده في هذا المثال:

مثال يُجسّد التّكرار اللّفظي مع المباعدة والفصل بالأداة

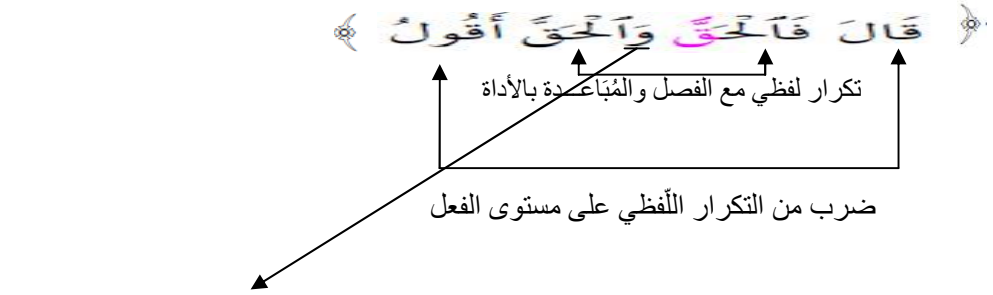

[186] لا يذهبنّ بنا الظّنّ أنّ التّكرار اللّفظي مع المباعدة والفصل بالأداة هو ذاته التّكرار اللّفظي مع المعاقبة، ولكن الضّرب الأوّل لا يختلف كبير الاختلاف عن الضّرب الثّاني إلّا من حيث وجود أداة تفصل بين اللّفظتين. انظر كتاب عبيد(حاتم)، ***وظائف التّكرار في القرآن***، ص 73.

[187] ***سورة ص***، الآية 83

[188] بنية الخطاب فيها مستوفاة. ولا يمكن أن يُطلب شيء بعدها. فما عسى أن يكون كلام الخصوم الكافرين بعد هذا القول؟
الجواب هو أنّ الله بهذا الخطاب الذي يتصدّره التّكرار اللّفظي مع المباعدة بالأداة، يكون قد ألجم الخصم وهو إبليس. انظر كتاب محمّد بن عيّاد، ***جدليّة القصّة والشّعر***، الفقرة الأخيرة، ص 100

[189] سورة ص، الآية 83

إنّ اللّفظ المكرّر بديل اللّفظ اليتيم، حاضر بملء دلالته في القصّة الإبليسية المتواترة في الخطاب القُرآني قلّما يغيب. فلئن رصدنا التّكرار اللّفظي على مستوى الجذر وتكرار العبارة مع الفـصل بالمركّب وتواتر اللّفظة مع الفصل بالأداة، نرصد كـذلك " التّكرار اللّفظي مع الضّرب". والمقصود بالضّرب هنا هو التّكثيف أو التّسطيح[190]. ويمكن أن نسوق هذه الآية بيانا لما قلناه. يقول تعالى:

﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[191]

فالجالب للانتباه في هذا الشّاهد القرآني، أنّ لفظة (الشّيطان) تكرّرت ثلاث مرّات ولفظة (حزب الشّيطان) تواترت مرّتين وهذا التّكثيف في العدد تبعه تكثيف في الوظيفة، فلفظة الشّيطان في المقام الأوّل كانت في محلّ فاعل: "استحوذ عليهم الشّيطان". وفي المقام الثّاني كانت لفظة حزب الشّيطان في محلّ خبر: "أولائك حزب الشّيطان". وفي المقام الثّالث كانت لفظة حزب الشّيطان في محلّ اسم ناسخ: " ألا إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون". فالمركّب الإضافي (حزب الشّيطان) شهد تغيّرا وظائفيا وكثافة عددية، ومن ثمّة فنحن نتحرّك وفق مستويين الأوّل مادّي والثّاني معنوي.[192]

وإذا قلّبنا هذه اللّفظة على وجوه عدّة من أجل استجلاء الدّلالة، لتبيّنَ لنا أنّ اللّفظة الأولى(حزب الشّيطان) سُبقت باسم إشارة (أولائك) فكان وجودها بتعلّة التّعريف. فعلى سبيل القياس، يمكن أن نقول إنّ قوله تعالى (أولائك حزب الشّيطان) كان ليُعرّف الطّائفة التي استحوذ عليها إبليس وأنساها ذكر اللّه.

فلئن تدفّق السّؤال: من هم حزب الشّيطان؟ أجبنا: إنّ حزب الشّيطان هم الذين استحوذ عليهم الشّيطان وأنساهم ذكر اللّه. ثمّ تكرّرت لفظة (حزب الشّيطان) ثانية للتّأكيد على مآل أتباع إبليس وهو الخسارة. بدليل قوله "...إنّ حزب الشّيطان هم الخاسرون". ويمكن أن نستدلّ على ما أشرنا إليه بهذا المثال:

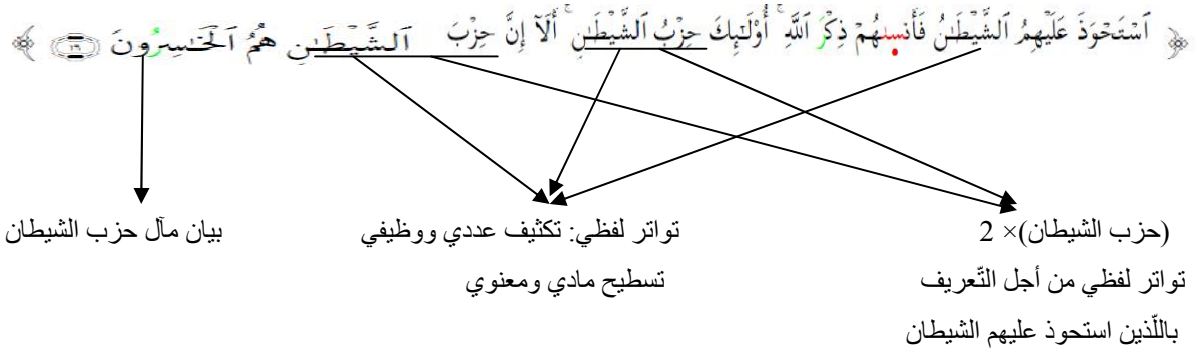

[190] نقصد بالكثافة أو التّسطيح أنّ السّارد أو القاصّ لا يكتفي بلفظة واحدة بل إنّ اللّفظة ذاتها يُعيدها مرارا، ومن ثمّة فنحن إزاء كثافة عدديّة وكثافة وظائفية أو إن شئنا دلالية. انظر في هذا الصّدد كتاب محمد الهادي الطرابلسي، ***خصائص الأسلوب في الشّوقيات***، الفقرة الثّانية، ص 62. وانظر كذلك كتاب محمد رجب البارودي، ***إنشائية الخطاب في الرّواية العربية الحديثة***، الفقرة الأولى، ص 195.

[191] ***سورة المجادلة***، الآية 19.

[192] ***خصائص الأسلوب في الشّوقيات***، ص 62.

إنّ الألفاظ المكرّرة هي التي ساعدت على إنشاء الجمل. فَالمطّلع على النّسيج القصصي في قصّة إبليس المتواترة في الخطاب القرآني، يلحظ تكرار جُمل بعينها.

2- دلالة الائتلاف على مستوى الجمل:

لئن كان التّكرار على مستوى اللّفظ محمّلا بالدّلالة كما رأينا، فإنّ التّكرار يجري كذلك في مستوى الجُمل التي تُكوّنها مجموعة من الكلمات كما سنرى. ويتركّز عملنا في هذا القسم على دراسة دلالة ائتلاف الجُمل المتواترة في قصّة إبليس المكرّرة في الخطاب القرآني. فلا يخفى أنّ القارئ يُصادف التّركيب والجُملة في هذهِ السّورة، ثمّ يعثر على شبيهتها أو نظيرتها في سورة أخرى أو في مجموعة من السّور القرآنية. والجالب للانتباه أنّ تلك النّظائر يُكرّر بعضها البعض تكرارا حرفيّا. فلا تختلف في ما بينها ولو اختلافا طفيفا بسيطا. ذلك أنّنا كثيرا ما نصادف أنّ الجملة الواردة في هذه السّورة، هي ذاتها الجملة الواردة في السّورة تلك. فلا نجد تقديما ولا تأخيرا، بل غاية ما نجد زيادة في التّعبير. ولنا أن نمثّل لهذا الضّرب بقوله تعالى متحدّثا عن سجود الملائكة لآدم ورفض الشّيطان لذلك.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ 193

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ 194

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾ 195

ولتوضيح ذلك قُمنا بجرد بياني وهوالآتي:

المثال الأوّلاني:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

مستثنى — أداة استثناء — تكرار الفعل سجد في صيغة الأمر ثُمّ في صيغة الماضي

جملة فعلية مركّبة استئنافية

المثال الثّانياني:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾

أمر — تطبيق الأمر — أداة استثناء — مستثنى

تطبيق الأمر من قبل الملائكة — رفض الأمر من قبل إبليس

جملة فعلية مركّبة استئنافية

193 ***سورة البقرة***، الآية 34.
194 ***سورة الكهف***، الآية 50.
195 ***سورة طه***، الآية 116.

المثال الثّالثاني:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿٣٤﴾﴾

معنى الطّاعة والولاء — معنى الرّفض والتمرّد على الخالق

جملة فعلية مركّبة استئنافية

ولعلّ تكرار الآية الواحدة بنفس المناويل التّركيبية: فعل+فاعل+مفعول به مركّب بالجر+ نص مقول القول: جملة فعلية/ فعل+ فاعل مركّب بالاستثناء في أكثر من سورة قرآنية كما في المثال الآتي:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾

فعل+فاعل | م.به م.بالجر | نص مقول القول | فعل+فاعل | م.به مركّب بالاستثناء

يدفعنا إلى البحث عن الدّلالة، دلالة الائتلاف. وحسبنا أنّنا نتحرّك في إطار الجمل الائتلافية أو التّشابه على مستوى الجمل. فالرّأي عندنا، أنّ الجُملة الواحدة تكرّرت في أكثر من موضع بصورة متشابهة، ذلك أنّ القرآن في جملته قد درج على سمة أسّ وهي بناء موادّه القصصيّة على أشياء معروفة ومعهودة[196].

ولمّا كُنّا نتحدّث بشأن القصّة الإبليسية المكرّرة من جهة تواتر الجُمل المتشابهة، فإنّ الحدث الأكثر شيوعا واستخداما هو إيمان الملائكة وطاعتها للخالق مقابل تمرّد إبليس على خالقه وعصيانه لأمر ربّه. لذلك كثيرا ما حلّ إبليس محلّ المستثنى لأنّه مخالف للملائكة على مستوى الفعل. أضف إلى ما أشرنا إليه آنفا، أنّ تكرار الجُمل المُتشابهة التي بيّنّاها فيما تقدّم، كان بدلالة تأكيد مبدأ عداوة إبليس لربّ العزّة.

فإذا كان إبليس قد عادى ربّه ورفض أمره وهو الذي خلقه وفضّله [197]. فماذا هو فاعل مع الإنسان والإنسانيّة غير العداوة؟ لهذا كثيرا ما تواترت الجُملة:" فسجد الملائكة إلّا إبليس..." للتّأكيد على أنّ امتثال إبليس لآدم عن طريق السّجود له لم يتحوّل بعد إلى قيمة دينيّة. فالشّيطان المخلُوق يتمرّد على الآمر الخالق. فما الذي يُنتظر منه في تعاملِه مع المخلُوقات غير الاعتدَاء؟

وعماد القول، إنّ الغاية من تكرار الجملة بحرفيتها وتركيبها في سور عديدة، شكّلت الخطاب القُرآني في قصّة إبليس المكرّرة للتّعبير على أنّ موقف الملائكة ظلّ هو هو لم يتغيّر وكذلك موقف إبليس بقي هو ذاته لم يتبدّل. ومن هنا تجيء النّتيجة المنطقيّة، وهي ائتلاف المقام يُناسبه ائتلاف التّعبير. فمن البديهي أنّه عندما تتوحّد المواقف ولا تتغيّر الفواعل، لا بدّ أن يكون هناك من الجُمل ما يَتشابه تركيبيّا ودلاليّا[198]. فغاية ما نجد هو حفاظ الملائكة على طاعتها لله، مقابل ذلك ظلّ إبليس متمسّكا بعصيانه. لهذا كان التّعبير في كلّ سُورة هو ذاته والمعنى هو نفسه.

---

[196] ***الفنّ القصصي في القرآن الكريم***، ص 448.

[197] لقد كان الشّيطان قبل رفضه أمر ربّه وعصيانه لخالقه كائنا نورانيّا، فضّله الله وأسكنه الجنّة، فكانت مرتبته ومرتبة الملائكة سواء.
انظر ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7697.

[198] في صورة حفاظ الشّخصيات على مواقفها وتشبّثها بسلوكها ومبادئها، في العادة لا يتغيّر التّعبير. وحتّى إن تغيّر التّعبير الفنّي يظلّ المعنى ثابتا

وليس من محض الصّدفة في رأينا أن تتتالى الجُمل مُؤتلفة من جهة التّركيب. إذّاك في تكرارها فائدة ودلالة. لذلك نسوق مثالا آخر فيه نتبيّن مظاهر ائتلاف الجُمل المكرّرة لاستجلاء الدّلالة. يقول تعالى:

﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ 199

﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ 200

نُلاحظ أنّ الفعل"كُلا" عُطف على قوله "اسكن" بأداة العطف المتمثّلة في "الواو" كما يتّضح في الشّاهد الأوّل من سُورة البقرة. وعُطف الفعل "كُلا" على قوله "اسكن" بـ "الفاء" كما هو بارز في الشّاهد الثّاني من سورة الأعراف[201]. ومهما يكن من أمر، فإنّ التّشابه في هاتين الجملتين يتّضح فيما يلي:

المثال الأوّل:

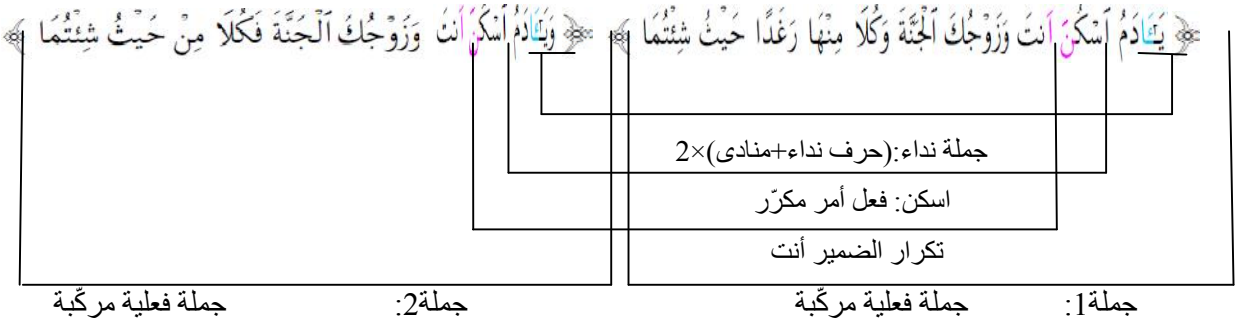

تكرار المركّب العطفي+ تغيير في أداة العطف
في الجملة الأولى: أداة العطف هي الواو " وكُلا.."
وفي الجملة الثّانية: أداة العطف هي الفاء " فكُلا..."

المثال الثّاني:

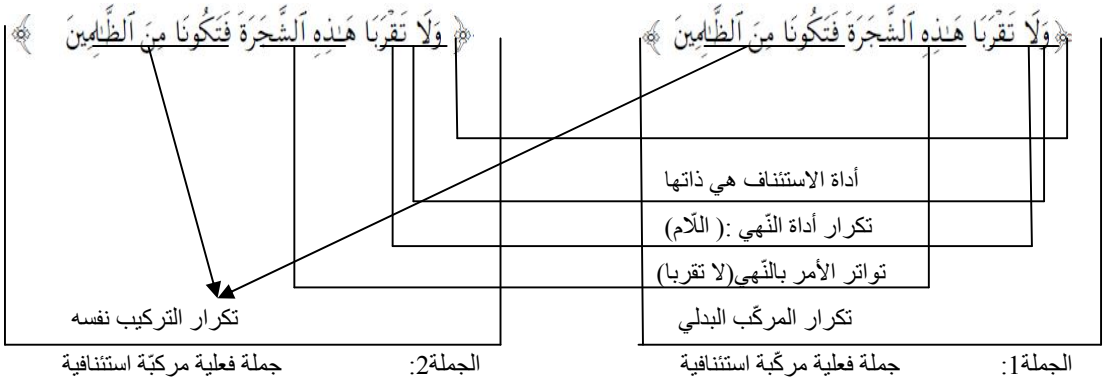

وإن نَحنُ بحثنَا في الدّلالة وجدنَا أنّ تواتر البنية التّلقينيّة وقوامها (اِفعل) و(لا تفعل) كما هو الشّأن في قوله تعالى (أُسكن) و(لا تقربا)، أمر ضروري لأنّ تلقّي آدم التّكاليف محضورة في (اِفعل) و(لا تفعل) لا

لا يتغيّر.مقابل ذلك، إذا تعدّدت المواقف واختلفت الفواعل لا بدّ أن يكون من العبارات ما يُناسب المقام. انظر ***الفن القصصي في القرآن الكريم***، الفقرة الثّانية، ص 430.

[199] ***سورة البقرة***، الآية 34

[200] ***سورة الأعراف***، الآية 19

[201] ***درّة التّنزيل وغرّة التّأويل***، ص 10.

يكون حُصُولها في الذّهن من أوّل وهلة، وإنّما ترسيخها يكون بالإعادة والتّواتر. لهذا تواترت الجُمل بصيغها التّركيبية حاملة لمعنى "افعل هذا" و"لا تقم بفعل هذا"بما هو مقياس ضمان الصّلاح في الأرض[202].

لذلك شاء الله في خطابه القُرآني أن يُكرّر الجُمل والتّعابير عَينهَا حتّى لا يتلقّى آدم المنهج تلقّيا نظريّا. وما دامت حركة الحياة متواترة (La répétition du mouvement de la vie)، فإنّ التّعبير عنها لا يكون إلّا بالتّعبير المتواتر بما هو طابع يحكم حركة الحياة. لذلك أراد الله ألّا يجعل آدم يُباشر مهامّه وما عليه فعله وما عليه تركه إلّا بعد أن يُعطيه تدريبا على المهمّة في (اِفعل) و(لا تفعل) نقصد في (اُسكن وكلا) وفي (لا تقربا) وحذّره من العقبات التي تُحوّل "اِفعل" إلى "لا تفعل"[203].

ولا يخفَى أنّ الحديث عن ائتلاف الجُمل المكرّرة، يستدعي أن يكون هناك حديث عن دلالة الائتلاف. فما يكاد القارئ أو الباحث "يبلغ موقفا مُغلّفا بالأسرار، حتّى يجد نفسه مسوقا إلى شقّ الحُجُب وهتك الأسرار"[204] رغبة في معرفة الدّلالة. يقول إبليس مُجيبا على سؤال الحقّ تعالى لمّا سأله: لِم لم تكن مع السّاجدين حين أمرتك بالسّجود؟

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [205]

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ [206]

فما يمكن ملاحظته أنّ المنوال التّركيبي للجُمل ظلّ ثابتا لم يتغيّر على امتداد سُورتين، ممّا ينجم عنه نزوع البناء إلى التّماثل. ومن ثمّة تجنح الدّلالة التي تحملها الجُمل المتعاودة إلى التّقارب والتّرادف[207]. ولنا في ذاك هذه الأمثلة:

المثال عـــــدد1:

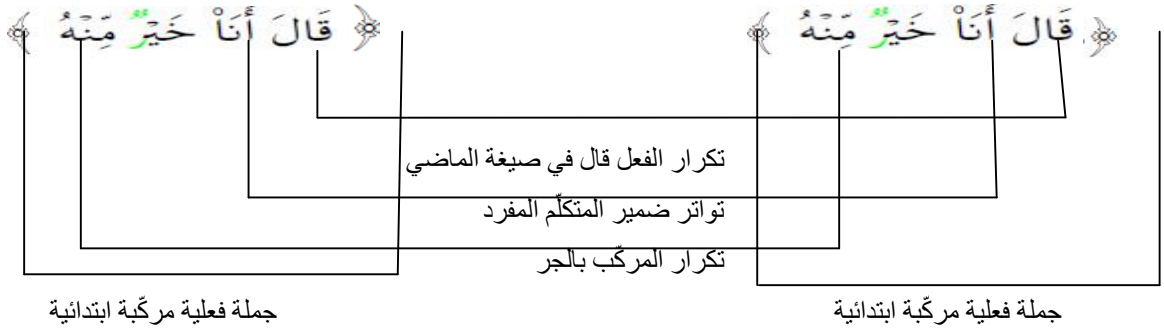

[202] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4079.
[203] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4079.
[204] ***البرهان التّرجاتي***، ص 211.
[205] ***سورة الأعراف***، الآية 12.
[206] ***سورة ص***، الآية 76.
[207] ***جمالية الموت***، ص 184

المثال عـــــدد 2:

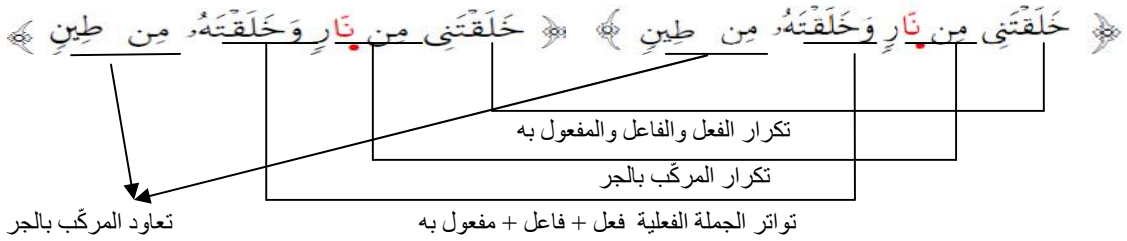

وليس بخاف أنّ ما أورده الخطاب القرآني من تكرار ائتلافي للجمل الصّادرة عن خطاب إبليس، هو تذكير بالحيثيّة التي أوجدها أو تدبّرها إبليس ليُبرّر عدم سجوده. وقد أورد القُرآن في سورتي "الأعراف" و"ص" المنوال التّركيبي ذاته للجملة دون تقديم أو تأخير أو زيادة في التّعبير، وذلك للتّعليل والتّأكيد على أنّ إبليس يرى نفسه أعلى من آدم، لذلك لا يسمح له عرفه الإبليسي (Coutume de diable) أن يسجُد الأعلى للأدنى[208]. وليس عجبا أن تتكرّر الجُملة بطريقة ائتلافية مادامت الحيثية التي استنبطها إبليس هي ذاتها لم تتغيّر كما رأينا ذلك في سورتي "الأعراف" و"ص". ودلالة ذلك كلّه ، أنّ الشّيطان يرى أنّ الوجود كتلة لا تتجزّأ ولئن كان الإنسان كلّ الإنسان يُؤمن بوحدة الوجود.[209] فخارج عن الصّفّ بلا ريب الموقف الإبليسي وقد تمسّك إبليس به ولم يُعدّل من سلوكه. وفي ذلك عناد وكبرياء. لذلك تكرّرت الجُملة الواحدة بطريقة ائتلافية، ليُذكّرنا الخطاب القرآني بهذا العناد وهذا الكبرياء.

وصفوة القول، إنّ الجُملةَ الواحدة حُظيت بلقطات مؤتلفة ومتعدّدة وهي تقنية في الخطاب القُرآني الحافل بقصّ قصّة إبليس تُطلعنا على موقف الكفر والمعاندة حين أعرض الشّيطان عن أمر ربّه. فما تعاود الجُملة في أكثر من موضع، إلّا دليلا على أنّ الله يُبيّن لنا في كلّ مرّة كيف يسعى الشّيطان إلى التّعديل من مراد الله في أمره. فالتّكرار الائتلافي على مستوى الجُملة في المثالين الأخيرين، يدلّ على أنّ الشّيطان ظلّ في كلّ مرّة يتدبّر أمره بالموقف نفسه ليُخطئ الله في أمره ويردّ الأمر على الأمر[210]. فلا ريب أنّ العقلية الإبليسية من خلال قول الشّيطان:

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾

في {سورة الأعراف وسورة ص و ما سواهما} ، تحيا محنة الشّقاء، فهناك شيء مازال يشدّ إبليس إلـــى التّمسّك بموقفه المتمثّل في عدم السّجُود، وهو الفهم الخاطئ لطبيعة العناصرالكونية. من ذلك أنّه يرى أنّ النّار أفضل من الطّين، والحالُ أنّ لكلّ منهما وظيفته المخصوصة.[211] وشيء آخر يجذبه إلى تعديل مراد الله في أمره[212] من خلال قوله "أنا خير منه". فما سبيل العقلية الإبليسية للخروج من محنة الشّقاء هــذه؟

---

[208] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4064.
[209] ***البرهان التّرجاتي***، ص ص 112/111.
[210] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4064.
[211] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7699.
[212] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4064.

إنّ السّبيل إلــى ذلك يستوجب أمورا كثيــرة علــى رأسهــا الخروج من الجنّة. لــذلك ناداه المولى قائــلا:

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [213]

وبالإجمال، يُعدّ تكرار قول إبليس:

﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾

دليلا على أنّه تبرير فاشل باهت، فالحكم على منزلة الشّخص في الوجود بالخيرية أو بالأفضلية لا يسري في حياة النّاس إلّا إذا كان ثمّة أنموذج يُحتذى به ويُقتدى بأمره. وأفضل أنموذج هو حكم الله وأمره لا حكم الشّيطان وحيثياته. فكان التّكرار في هذا المُقام للدّلالة على أنّ الأفضلية لا تتأتّى من ماهية الأشياء، بله إنّ الأفضلية تتأتّى من إتقانِ المهمّة. فلا يختلف الكائن المخلوق من الطين عن الكائن المخلوق من النّار إلّا بأعماله واتقان مهمّته في الوجود.[214] وما دُمنا في سياق الحديث عن دلالة الائتلاف على مستوى الجُمل، نُشير إلى أنّ القاصّ في الخطاب القُرآني قد راوحَ بين عرضه لجواب إبليس لمّا سأله عن رفضه السّجود لآدم، وبين بيان الجزاء المُترتّب عن ذلك. لذلك نجد قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [215]

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ [216]

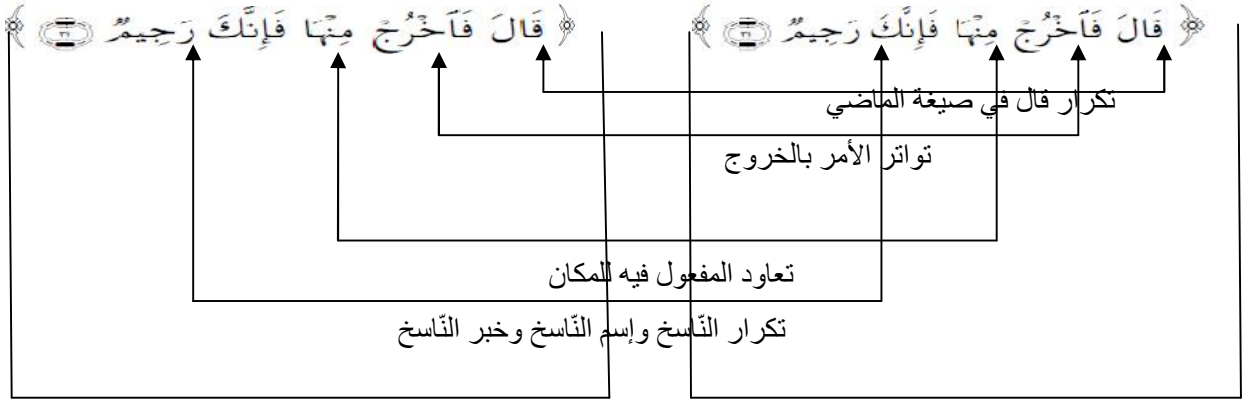

لقد تكرّر أمر إبليس بالخُروج من الجنّة وتواتر صدور العقاب ضدّه "اخرج منها"×2 في(سورة الحجر وسورة ص)، "إنّك رجيم"×2 في(سورة الحجر وسورة ص) للدّلالة على أنّ من يُعارض أوامر الله، مصيره هو الحِرمان من نعيم الجنّة. استكبر إبليس فأخرجه الله من الجنّة آمرا إيّاه بالخروج منها لأنّه لا يستحقّها. ونفس الخطاب تواتر في أكثر من سُورة حتّى يترسّخ الأمر في

---

[213] ***سورة الأعراف***، الآية 12.
[214] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7699.
[215] ***سورة الحجر***، الآية 34.
[216] ***سورة ص***، الآية 77.

الذّهن.وعلى هذا النّحو يكُون التّجنّي على الخطاب القرآني أنّه كرّرَ الجُملة الواحدة الصّادرة عن الله تأكيدا على طرد إبليس من حضرة الله بالملأ الأعلى. ومن ثمّة كان العقاب بالطّردِ من كلّ خير وأصل المسألة هي الرّجم أي الرّجم بالحجارة[217].

ومُجملُ القولِ فيما نحن فيه، أنّ دلالة ائتلاف تكرار الجُملة "أُخرج منها فإنّك رجيم" هي إشارة من الله ليحثّنا ويُذكّرنا في كلّ مرّة بأنّ الشّيطان عدوّ مبين يستحقّ الرّجم. ولعلّ تكرار التّعبير ذاته في موضعين كان بدليل توجيه الخطاب في أكثر من مرّة لحثّ العبدِ على أن يستحضر هذا الجزاء وعليه ألّا ينساه وقت اختيار الفعل. لهذا يتكرّر الخطاب بطريقة مؤتلفة، فيكون التّحالف بين الجمل تقنية بمقتضاها لا يرتكب المرء حماقة الفعل الذي يُزيّنه له الشّيطان.

وهكذا تتكرّر الجُملة بأسلوب ائتلافي فيتجدّد التّذكّر. "ولو أنّ المسرف على نفسه استحضر العقوبة لحظة ارتكاب المعصية، لما أقدم عليها"[218]. فلا يخفى أنّ التّواتر ضمن هذا الإطار، كان للدّلالة على ارتباط النّتائج بالمقدّمات[219]. فبعدما يقول الله للشّيطان "اخرج منها إنّك رجيم"، يعودُ من جديد ويُجدّدُ الخطاب بنفس التّعبير ليُذكّرنا أنّه علينا رجم إبليس حتّى يتسنّى لنا معنى الاستقامة التي من شأنها أن "توفّر على المرء مشقّة التّكلفة لبعض من ألوان الانحرافات."[220]

3- دلالة الائتلاف على مستوى السّياق:

إنّ البحث في مسألة السّياق ضرورة دعاها داع، ألا وهو أنّ تحليل أفعال اللّغة والتّعبير عن منطق الحوار وما سواهما لا يتمّ إلّا من خلال السّياق (contexte) الذي يُتيح لنا تدقيق الأشياء وتوضيحها، ويُمكّننا من دراسة العلاقات الموجودة بين السّلوك الاجتماعي والكلامي وغيرهما في استعمال اللّغة.[221] ولعلّ التّقيّد بالسّياق النّصّي (contextualité) هو الضّامن لاستمرارية قناة الاتّصال (canal de communication). والحقّ أنّنا ما كُنّا لنقف على "السّياقية" في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القُرآني لو لا الصّلة المتينة بينها وبين الدّلالة. ونحن إذ نُمعن النّظر في القصّة القرآنية، نلحظ ضروبا من تكرار السّياقات المؤتلفة. وما من شكّ أنّ هذه التّقنية القصصية من شأنها أن تجعل عملنا ينضوي تحت طائلة البحث في دلالة الائتلاف على مستوى السّياق.

---

[217] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7699.
[218] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7707.
[219] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7707.
[220] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7703.
[221] آيت علي أوشان، ***السّياق والنّص الشّعري: من البنية إلى القراءة***،الطّبعة الأولى 1421هـ/2000م، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء ـ المغرب، ص ص 63/62.

وهكذا فإنّنا مدعوون إلى رصد السّياقات المتحالفة في القصّة الإبليسية المتعاودة قدر ما استطعنا، محاولين بين الفينة والأخرى استجلاء دلالة هذا التّشابه، من ذلك نجد السّياق المرجعي في العالم الواقعي.[222] ونستدلّ عليه من خلال قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [223]

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [224]

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [225]

ومن ثمّة، فالسّياق يتمّ بواسطة تحديد مجرى الأحداث. لذلك يقول "فان ديك" "كلّ سياق هو عبارة عن اتّجاه مجرى الأحداث"[226] ولعلّ تكرار هذا السّياق المرجعي في العالم الواقعي بطريقة ائتلافية من خلال تواتر المعنى ذاته، يدلّ على المكافأة المآلية الوجودية. فكيفما تصرّف إبليس في جَوابِه ردّا على سؤال الحقّ تعالى(لمَ لمْ تكن مع السّاجدين) فإنّ مآله الوجودي المرجعي هو الرّجم بالحجارة[227].. وما من شكّ أنّ السّياق الواحد في تواتره بطريقة تحالفية، يفتح الآفاق على دلالات شتّى. فالسّياق المرجعي الواقعي المتواتر ائتلافيا، إضافة إلى الدّلالة التي ذكرنا له دلالة أخرى وهي تحديد هوية المتخاطبين إلى جانب الزّمان والمكان اللذان فيهما يتمّ الغرض. وكلّها خصائص لا يتمّ الإحاطة بها إلّا بالسّياق المرجعي وما يجمعه من أفراد موجودين في العالم الواقعي[228]. يقول تعالى:

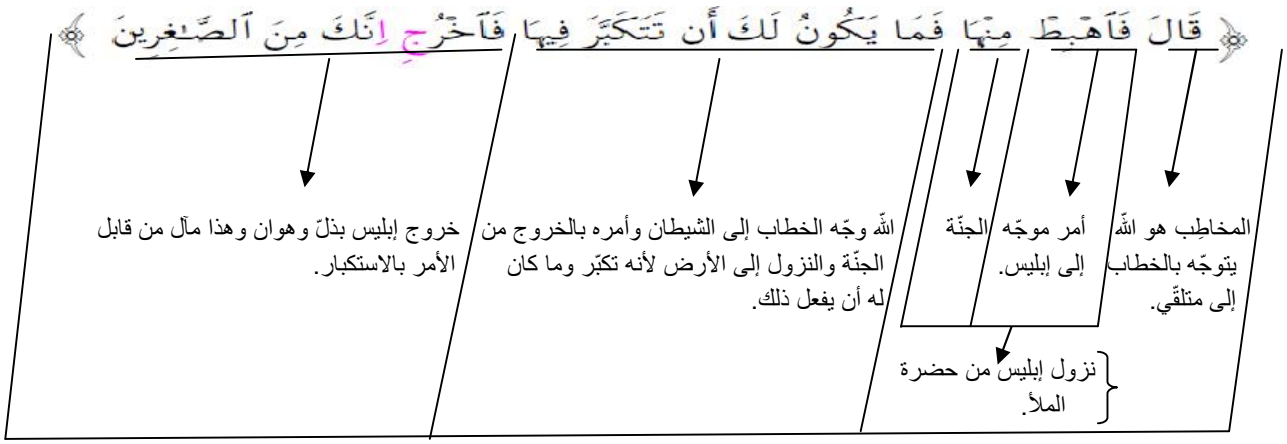

---

[222] يتجسّد ذلك خاصّة في عمل القول (acte de locution) الذي يُفضي إلى ضبط المعنى وما يُحيل عليه من مرجع(référence). انظر كتاب ج.ل.أوستين **Quand dire c'est faire** ص28.

[223] ***سورة الأعراف***، الآية 12.

[224] ***سورة الحجر***، الآيتان 35/34.

[225] ***سورة ص***، الآيتان 76 - 77.

[226] ***النّص والسّياق*** ترجمة عبد القادر فنيني. إفريقيا الشّروق، لبنان - بيروت، ص 258.

[227] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني عشر، ص 7699.

[228] يتحدّد السّياق المرجعي الواقعي بفترة من الزّمان والمكان. إذّاك تتحقّق الفكرة المشتركة لكلّ من المتكلّم والمخاطب. ومن ثمّة تستوفي خواص الآن وهنا وأنا. وهذه أصل الوجهة المنطقية. انظر كتاب "فان ديك" ***النّص والسّياق***، ص 258.

أو قوله:

وضمن السّياق المرجعي الوَاقعي، نكتفي بما قدّمنا ونطرحُ المسألة السّياقية من جهة السّؤال: من هو المتكلّم في الخطاب المذكور في الأمثلة التي أشرنا إليها آنفا؟ وماهو زمـــــان النّص الــخطابي في هـــــذه الشّواهد؟ وما هو المكان المؤطّر للأحداث في هــذا الخطاب القرآني؟ وما هو موضوع المخاطبة في هذا الخطاب ؟ هُنَا نعتدّ بالسّياق المرجعي لنُميط اللّثام ونُزيح الغُمُوض، فلمّا يقول تعالى:

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ كما ورد ذلك في سورة ص.

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ كما ورد في سورة الحجر.

فإنّ المتكلّم في هذا الخِطاب المكرّر هو الله موجِّها الخطاب إلى الشّيطان آمرا إيّاه بالنّزُول من الجنّة وطرده من خيراتها. وإن بحثنا في زمن النّص، وجدناه اللّحظة التي فيها تكبّر إبليس في الجنّة. وقتئذ أنزله الله منها. وبذلك كانت الجنّة هي الفضاء المؤطّر للأحداث بل هي المكان الذي دار فيه خطاب الأمر بالمحاورة. مُحَاوَرة مَوضُوعُها رفض إبليس السّجود لآدم والتّكبّر في الجنّة، فكان مآله الخروج منها مذؤوما رجيما. ومثل ذلك كلّه، لو لا السّياق المرجعي لما كنّا نقدِرُ على استجلائه. ومن ثمّة، كان تواتر السّياق المرجعي بكيفية ائتلافية للدّلالة على أنّ من يركَبُ الاستعلاء جزاءه الهوان والخسران.[229]

هَذَا وَنَجِدُ ضربا آخر من السّياق المؤتلف في القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القرآني وهو السّياق المقامي[230]. فهذا الضّرب السّياقي متشابه في مواضع كثيرة من القصّة الإبليسيّة. يقول تعالى:

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[231]

وقوله أيضا:

﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[232]

إنّ سياق الوسوسة المكرّر في الخطابين بكيفية متحالفة، كان دليلا على مقام الهمس لأنّ الذي يُوسوس يهمس ولا يجهر، وما تكرار السّياق في هذه المخاطبة وتلك كما يتّضح لنا في الشّاهدين إلّا

---

[229] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4067.

[230] السّياق المقامي نعني به السّياق التّداولي. ويتضمّن هذا السّياق غايات تتقاسمها الفواعل. ومن ثمّة تندرج المخاطبات في مواقف محدّدة إمّا ضمنيا أومعلنة. انظر مثلا كتاب آيت علي أوشان، ***السّياق والنّص: من البنية إلى القراءة***، الفقرة الرّابعة، ص 60.

[231] ***سورة الأعراف***، الآية 20.

[232] ***سورة طه***، الآية 117.

دليلا على أنّ إبليس في السّياق الواحد يخلق ألف أسلوب وتعبير لغاية التّأثير في مخاطَبه، ومن ثمّة فإنّ غاية الشّيطان هي إغراء آدم وزوجه فقد قدّم لهما ما يُسيل اللّعاب (الخلد والملك).

ومن ثمّة تندرجُ المُمَارسة الخطابية الإبليسية في سياق مقامي محدّد وهو الإغراء والمكيدة. ومن هنا كانت دلالة الائتلاف السّياقي هي أنّ إبليس تكلّم مرّة واحدة همسا مخافة أن يفضحه أحد[233]. بيد أنّ تكرار السّياق ذاته في أكثر من موقع كان تأكيدا وتذكيرا بأنّ الله لا يخفى عنه السّر ولا الجهر. فلئن أراد الشّيطان أن لا يعرف عنه المجتمع هذا الشّيء والتجأ إلى الهمس والوسوسة، فإنّ تكرار السّياق مؤتلفا في الخطاب القُرآني يُعدُّ تقنية فضحت أمره وهتكت ستره. يقُولُ تَعَالَى:

﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

فنجد داخل السّياق المقامي بما هو السّياق الأكبر، سياقات صغرى تتفرّع عنه. ولنا في ذلك هَذِهِ الأمثلة:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

سياق مراسي(Exercitif) فالوسوسة كانت لغاية التّأثير والغرور

المتلقّي هو آدم وزوجه

القِيطَان هو الفاعل المُخَاطَب،توجّه بالخطاب إلى آدم لبلوغ مآرب

تحسّس الطريق

﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾

سيّاق إرشادي سلوكي(Comportatif)يتمظهر أو يتظاهر الشيطان في ثوب النّاصح ليُبيّن لآدم سبيل الظّفر بالملك والخلود .

سيّاق عَرَضي(Expositif)

الفاعِلُ الْمُخَاطِبُ يسعى إلى تَفسير الغُمُوضات

وبِهذا يتبلور لنا معنى الجُملة في حلّه وترحاله من خلال سياق تكرّر بكيفية متشابهة وهو السّياق المقامي. ويكمن لغز تكراره ائتلافيا في التّعريف بالعرف الإبليسي الذي يتأسّس على الغُرور والإغواء وبيان خصيصة العرف الآدمي الذي سرعان ما يُخدع بالله[234] ذلك أنّ آدم وزوجه أكلا من الشّجرة مصدّقان بذلك قول الشّيطان الذي أقسم لهما بالله كما ورد ذلك في الخطاب القرآني:

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[235]

هكذا جاءت القصّة الإبليسية المكرّرة في الخطاب القُرآني حافلة بسياقات تكرارية تكرارا ائتلافيا. فبعدما بيّنّا نوعين من السّياقات المؤتلفة والمتواترة وهما السّياق المرجعي الواقعي والسّياق المقامي،

---

[233] ***تفسير الشّعراوي***،المجلّد السّابع، ص 4081.
[234] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4085.
[235] ***سورة الأعراف***، الآية 20.

نعزّزهما بسياق ثالث وهو السّياق التّفاعلي[236]. إنّ في هذا الضّرب السّياقي يتفاعل المتخاطبان فإذا نحن أمام خطاب عارض وخطاب معروض. وكثيرة هي صنوف السّياق التّفاعلي في القصّة الإبليسية المكرّرة. فغير خافٍ أنّ السّياق التّفاعلي في هذه القصّة ورد بكيفية ائتلافية. فما دلالة ائتلافه؟ لقد ورد في الآية:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٣٣ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٣٧ ﴾ [237]

وكذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۝٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١ ﴾ [238]

فلا محيص من أن نُلاحظ أنّ هناك خطابٌ بخطابٍ أو كلامٌ بكلامٍ على حدّ عبارة "الجاحظ"، ويتّضح لنا من خلال التّفاعل التّذويتي. فالذّات الإلهية تسأل والذّات الإبليسية تُجيب وتبرّر وإن كان تبريرها باهتا فاشلا واهيا. ولتوضيح ذلكَ قُمنَا بما يلي:

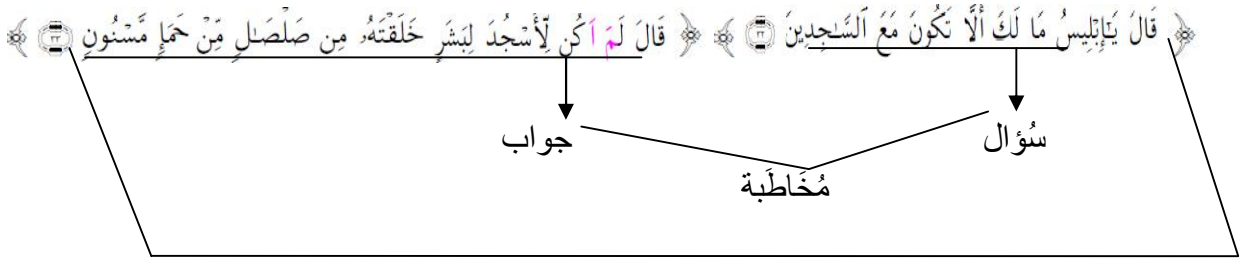

تفاعل بين الذّات الإلهية *(تسأل)* والذّات الإبليسيّة *(تجيب)*: ⟵ سيّاق تفاعلي

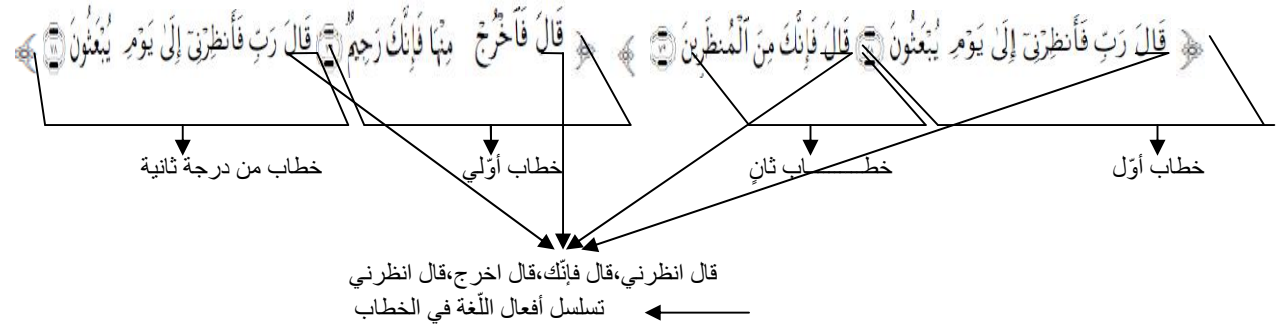

Enchainement des actes du langage dans le discours

وعلى هذا الأساس مكّننا السّياق التّفاعلي ممّا يليّ : الاقتراح الاعتراضي يتّضح لنا من خلال قوله تعالى:

---

[236] في هذا السّياق يتداخل خطابان فأكثر وتتسلسل أفعال اللّغة. إذ يتّخذ المخاطبون أدوارا تداولية صرفة وهي الأمر والرّفض أو الاقتراح والاعتراض وما سوى ذلك، انظر في هذا الصّدد كتاب آيت علي أوشان، ***السّياق والنّص***، ص61

[237] ***سورة الحجر***، الآيات 32 – 33 – 34 – 35 – 36 - 37.

[238] ***سورة ص***، الآيات 74 – 75 – 76 – 77 – 78 – 79 - 80

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾

نداء مردّه التعجّب من فعل إبليس

اقتراح السّؤال لمعرفة النية الإبليسيّة وعمق تفكير العرف الإبليسي

فعل اعتراضي: مخالفة ما هو مقترح عليه أو ما هو مطلوب منه وهذا الفعل الاعتراضي يحمل تبريرا وإن كان هذا التبري

ولئن كان السّياق التّفاعلي يستدعي فعل التّطبيق، فإنّ هذا ما نجده في قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾

كما ورد ذلك في سورة الحجر.أو قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾

فالخطاب صادر عن الله تعالى وموجّه إلى إبليس. وفحواه هو خروج إبليس من الجنّة والنّزول "إلى الأرض رجيما. ومن ثمّة فإنّ هذا الخطاب هو قوّة مقصودة بالقول، فبمجرّد النّطق به يتحقّق بالفعل.[239] هَذا فَضلًا عن السّياق الوعظي الإرشادي والذي ورد بطريقة تكرارية ائتلافية. من ذلك:

﴿ ... وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [240]

﴿ ... وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [241]

﴿ ... وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٢﴾ ﴾ [242]

فَالمتأمّل في هذه الأمثلة، يلحظ بنية تلقينية "لا تفعل"/"لا تفعلوا"، من ذلك مثلا {لا تتّبعوا×2}. وصيغة "لا يفعلنّكم"، من ذلك{لا يصدّنّكم}. وقد طعّم الله هذا الخطاب في كلّ مرّة بأسلوب التّوكيد من ذلك:

إنّ
- الشّيطان لكم عدوّ مبين: كما جاء ذلك في سورة البقرة.
- الشّيطان لكم عدوّ مبين: كما ورد ذلك في سورة الأنعام.
- الشّيطان لكم عدوّ مبين : كما جاء ذلك في سورة الزّخرف.

وإن بحثنا في دلالة هذا السّياق الوعظي الذي فيه يندسّ المقام التّلقيني، لوجدنا أنّ الخطاب القُرآني في القصّة الإبليسية المتواترة، كرّر السّياق الوعظي بكيفية مُتشابهة من أجل أن نظفر بالفرائد على حدّ عبارة "الخطيب الاسكافي". وصفوة الدّلالة من تكرار هذا السّياق الوعظي، أنّ الله تعالى يذكر لنا عداوة الشّيطان بأسلوب التّوكيد (إنّه عدوّ مبين) ليقول لنا لاحظوا أنّ عداوته كَانت مسبقة[243]

---

[239] Loc.Cit. **Quand dire c'est faire** ص 28

[240] ***سورة البقرة***، الآية 206.

[241] ***سورة الأنعام***، الآية 143.

[242] ***سورة الزّخرف***، 63.

[243] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني، ص 775.

خاتمة الفصل الثّالث

هكذا أرنا قد بحثنا في دلالة الائتلاف ونحن بذلك في حلّ عن ائتلاف الدّلالة. ذلك أنّ الدّلالة لم تأتلف فيما حلّلنا وإنّما ائتلاف الألفاظ وما سواها حثّنا على البحث في دلالة ضروب الائتلاف. فانبساط اللّفظ في الخطاب القرآني وعودته من جديد على شاكلته. وورود الجُملة في القصّة الإبليسية المتواترة قصصيّا وترجيعها مجدّدا بالأسلوب التّعبيري نفسه. هذا فضلا عن انبِجَاس السّياق في هذا الموضع وتواتره في موضع آخر بكيفية ائتلافية، ليس ذلك كلّه مُتأتّيا من خواء اللّغة وقفر الخطاب كما يتسنّى للبعض على اختلاف تلاوينهم. ولا يعني ذلك أيضا تكريرا للمكرور، وإنّما لبّ ذلك في مجمله عودة فارقة للفروق[244]. ولعلّ مثل هذه الأضرب التّكرارية المؤتلفة في أوجه من وجوهها هي تقليعة هبّت ريحها من القصّة الإبليسية المكرّرة، فانحنى لها التّفكير علامة بحث وتنقيب ولّدها السّؤال:ما سرّ التّكرار والمعاودة؟ فارتدّ الفكر إلى قلعة الباطن بحثا عن الدّلالة. وعلى هذا النّحو باحت وأباحت لنا هذه الأنماط التّكرارية بأنساقها الإبلاغية.[245] هذه الأنساق التي تطرّقنا إليها في ثنايا التّحليل، ومن ثمّة لم تكن دلالة الائتلاف على مستوى اللّفظ والجملة والسّياق "شاغلا نتدبّره بالبهتة ونلتفت عنه بالتّجريد".[246]

ولعلّ شرعية هذا المنطق التّأويلي الدّلالي هو تكرار الضّرب الأوحد{لفظ، جملة، سياق}. ومن ثمّة يُشكّل هذا النّمط الائتلافي التّكراري "بُؤرة محورية في بنية العمل القصصي"[247]. هكذا غدا التّكرار المؤتلف (لفظا وجملة وسياقا) شِرعة من شرعات الخطاب القرآني. وأُنظر في خطاب هذه القصّة كيف كان حيويا حيّا يزكو بالإنفاق ويرشح بالدّلالة "ليُحرّك خواطر من لم تمت منهم الخواطر"[248]

وعلى هذا النّحو تولّينا تنزيل دلالة الائتلاف التّكراري في خطاب قصّة إبليس المكرّرة. فإذا هي دلالة مُسيّجة في مجملها بطابع تحريضي (Incitatif) [249] ذلك أنّ التّكرار اللّفظي والجُملي والسّياقي هو تكرار يحكي قصّة الأفعال الفاضلة مع الأفعال الشّرّيرة، وهي قصّة بناهَا القُرآنُ بناء تكراريا ائتلافيا "ودفع بها إلينا لتُثير فينا الحقد والكراهية لإبليس وتدفعنا إلى النّفور منه حتّى لا نستجيب له ولا نأتمر بأمره"[250]. وبعد هذا نلتفتُ جهة البحث في دلالة الاختِلَافِ حتّى لا تستحوذ علينا انتقادات الآخرين وتسيطر علينا "وملء حلوقنا مرارة قول الزّاعمين لم يدع الأوّل للآخر شيئا"[251].

---

[244] عبد العزيز العيّادي ، ***إيتيقا الموت والسّعادة***، الطّبعة الأولى أفريل 2005، دار صامد للنّشر صفاقس ـ تونس، ص 148.
[245] ***المقام في الأدب العربي***، ص 107.
[246] ***إيتيقا الموت والسّعادة*** ، ص 148
[247] ناهضة شتار، ***بنية السّرد في القصص الصّوفي: المكوّنات والوظائف والتّقنيات***،منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق 2003، ص233.
[248] ***إيتيقا الموت والسّعادة***، ص12.
[249] يتّخذ من حثّ المتقبّل أو ردعه مقصدا، ومن ثمّة يكون التّحريض عابرا ومنعزلا، أُنظر كتاب ***المقام في الأدب العربي***، ص7.
[250] ***الفنّ القصصي في القرآن الكريم***، ص237.
[251] ***إتيقا الموت والسّعادة***، ص13.

المدخل المفهومي

اللّفظ: (Le terme) هو من الفعل "لفظ" المتكوّن من الجذر (ل، ف، ظ). واللّفظ جمعه ملافيظ.[252] فما الجملـــــة؟ **الجملة (La phrase):** هي قاعدة الحديث. ونتبيّن معاني الجملة بالألفاظ التي تتكوّن منها المعاني النّحوية الوظيفية.[253] فما السّياق؟

السّياق (Le contexte)هو جملة النّصوص التي تكون في عُلقة بالدّلالة. والغاية من السّياق الضّمني هي التّأويل الدّلالي الذي عنه تتولّد الدّلالات السّياقية. ومن ثمّة تصبح الدّلالات السّياقية تشكّل وحدة دلالية.[254]. ويُعرّف السّياق أيضا بكونه المحيط المادّي والاجتماعي الذي يأخذ فيه هذا الفعل مكانه والصّورة المتبادلة بين المتخاطبين. كذلك السّياق يُحدّد هوية المتخاطبين ويضبط الفكرة التي يحملها كلّ واحد عن الآخر.[255] وتتمثّل أهمّية السّياق في كونه يحدّد المشيرات (Les déictiques) ويحدّثنا عن الفاعل. كما يُحدّد السّياق طبيعة الفعل الكلامي المنجز.[256]. ونجد في معجم اللّسانيات أنّ السّياق هو جُملة الشّروط الاجتماعية التي تدرس العلاقات القائمة بين السّلوك الاجتماعي واللّساني. ونحدّد السّياق بالمقام الاجتماعي لاستعمال اللّغة.[257] السّياق كذلك عنصر لغوي (كلمة، جملة...) وهو بذلك جملة الظّروف التي تحتوي فعلا معيّنا.[258]

---

[252] ***المعجم الوسيط***، الجزء الثّاني، تأليف لجنة من الباحثين، الطّبعة الثّانية 1393هـ/ 1973م، دار إحياء التّراث العربي ـ مصر، ص 832.

[253] المنصف عاشور، ***بنية الجملة العربية بين التّحليل والنّظرية***، المجلّد الثّاني، جامعة تونس، منشورات كلّية الآداب بمنّوبة 1991، ص 21.

[254] يقول ألجيردا جوليان قريماس وجوزيف كورتاس:

Le contexte c'est l'ensemble du texte qui précède l'unité syntagmatique considérée dépend la signification. Le contexte peut être explicite ou linguistique, ou bien implicite et qualifier en cas d'extralinguistique ou de situationnel. Le contexte implicite peut être exploité en vue de l'interprétation sémantique.

Les sème contextuel (ou classème) on entend des sème ou des faisceaux sémantique qui sont récurrent dans l'unité considérée et dans son contexte. Les sèmes contextuel font ainsi partie de la composition d'un sème.

Sémantique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage منشورات Hachette livre1993 ص 67/66.

[255] يقول كلّ من، ديكرو وتدروف:

Il faut entendre par là à la fais l'entourage physique et social ou acte prend place, l'image qu'en ont les interlocuteurs, l'identité de ceux-ci l'idée que chacun possède de ce que l'autre pence de lui, les événements qui ont précède l'acte d'énonciation.

Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, منشورات1972 Seuilص 417.

[256] Le contexte peut déterminer les déictiques (Je, tu, ceci, ici, maintenant), aussi le contexte parle d'une personne. Le contexte détermine la nature de l'acte de parole accompli ou encore sa valeur illocutoire est tout à fait différent de son effet réel

المرجع نفسه، ص 418.

[257] عرّف جون دي بوا السّياق قائلا:

Le contexte c'est l'environnement, ou les unités qui procède et qui suivent une unité déterminée. Aussi le contexte c'est l'ensemble des conditions sociales qui peuvent être prises en considération pour étudier les relations existant entre le comportement social et le comportement linguistique et

مقدّمة الفصل الرّابع

من نافل القول أنّ لكلّ مطاف بداية. ومطاف البحث في دلالة الاختلاف تبدأ رواحله من هذه الورقة. فَلئن ميّز اللّسانيون بين ضربين من المقام، وهما المقام الموقفي والمقام النّصّي.[259] (Le contexte situation et le contexte textuel)، فإنّ معوّل بحثنا ضمن هذا الإطار سيكون المقام النّصّي(le contexte textuel). ولئن كان المقام النّصّي يشترط أن تكون العناصر اللّغوية متجاورة تجاورا مبرّره أنّها من طينة واحدة، فإنّ هذا المعطى نستوعبه لنتجاوزه. ذلك أنّ القصّة القرآنية التي بين أيدينا "مقام متكامل يُحيل بعضه على بعض"[260]. نقصد أنّ بناءها الائتلافي يُحيل على ضديده الاختلافي.

لِهَذا سنبحثُ في دلالة الاختلاف على مستوى اللّفظ. ذلك أنّنا كثيرا ما نجد ألفاظا مكرّرة بصيغة اختلافية بماهي صيغة حمّالة للدّلالة. ثمّ نعمد في لحظة البحث الثّانية إلى تبيان الاختلاف التّكراري على مستوى الجمل السّرديّة خصوصا وأنّ القصّة الإبليسية المتعاودة في الخطاب القرآني، سبق وأن بيّنّا أنّها تستجيب لمنطق التّحليل السّردي(L'analyse de la narratologie). ومن ثمّة فنحن مدعوّون إلى البحث في دلالة الاختلاف على مستوى الجُمل، سيّما وأنّ هذا الضّرب فيه تنوّعت موادّ الصّياغة وطرائق البناء فتكون الجمل قائمة على الاختلاف واقعة في دائرة التّكرار.[261] لنُعرّجَ في لحظة البحث الثّالثة بالبحث في دلالة الاختلاف التّكراري على مستوى السّياق.

ولا يذهبنّ بنا الظّنّ أنّنا بكلامنا حول دلالة الاختلاف على المستويات التي ذكرنا في الموضع الذي إليه أشرنا، سنأتي على استخراج المواطن جميعها ونأتي على استخراج الدّلالة بأكملها، وإنّما سنبذل ما بوسعنا بذله من أجل استجلاء بعضِ العيّنات لِأنّ "الكلام لا ينقطع له مدّ ولا يأتي عليه عدّ. ومن ثمّة فإنّ البحث في دلالة الاختلاف مهما حاولنا ضبطها تبقى كثرتها فائضة عن كلّ حدّ فالتة من كلّ ضبط."[262]

---

souvent désigné comme le contexte social d'utilisation de la langue. Ce sont les données communes à l'émetteur et au récepteur sur le situation culturelle et phycologique.
Dictionnaire de linguistique تحقيق مكتبة لاروس1973، ص120.

[258] لقد عرّف كلّ من جوزات دي بوف راي وألان راي السيّاق على النّحو الآتي:
"Le contexte est un ensemble du texte qui entour(un mot, une phrase...)
ensemble des circonstances dans les quelles s'insère un fait, contexte situationnel, politique familial..."
Petit Robert منشورات entièrement revue et amplifiée du petit robert ص512.

[259] ***المقام في الأدب العربي***، ص 47.

[260] المرجع نفسه، ص 48.

[261] إنّ اختلاف الجملة عن غيرها اختلافا جزئيّا من شأنه أن يجعلنا نتحدّث عن الاختلاف التّكراري. ذلك أنّ الجملة الواحدة تكرّرت بطريقة مختلفة. غير أنّ من البعض مَن يرى أنّ الجملة وإن قامت على الاختلاف لا تقع في دائرة التّكرار. أُنظر مثلا كتاب حاتم عبيد: ***وظائف التّكرار في القرآن***، الفقرة الثّانية، ص119.

[262] ***وظائف التّكرار في القرآن***، ص120.

IV ـ دلالة الاختلاف في تكرار قصّة إبليس

1 ـ على مستوى اللّفظ

إنّ من سمات الإعجاز في الخطاب القرآني الذي منه تألفت قصّة إبليس ومنه تآلفت عناصر هذه القصّة هي أن تكون الألفاظ مقدودة من لبنات متخالفة لها قوالبها الدّلالية، فنكون عندئذ إزاء ما نعتناه بالتّكرار اللّفظي التّخالفي.[263] من ذلكَ نَجِدُ الاختلاف اللّفظي مع بيان المآل، ويشتمل هذا النّوع على صنفين. أوّلهما مآل الإيجاب، نستدلّ عليه من خلال قوله تعالى:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[264]

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[265]

فالمتأمّل في هذين الشّاهدين، يرى أنّه على اختلاف الألفاظ في قوله (التّوّاب، الرّحيم،) وفي قوله (تاب، هدى)، ظلّ المعنى ثابتا لم يتغيّر. فلئن انتمت لفظتا (التوّاب، الرّحيم) إلى حقل أسماء الله الحسنى وتعلّقت بمعجم التّوبة التي ظفر بها آدم وزوجه بماهي مآل إيجاب، فإنّ لفظتي (تاب، هدى) ينتميان بدورهما إلى حقل التّوبة والهداية. ولنا أن نُبيّن ذلك بالمنظور الآتي:

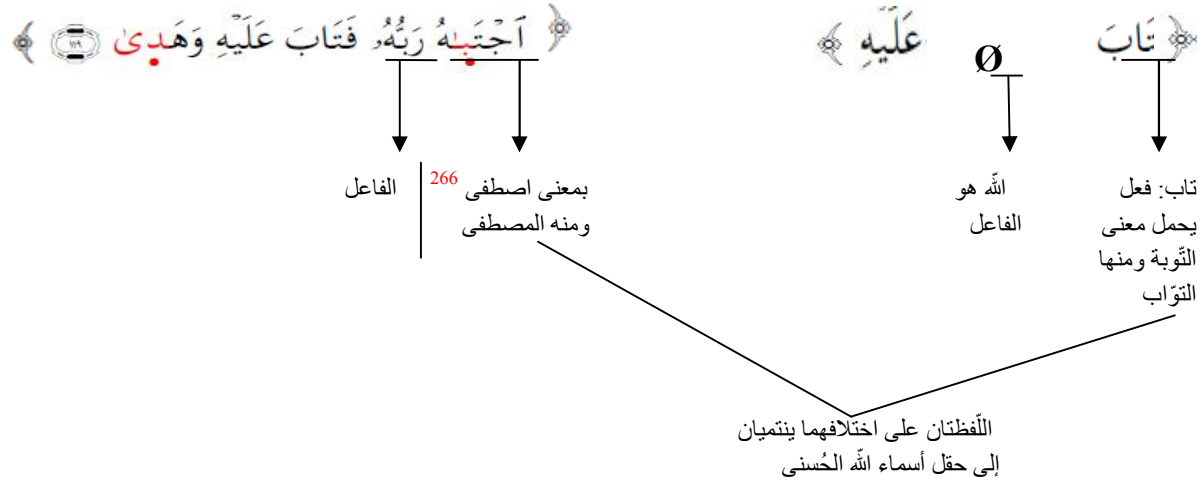

لقد اختلف اللفظ في (تاب،اجتبى) وبقي المعنى واحدا ثابتا لم يشبهُ اختلاف. وللسّائل هنا أن يسل: إن كان المعنى واحدا، فلم الاختلاف اللّفظي المكرّر؟ الرّأي عندنا أنّ دلالة الأسلوب التّقني المتمثّل في تكرار الاختلاف على مستوى اللّفظ هو أنّ إعراب المرء عن نيّته في التّوبة يتّفق وجميع الاستعمالات اللّفظية، وأنّ الله يقبل توبة كلّ من تاب. والحال تلك أنّ الحكايتان في [الآية 37 من سورة البقرة

---

[263] في هذا الضّرب يتكرّر اللّفظ الواحد ولكن لا يُحافظ على صيغته التّماثلية بل يتلوّن بصيغة تخالفية. وضمن هذا الإطار يذهب الأستاذ: حاتم عبيد إلى القول:**"***يمكن للمتكلّم أن يجعل جمله مقدودة من لبنات متماثلة تصبّ في نفس القوالب فنكون إزاء التّكرار الحرفي"*. وإن قسنا على ذلك فإنّنا واجدون أنّ الألفاظ المقدودة من لبنات متخالفة تجعلنا أمام تكرار تخالفي. أنظر مثلا كتاب ***وظائف التّكرار في القرآن***، ص 119.

[264] ***سورة البقرة***، الآية 36.

[265] ***سورة طه***، الآية 119.

[266] ثُمّ اجتباه ربّه: "حرف عطف للتّرتيب، اجتباه أي اصطفاه فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف للتّعذّر، والهاء ضمير متّصل في محلّ نصب: مفعول به مقدّم"، بهجت عبد الواحد صالح، ***الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل***. المجلّد السّبع، الطّبعة الأولى 1414هـ/ 1993م، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمّان ـ الأردن ص167.

والآية122 من سورة طه]، كانتا مختلفتين في الألفاظ ومعانيها متّفقة في "أنّ الله قبل الكلمات التي تلقّاهنّ من آدم الذي توجّه مُتنصّلا إلى ربّه من خطيئته نادما على ما سلف منه من خلاف أمره".[267]

ورأس الأمر إنّ تحوّل اللّفظ المكرّر من كيفية إلى كيفية كما سبق وإن رأينا، هو تحوّل آدم من حالة إلى حالة. من حالة المغضوب عليه إلى حالة المرضي عنه. ذلك أنّ الله " يؤوب له من غضبه عليه إلى الرّضا عنه ومن العقوبة إلى العفو والصّفح عنه"[268]. هذا إلى جانبِ "الاختلاف اللّفظي مع بيان المآل السّالب". ونقصد بالمآل السّالب النّتيجة أو الجزاء الذي لا يُحمد عقباه. من ذَلِكَ:

﴿ ... فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[269] ... ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾[270]

فقد أكّد المولى في بادئ الأمر أنّ الشّيطان من الصّاغرين وأداتنا في ذلك أنّه توجّه إليه بخطاب مباشر حرّ حامل لأداة التّوكيد "إنّ" قائلا: "إنّك من الصّاغرين". والأسلوب نفسه تكرّر في قوله "إنّك رجيم". ولو قارنّا بين المثالين من وجهة نظر تخالفية، أرانا واجدين ما يلي:

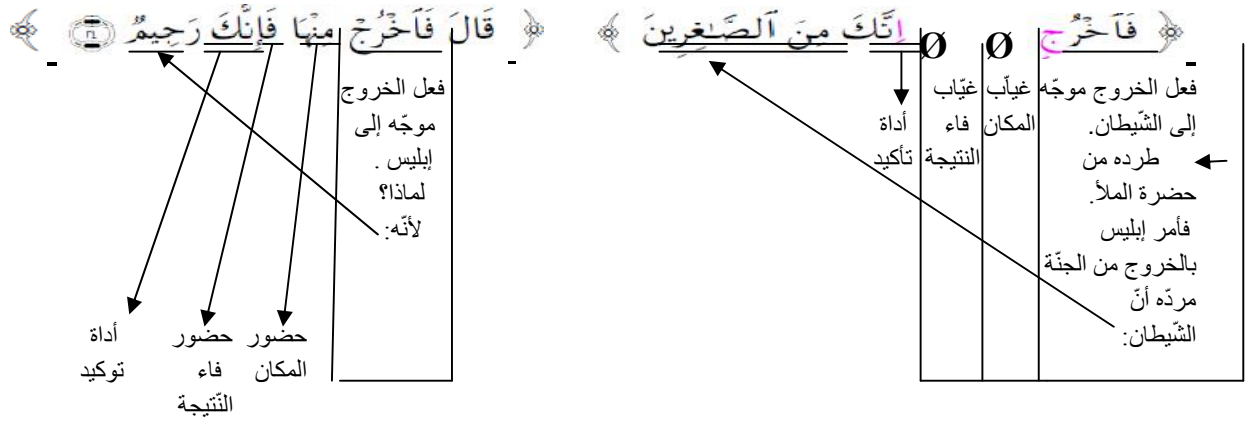

وعلى هذا النّحو اختلف التّبرير اللّفظي الذي استدعاه فعل الخروج، ومن ثمّة اتّفق المعنى الواحد مع تخالف لفظين. فعبارة (من الصّاغرين) وعبارة (رجيم) معناهما واحد وهو نبذ إبليس لأنّه تكبّر، وتذليله لأنّه في حضرة الملأ تجبّر. ولعلّ دلالة هذا التّكرار اللّفظي بصيغة الخلف تكمن في أنّ الله تعالى بيّن لنا خسران إبليس للمكان، فهو من الصّاغرين وأنّى للصّاغرين أن يحضوا بفردوس الجنان؟ لذلك أمر الله إبليس بالخروج. أمّا في قوله: ﴿ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ فإنّ الخطاب القرآني هنا يُوضّح لنا خسران إبليس للمكانة، فبعدما كان في الجنّة متنعّما بخيراتها، أصبح مطرودا من كلّ خير ذلك أنّه ضيّع مجده وهيهات أن يُردّ.

ومجمل القول في ما نحن فيه، أنّ التّكرار اللّفظي بتقنية الاختلاف بَيّنَ لنَا أنّ إبليس الذي قابل أمر ربّه بالاستكبار لا يُجازى إلّا بالصَّغار والرّجم. نلاحظ إذن أنّ هناك معاملة ضديدة يُمكنُ أن نُترجمها على

---

[267] محمّد بن جرير الطّبري، ***تفسير الطّبري المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن***، المجلّد الأوّل، دار الكتب العلميّة بيروت ـ لبنان، ص 283.
[268] المرجع نفسه، ص 283.
[269] ***سورة الأعراف***، الآية 12 .
[270] ***سورة الحجر***، الآية 34,

أنّها: " لون من ألوان التّأديب والتّهذيب والتّعليم"[271] وإضافة إلى الضّربين المذكورين آنفا، نجد ضِربا آخر من تكرار الألفاظ المتخالفة وهو الاختلاف اللّفظي مع النّهي والتّبرير. ولنا أن نستدلّ عليها من خلال النماذج القرآنيّة الآتية:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ 272 ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ 273

فما يمكن الإشارة إليه في هذا الموطن أنّ المادّة الخبرية في الشّاهدين واحدة تُؤكّد عداوة الشّيطان ومن ثمّة تدعونا إلى الابتعاد عنه مع ملاحظة التّكرار اللّفظي بالمخالفة. ففي قوله (لا تتّبعوا خطوات الشّيطان) هناك دعوة صريحة إلى قطع الصّلة بالعُرف الإبليسي. والمعنى عينه نجده في قوله تعالى: (لا يصدّنّكم الشّيطان) وهذا النهي عن فعل الشّيء في هذا الخطاب القرآني كان مطعّما بالتّبرير، وعماد القول أنّ اختلاف اللّفظ لا يُغيّر في المعنى شيئا، ولنا أن نوضّح ما نقول بالمثال الآتي:

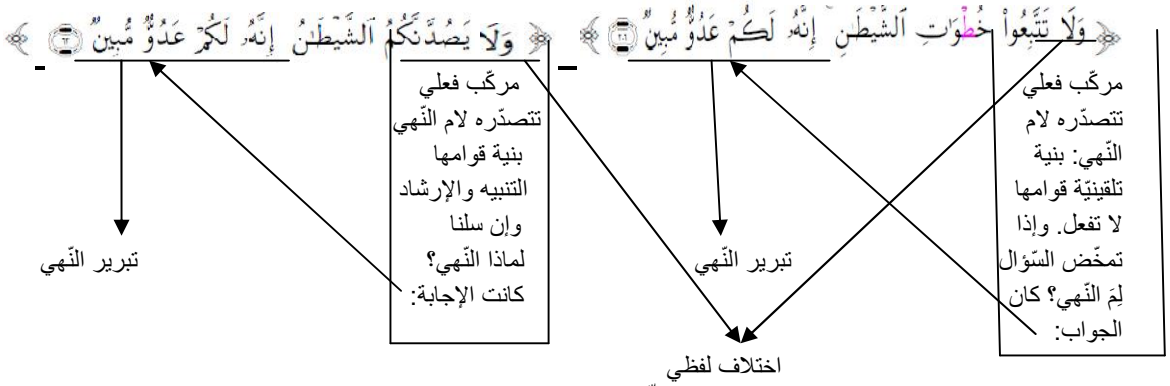

ولعلّ دلالة هذا التّكرار اللّفظي بالخلف هي للتّذكير(Rappel) والتّذكير بصيغة المخالفة يجعل الإنسان يبني تصوّره على محاذير شتّى، ومن ثمّة يكسب مناعة تُحيط به من كلّ صوب وحدب. وعلى هذا النّحو ليس بوسع الشّيطان أن يُفاجئ المرء بأيّ حال من الأحوال شريطة أن يتقيّد الإنسان بالخطاب التّلقيني المتمثّل في "لا تفعل" كما في قوله "لا تتّبع، لا يصدّنّك". لهذا ورد في تفسير الشّعراوي ما يلي:" حين نريد أن نصون أجسامنا نجعل لأنفسنا مناعة قبل أن يأتيَ المرض نطعّم أنفسنا ضدّ كذا وكذا...فكأنّ الله سبحانه يكرّر عداوة الشّيطان وما دامت هناك عداوة مسبقة فلن يأخذكم على حين غرّة".[274]

وبناء على ما تقدّم، كان التّكرار اللّفظي بصيغة المخالفة من أجل أن يعلم القاصي والدّاني أنّ الشّيطان عدوّ مبين. فلئن تعذّر علينا فهم هذه الصّيغة اللّفظية، فإنّه بإمكاننا فهمها بأسلوب مغاير. وإلى جانبِ كُلّ هَذا نَجِدُ "الاختلاف اللّفظي مع التّوكيد والنّفي". ومن آيَات ذَلِكَ :

---

[271] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد السّابع، ص 4067/4065.
[272] ***سورة البقرة***، الآية 206.
[273] ***سورة الزّخرف***، الآية 62.
[274] ***تفسير الشّعراوي***، المجلّد الثّاني، ص885.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [275] ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [276]

فالمقصود بلفظة (عبادي) هم الذين اصطفاهم المَولى من الوقوع تحت سلطة العرف الإبليسي. وتعني لفظة (الذين آمنوا) الذين أخلصوا نفوسهم للّه، ومن ثمّة فهم في حلّ من قهر الشيطان [277]. وضمن هذا الإطار حريّ بنا أن نُشير إلى أنّه على الرّغم من الاختلاف اللّفظي إلّا أنّ لفظة (عبادي) أدّت المعنى ذاته الذي أدّته لفظة (الذين آمنوا) وهو المتمثّل في صيانة اللّه لهذه الطّائفة من إغواءات إبليس. ولعلّ آلية توسيع التّحليل هو المثال، لذلك نأتي بهذا المثال للتوضيح والتبسيط والتبيين.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

ففي هذا المثال نجد خطابا مباشرا، فالمُخَاطَب هو (إبليس) حاضر من خلال المُشيرات الآتية (لك،اتّبعك) فلو كان المُخَاطَبُ غائبا لكانت الالتفاتة الآتية (له، اتّبعه).

إنّ: توكيد حرفي. / ليس لك...: النّفي بـ:ليس. / عِبادي: ليس للشّيطان سلطة عليهم.

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

نجد في هذا الشّاهد خطابا غير مُبَاشر فقد ورد في هذا الخطاب لفظ (ليس له) بدل (ليس لك) وكذاك نجد (إنّه) بدل (إنّك).

إنّ: أداة تأكيد. / ليس: أداة نفي. / الذين آمنوا: لهم مكانة رائقة عند اللّه فلا سلطة للشّيطان عليهم.

ومُجمل القول أنّ التكرار اللّفظي مع النّفي والتوكيد في هذين المثالين يتّضح لنا من خلال ما يلي:

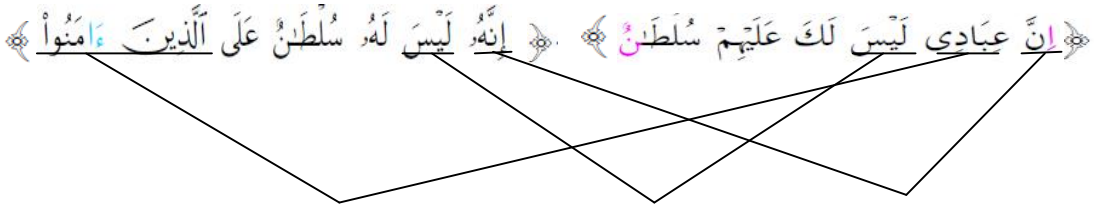

" أداة توكيد" " أداة نفي" " تكرار لفظي اختلافي"

وصفوة القول إنّ الدلالة الاختلافية المُتمخّضة عن هذا الضرب التكراري، هي: " التّشنيع"[278] بالذّات الإبليسيّة. تشنيع يترتّب عنه تلذّذ المؤمنين: فبقدر ما يحُطّ الخطاب القرآني من شأن إبليس كما في قوله تعالى:(ليس لك سُلطان)، يُثمّن في الوقت ذاته الذّات المُخلصة للّه الدين حنيفة. وعلى هذا الأساس تكرّرت تسمية الذين اصطفاهم اللّه مَرّة بلفظة (عبادي) ومَرّة أخرى بلفظة (الذين آمنوا). ومهما شاءت طبيعة الحال أن يكُون اللّفظ، فإنّ الدلالة تجمع بين هذه اللّفظة وتلك لتبُوح لنا بأفضليّة التّواجد في الوجود

---

[275] ***سورة الحجر***: الآية 42

[276] ***سورة النّحل***: الآية 99

[277] ***تفسير الشّعراوي*** المُجلّد الثّاني عشر ص 7706

[278] لم يكُن التّشنيع بأيّة حال من الأحوال بمعزل عن تلذّذ الذّات المُقابلة للمشنّع به، فبقدر ما يُوغل المُتكلّم في خطابه من الحطّ من قيمة الفاعل، فإنّه في اللّحظة ذاتها يُثمّن طرفا آخر. وفي ذلك اطّراد بالخُلف أو كما يطيب للبعض الاطّراد العكسي. انظر كتاب مُحمّد بن عيّاد ***"المقام في الأدب العربي"***، فصل: النّص في علاقته بالكون ص 178

. ومن ثمّة فإنّ الأفضليّة الوجُودية هي الشّعور بالإنتشاء (L'extase). وأنّى للإنسان ألّا يشعُرَ بالنّشوة الإيروسيّة (L'érotisme) وقد صانه الله من" سليط إبليس"[279] الذي يتوهّجُ إغواء وكُفرا. ومن آيات التكرار اللّفظي بالخُلف كذلك نجدُ "التكرار اللّفظي مع السُّؤال" فقد أضفنا إلى عبارة "التكرار اللّفظي" عبارة "مع السّؤال" ذلك أنّ الألفاظ التي تشكّل منها السُّؤال تكرّرت بصورة اختلافية. من ذلِكَ:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ... ﴾[280] ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[281]

فلا محيص من أن نُلاحظ أنّ الصيغة الموجودة في المثالين هي صيغة استفهامية، بيد أنّ التّقنية اللّفظية التّعبيريّة تغيّرت إذ نجد في المثال الأوّل (ما منعك؟) في حين نجد في المثال الثّاني (مالك) فالسّؤال كان مُوجّها إلى إبليس الذي أبى السُّجود لمّا أمره الله بذلك. ونحن حين نُحلّل هذين المثالين من زاوية دلالة الاختلاف، نجد أنّ التكرار اللّفظي بالخُلف يُؤكد لنا أنّ العُرف الإبليسي في بُعده التّقليدي وفهمه للكون هو الذي منع إبليس من السُّجود لآدم ومن ثمّة يتعذّر على إبليس اختراق سيّاج الممنوع. وحتّى إن أحدثت العقليّة الإبليسيّة تشقُّقات في هذا الممنوع، فإنّ عمليّة الخرق هذه يعقُبُها فهم خاطئ لطبيعة العناصر الكونيّة. والوجه في ذلك أنّ إبليس الذي خُلق من نار يرى نفسه أفضل من آدم الذي خُلق من طين. وعلى هذا الأساس سيُؤسّس إبليس لنفسه مبدأ قِوامُه الامتناع. عندئذٍ نكُون بين مدارين: مدار الامتناعيّة ومدار الممنُوعيّة.

وتُسعفُنا المادّة المُعجميّة في (م،ن،ع) فإذا نحنُ واجدون أنّ المنعَ من الامتناع. وبهذا يكُون التكرار اللّفظي الاختلافي لتأكيد وترسيخ المعنى الفعلي وهو المنع عن السُّجود.[282] وهكذا فإنّ رفض السُّجُود يُحرّكه دافع ذاتي: وهو المُتمثّل في رغبة إبليس في رفض السُّجُود وفق فلسفته الخاطئة في فهم عناصر الكون. ودافع خارجي: وهو المُتمثّل في مُعتقدات العُرف الإبليسي. ولعلّ المثال يُؤكّدُ ما نَقُول:

﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ ← وُجُود حاجز مانع منع إبليس من السُّجُود.

﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ← وضعيّة اختارها إبليس وفق شرعية رغبتـــه

مَمنُوع:شرعية العُرف الإبليسي

مُمتنع: رغبة إبليس ذاتُه

ومن ضُرُوب الاختلاف على مُستوى اللّفظ ألا وهو"الاختلاف اللّفظي مع الجواب الاختلافي". ومن آيات ذلِكَ :

---

[279] السّليط هو ما يُضاء به وهو زيت الفتيلة كما ورد ذلك في لسان العرب في مادّة (سلط) ومن مدّة سلط جاء الحديث عن إبليس بأنّه ليس له سُلطة على المُؤمنين أي ليس له حُجّة يُنيرُ بها وجه الحقّ وبها يُحقّق إقناع الذين آمنوا. انظر ***تفسير الشّعراوي*** المُجلّد الثّالث عشر ص 8203

[280] ***سورة الأعراف***، الآية 11

[281] ***سورة الحجر***، الآية 32

[282] "ورد في ***تفسير الشّعراوي***، المُجلّد السّابع ما يلي: (ما منعك أن تسجد) كأنّه كان عنده تهيّؤ للسُّجود. فجاءت قُوّة أقوى منه ومنعته وحالت بينه وبين أن يسجد. لكن ذلك لم يحدث وتأتى (منع) بأن يمتنع هو عن الفعل وذلك بأن يُقنعه غيره بترك السُجود فيقتنع ويمتنع. وهُناك فرق بين ممنُوع ومُمتنع. فمَمنُوع هي في (ما منعك ألّا تسجد) ومُمتنع تعني انّه امتنع من نفسه..."

﴿ ... قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾[283].

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[284].

فما نُلاحظه هو أنّ التبرير الإبليسي الوارد في سُورة الأعراف ليس هو الوارد في سُورة الحجر. وعلى الرّغم من الاختلاف التّبريري (La justification différentielle) إلّا أنّ المعنى في السُّورتين بقي على حاله لم يَشهد أيَّ ضربا من ضُرُوب ترحاله وهو إرادة إبليس الذي رتّب المراتب وِفق شرعية رغبته[285]. ولعلّ الترسيمة التأويليّة الآتِية تكُون مدّا للاستبيان.

الطين والنّار بين مُستويات ثلاثة يحكُمُها المُستوى التأويلي الأنطولوجي

المُستوى التّأويلي / العُنصر المؤوّل	المُستوى الأوّلاني	المُستوى الثّانياني	المُستوى الثّالثاني
الطين	هو عُنصر من عناصر الكون.	له وظيفة استخدامية كصُنع الأواني الفخّارية مثلا.	تتّسعُ وظيفة الطين الاستخدامية ومن ثمّة فهو المادّة التي يُخلَقُ منها الإنسان. أوَ لم يُخلَقُ المَرء من بين التّرائب.
النّار	هي أحد العناصر الكونيّة الأربعة إلى جانب الماء والتُّراب والهواء.	لها وظيفة استخدامية كطهي الطّعام على سبيل المثال. ومن ثمّة فهي في اتّجاه المقصدية.	تكتمل مقصديتُها في مُستواها الثّالثاني ومن هُنا تنفتح على التّأويل النهائي فإذا بالنّار مادّة الخلق التي منها خُلق إبليس.

لئن كانت النّار في الخلق مادّة منها يُخلَقُ الكائنُ وكذلك الشّأن بالنسبة للطّين، فإنّ الأمر سيّان.

فهل أنّ ذلك كان كذلك في التصوّر الإبليسي؟ للإجابة عن هذا السُّؤال نُدَوّنُ جدولا بـــعنوان:

التصوّر الإبليسي لعناصر الكون (الطين والنّار): تأويل ثُلاثيّ المُستوى تدريجيّ المُنطَلَقِ.

المُستوى التّأويلي / العُنصر المؤوّل	المُستوى المُباشر	المُستوى الدينامي	المُستوى النّهائي
الطّين	أقلّ مرتبة من النّار.	المخلوق من الطّين عليه أن يخضعَ لمَخلُوق النّار	رفض إبليس السُّجُود لآدم الكائن الطّيني، لأنّه يرى في ذلك انقلاب للقيم.

[283] ***سورة الأعراف***، الآية 11

[284] ***سورة الحجر***، الآية 33

[285] لقد ذهب الظنّ بإبليس أنّ العناصرالكونيّة المُتمثّلة في الطين والحجر هي التي تُعطي للمَخلُوق التفوّق والتميّز. ووفقَ هذا التصوّر حاجج إبليس خالقَهُ مُتوخّيا تعبيرات بصيغ اختلافيّة. بيد أنّ الأمر يكمُنُ في إرادة المُعنصر وهو الله الذي يُرتّبُ المراتب وفق مشيئته وحكمته. انظر تفسير الشّعراوي المُجلّد الثّاني عشر ص 7699

النّار	أعلى مرتبة من الطّين	الكائن المخلوق من النّار يتعذّرُ عليه أن يَنحني و يُصلّي لمَخلُوق من طين.	العُرف الإبليسي لا يَسمَحُ بالتّكافُؤ بين العُنصرين إيمانا منه بأفضليّة النّار على الطّين.

ولعلّ دلالة الاختلاف على مُستوى اللّفظ في قوله:

﴿... قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾[286].

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾﴾[287][288].

هي تقديم أصناف من التبريرات الفاشلة الباهتة التي توسّلها إبليس. وفي ذلك دعوة صريحة إلى لفت انتباهنا لتبيّن صفة إبليس المُعَانِدِ عِنَادَ المُكَابِرِ الضّال في طريق الكُفرَان. ولئن كُنّا نتحرّكُ في حيّز قصصيّ أدبي بما هو جانب فنّي، فإنّ هذا الحيّز من شأنه أن يجعل القصصي التكراري يغدو علما.

وحُجّتُنا في ذلك أنّ الخطاب القُرآني كرّرَ اللّفظ بالاختلاف ليُطلعنا على أنّ الخيريّة لا تتأتّى في عُنصر دون سِواه كما فهم ذلك إبليس، وإنّما الخيريّة تتأتّى في العُنصرين معا (الطين والنّار) وإن شئنا أن نُؤكّد ذلك من جانب علمي صحيح لطرحنا السّؤالين الآتيين: هل بوسعنا زرع الزّرع في النّار؟ هل يُمكنُنا الطّهي علـى الطين؟ إنّ الزرع لا يكُون إلّا في الطين والطّهي لا يكُون إلّا على النّار. ومن ثمّة يُؤكّد لنا الخطاب القُرآني أنَّ لكُلّ عنصُر كوني مهمّته الوظائفيّة[289](Son rôle fonctionnelle).

وعمَاد القَولِ أنّ الخطاب القُرآني في حديثِه عن جواب إبليس جاء حافلا بتكرار لفظي اختلافي للتّأكيد على أنّ للنّار جهة استخدام والشّأن ذاته يتوفّرُ عليه الطين. ومن ثمّة لا أفضلية لهذا على ذاك إلّا بالإتقان. فلا ريب أنّ تفكير إبليس يُحَرّكُه عقل ظُلْمَاني يُفسّرُ الأشياء تفسيرا خاطئا باهتا باطلا. هكذا نرى أنّ اللّفظ الواحد يُعرَض في صور مُختلفة وهذا يدخُل في باب التعبير عن المعنى الواحد بأشكال تعبيريّة مُختلفة. لهذا ذهب "مُحمّد أحمد خلف الله" إلى القول: "القُرآن يُصوّرُ التصوير الأدبي لا التصوير التعليمي التاريخي وليس بعد ذلك من دلالة على أنّ القصّة التاريخيّة في القرآن قصّة أدبيّة"[290]

ومُجمَلُ القول في مسألة الاختلاف اللّفظي أنّ الجانب القصصي في القصّة الإبليسيّة لم يكُن من شأنه أداء الألفاظ بعينها إنّما قصد استجلاء الدلالة لهذا يُقرّ "خلف الله" بالقول الآتي:"...إن أحسّ بأصل المعنى إنّما لم يتهيّأ له من وضوح التفسير الأدبي وسرّ العمل الفنّي في دلالة الألفاظ والمواد الأدبيّة ما

---

[286] ***سورة الأعراف***، الآية 12

[287] الحمأ المسنون هو الحمأة: أي طين تغيّر واسودّ من طول مُجَاوَرَة الماء، انظر قاموس ***الهادي إلى لُغة العرب*** مادّة (ح،م،ي) ص 527

[288] ***سورة الحجر***، الآية 33

[289] ضمن هذا السياق يقُول الشعراوي: "لا تقُل عن عود الحديد مُستقيم ولا تقُل عن الخطاف هذا عود أعوج. لأنّ مهمّة الخطاف تقتضي أن يكُون أعوج وعوجه هو الذي جعله يُؤدّي مهمّته لأنّ الخيريّة إنّما تتأتّى في متساوى المهمّة ولكن إبليس قال أنا خير منه." انظر ***التفسير***، المُجلّد السّابع ص 4064

[290] ***الفن القصصيّ في القرآن الكريم*** الفقرة الثّانية ص 172

يحلّ به الإشكال"[291]. فالتكرار الاختلافي الذي شمل اللّفظ، لم تكُن الجُمَلُ في حِلٍ منه وهذه خصيصَة تفرضها طبيعة النظام العلائقي التي تُؤسّسُ عُلقة اللّفظ بالجملة. وضمن هذا الإطار علينا أن نُدَقّقَ أمرا منهجيا وهو أنّ غايتنا المنهجيّة ليست الاكتفاء بإستخراج مواطن التكرار الاختلافي على مُستوى الجُمل، وإنّما غاية ما نطمح إليه هو استِقصَاء دلالة هذا الاختلاف الذي شهدته الجمل المُكرّرة في القصّة إبليسيّة. ومن هذه الزّاوية سيكُون دأبُنا البحث في عُنصر "أوغل شأوا في التبليغ"[292] ألا وهو:

2- دلالة الاختلاف على مُستوى الجُمل

لقد وسمنا هذا الضّرب كذلك لأنّه ليس من العسير على النّاظر في هذا الموطن أن يلحَظ تكرار الجُمل في القصّة الإبليسيّة المُكرّرة بتقنية الاختلاف. ومن ضُرُوبِ ذَلِكَ نَذكُرُ "تكرار الجُملَة بالاختلاف مع تغيّر فعل الأمر" نستدلّ على هذا المنوال التكراري الاختلافي من خلال قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [293]

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [294]

نُلاحِظُ أنّ هذين الشّاهدين أمارة على تكرار الجُملة عينها ولكن بطريقة اختلافية. فليس الهيئة التي توفّرت عليها الجُملَة الأولى هي الهيئة التي توفّرت عليها الجُملة الثّانية مع مُلاحظة أن المعنى يشترك فيه الجُملتان معا وهو أمر الملائكة بالسّجُود لآدم. فالشّاهد الأوّل كان فيه الترتيب مع التراخي و هو معنى حقّقته أداة العطف (ثُمّ) والوجه في ذلك قوله تعالى :

﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا ... ﴾

فهُناك قانون خلق ووُجُود لا شأن للإنسان به لأنّ الخلق والوُجُود سابقان للإنسان. فالخلقُ يبدأ من التُراب إلى أن تكتملَ الصّورة الآدمية.[295] وأمّا في الشّاهد الثّاني كان الجمع والترتيب بأداة العطف المُتمثّلة في (الواو) حرف للوصل يعطف التسوية على النّفخ في آدم من روح خالقه. وآية ذلك:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾

"فسوّيته" هُنا بمعنى خلق المرء وقد تمّ اكتملت صُورَتُهُ ولم يعُد ينقصه إلّا الروح. لذلك قال تعالى:

﴿ نَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾

أي جعلت فيه روحا.[296] وهذا من شأنه أن يفتح للدلالة مهاد الامتداد [297]. ونافذة الامتداد الدلالي هي أنّه ما دام خلق الإنسان وتصويره يندرج ضمن قانون الخلق والوجود وليس فيه للإنسان شأن فإنّ على البشريّة أن تنحت قانون الحياة والاستمرار. لذلك أمر اللّهُ الملائكة بالسُّجُود بقوله:

---

[291] المرجع نفسه، الفقرة الثّانية ص 450

[292] ***المقام في الأدب العربي***، الفصل الثّاني، الفقرة الأولى ص 109

[293] ***سورة الأعراف*** الآية 10

[294] ***سورة ص*** الآية 71

[295] أبو علي الفضل بن حسن الطبري، ***مجمع البيان في تفسير القرآن***، الجُزء الثّالث، طبعة جديدة مصحّحة منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ص 19

﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ أو قوله ﴿ فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

فالسّجُود معقود تنفيذه على الإنسان. والتنفيذ هُنا فوق طابع الوُجُوب الذي يتحكَّمُ فيه. وقتها يتمخّض السّؤال: هل يقدر الإنسانُ على الإيفَاءِ برسالة الخَلقِ التي بسببٍ منها يبني أفضليّة وُجُده في الوُجُود؟ وعلى الجُملَة فإنّ التكرار بالخُلف الذي شهدته الجُملة التي ذكرناها آنفا كان للدلالة على السّجود وتطبيق أمر الله. مهمّة تعني أنبل المعاني بها تتبلورُ أنسنة الوُجُود البشري. نقصد المثال الرّفيع الذي يجعل بريق العقل يتوهّج ليدفع بسُلطان الإنسان إلى الظّفر بحضرة الملأ. على هذا الأساس خُلِق الإنسان وفيه فراغ عميق وهذا الفراغ من شأنه أن يَجعلَ كيّانهُ موجُدا بالقُوّة . فما السّبيل إلى ملأ هذا الفراغ؟ إنّ السّبيل إلى ملأ هذا الفراغ هو توجيه الإنسان من قبل خالقِهِ. لهذا قال تعالى مُتوخيا أسلوب الأمر:

﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾ أو قوله أيضا ﴿ فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾

فلا ريب أنّ أسلوب الأمر الذي تكرّر بطريقة تخالُفيّة، هو دعوة الإنسان إلى ملأ ذلك الفراغ بما يَصِيرُ به وجُوده وجُودا بالفعلِ. ومن ثمّة كان التكرار الاختلافي ضمن هذا الإطار من أجل فهم الكينُونَةِ الإنسانيّة. ومن نافل القولِ أنّ الإنسان إذا ما وعى بتعطّل الفكرة الإيديولوجيّة التي خامرت ذهنَهُ في البدء، يسعى جاهدا إلى تعويضها بنقيضها. ولا سبيل إلى ذلك عدا الفكر الموضوعي الواعي.[298] وآية الفكر الواعي هو الذي نتبيّنه من خلال ضِربٍ آخر من التكرار الاختلافي الذي لحِقَ الجُملَ وهو: "التكرار الاختلافي للجُملة مع توسّل المخلوق لخالِقِه". يقُول تعالى:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [299]

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [300]

﴿ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ [301]

فلا محيص من أن نلحظ أن المعنى الإجمالي للشّاهد الأوّل والثّاني والثّالث هو توبة آدم وقبول الله توبته ، بيد أنّ الصيغة التعبيريّة للجملة تكرّرت بصورة اختلافية. ففي قوله :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ← الخطاب يعُود على الله.

﴿ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ ← الخطاب يعُود على الله.

---

[296] المرجع نفسه ص 132

[297] إنّ مصطلح الامتداد أو نافذة الامتداد استعمله مُحمّد بن عيّاد في كتابه ***المقام في الأدب العربي***، الفصل الثّاني الفقرة الثّانية ص 109

[298] يذهب مُحمّد بن عيّاد في حديثه عن الفكر الإديولوجي المنقوص إلى القول: "ينقاد الفكر الإديولوجي المنقوص إلى الاكتساح العاطفي الجامع. فهو يُحاولُ أن يُوطّن نفسه ويُقنعُها بأنّ التفسير الذي يُقدّمُه من وجهة نظر مصلحيّة هو الأصلح والأبقى" ***المقام في الأدب العربي***، فصل النص في علاقته بالتلقّظ، الفقرة الأولى ص 131

[299] ***سورة البقرة*** الآية 36

[300] ***سورة الأعراف*** الآية 22

[301] ***سورة طه*** الآية 119

فالشّاهد الأوّل الثّالث وردا في صورة عامّة. لذلك جاء الشّاهد الثّاني للتّخصيص. ونُوضّحُ ذَلِكَ بما يلي:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ ما هي هذه الكلمات؟
﴿ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾ كيف كان ذلك؟

سؤالان نجد إجابتهما في الشّاهد الثّاني:

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾

ومهما يكُن من أمر فإنّ مكمن الدلالة في ما نحن إزاءه تتّضح لنا بفضل أزمنة صيغية ثلاثة نستشفّها من خلال الأفعال من ذلك:

(تلقّى،تاب) ← صيغة الماضي.

(تغفر لنا، ترحمنا) ← صيغة الحاضر.

(انكوننّ من الخاسرين) ← صيغة المستقبل.

ومن ثمّة كان خطاب القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطاب القرآني بمثابة العلم الذي تمّ تحصيله في الماضي ولمّا ضيّعه "آدم" وأحسّ بخسارته لمكانته ومكانه، سعى إلى النّدم في الحال مُلتَمسًا المغفرة والرّحمة. لـذلك كان الحاضرُ حاضرا مـن خـلال المُشيرات الفعليّة [نسبة إلى الأفعال] (Les déictiques verbales) من قبيل (ترحمنا، تغفر لنا). وما المغفرة هذه والرّحمة تلك إلّا من أجل الحُصُولِ على ثمرة تكُون ذخرا لآدم أو للإنسان عامّة مستقبلا أو يوم الحساب. لهذا يخشى آدم أن يكُون من الخاسرين ، وهذا مبرّر آخر به فسّرنا حضور الصيغة المستقبليّة التي اتّضحت لنا من خلال (لنكوننّ من الخاسرين).

وعلى هذا النّحو تكرّرت الجُملةُ الواحدة وفيها توسّل المخلوق لخالقه بطرقٍ مُختلفة للدلالة على أنّ اقتراف الذّنب سُمّ مُهلك و أنّ رحمة الله لا ينفصلُ عنها أمل. ممّا يعني أنّ إرادة الانتهاض للتدارك جائزة كيفما كان الذّنبُ.[302] ونشيرُ ضمن هذا الإطار إلى أنّ إعلان "آدم" عن التّوبة تجاوز إقناعه فكرا وطُمأنينته نفسا، ليكُون نتيجة خسارته أرقى الآماكن وفقدانه لجيرة الله وتزعزع مكانته وتزحزح مكانه وخدش صورته.[303] هذا ونَجِدُ ضربا تكراريا آخر شهدته الجُملةُ وهو: "التكرار الاختلافي على مستوى الجملة مع التلقين والتبرير". من ذلك يقُولُ تعالى:

---

[302] الفخر الرّازي ***"التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"*** المُجلّد الثّاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الفقرة الثّانية ص 21

[303] ذهب مُحمّد بن عيّاد أثناء حديثه عن أهل قُريش "بأنّ إيمانهم بالرسالة كأنّما جاء نتيجة خسارتهم العسكريّة لا نتيجة إقناعهم فكرا واطمئنانهم نفسا" والرّأي عندنا أنّ الصورة نفسها تنعكس على توبة "آدم" لذلك ذهبنا إلى القول بأنّ توبته والتماس المغفرة من خالقه جاء نتيجة خسارته لمكانته ومكانه. انظر ***"المقام في الأدب العربي"*** فصل، النّص في علاقته بالكون، عُنصر التجريد الغيبي، الفقرة الأولى ص 178

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ۝ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ... ﴾ 304

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾ 305

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ ﴾ 306

فما يُمكنُ مُلاحظته هو أنّ الخطاب في الشّواهد الثلاثةِ موجّه إلى طائفة دون أخرى ونعني بها المؤمنين. فقد ناداهم الله تارة بـ: (الذين آمنوا) وتارة أخرى: (يا بني آدم) وطورا كانوا مُؤوّلين تأويل تقدير في محل مفعول به. وهذه علامة أولى من علامات التكرار التخالفي على مستوى جملة النداء. وآية ذلك:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ هم الذين أخلصوا أنفسهم لله.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ هم الذين خلّصوا نفوسهم لله.

اختلاف جملة النداء. تكرار يترتّب عنه استقرار في المعنى.

تكرار الاختلاف على مستوى الجملة.

وأمّا قوام البنية التلقينيّة فينبجس لنا من خلال قوله تعالى:

﴿ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ لاتتّبعوا ← لاتفعلوا.

﴿ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ لا يفتننّكم ← لايفعلنّكم.

﴿ لَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ لا يصدنّكم ← لايفعلنّكم.

تكرار الجملة التلقينيّة بطريقة تخالفيـــــــة.

بنية تلقينيّة قوامها لا تفعل. أي: لا تغترّ بإغراءات الشّيطان.

لقد ورد في الشّاهد الأوّل: "لاتتّبعوا خطوات الشّيطان".

وورد في الشّاهد الثّاني: "لا يفتننّكم الشيـــــــطان".

وتضمّن الشّاهد الثّالث: "لا يصنـّكم الشّيـــــــطان".

لماذا؟ سؤال في مَقام البحثِ عن التّبرير.

ونُؤكّدُ ذَلِكَ بِمَا يَلِي:

﴿ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ تلقيـــن

لأنّ ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ تبريـــــر

بنية تلقينيّة مُبرّرة

304 ***سورة البقرة***، الآيتان 206 - 267

305 ***سورة الأعراف***، الآية 26

306 ***سورة الزخرف***، الآية 62

﴿ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ لأنّه ﴿ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾

لماذا حذّرنا الله من فتنة الشّيطان؟

الجواب والتبرير: لأنّه:

﴿ لَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ فما سرّ هذا التحذير؟ **التبرير**، لأنّ الشيطان: ﴿ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾

بنية تلقينيّة. تبرير البنية التلقينيّة.

فإبليس في المنظومة الاجتماعيّة المُتعَارف عليها لم يكُن ولن يكُونَ أهلا للإيمان. وبسببٍ من ذلك جاء خطاب القصّة الإبليسيّة ثرّا بأوصافٍ صيّرت إبليس في مكانة وضيعة من قبيل: (إنّه لكم عدوّ مبين) ولعلّ التكرار الاختلافي الذي شهدته الجُملةُ انفتح على دلالة التجريم والتكفير [307]. كما في قوله تَعَالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾ [308]

3 - دلالة الاختلاف على مُستَوَى السيّاق:

ليس المَنزَعُ الكُلّي المُتَعلّقِ بمعرِفَةِ الخَصائص النّوعية التي تتمَتّعُ بها القصّة الأدبيّة مُقتصرا على استخراجِ خصائصها الدّاخلية (Interne) فحسب، إنّما يعُودُ مصدرَ هذا المنزع الكُلّي كذلِكَ إلى خصائصها الخارجيّة (Externe) . أي إدراجُها في سيّاقات مَعنية ومُعَيّنة. ومن ثمّة ينشأ نِظام مُتماسكٌ، يكمنُ مأتى تماسكه في تحديدِ العلاقات المُنعقدَةِ بين النّص والسيّاق. لذلكَ يذهَبُ "فان ديك" إلى القولِ :

"للإجابة على السّؤال المُتعلّق بمعرِفَة الخصائص النّوعيّة التي تزخَرُ بها النّصُوص الأدبيّة بوسعنا أن نتساءلَ عن الخصائص التي تُنعتُ بها النّصوص الأساسيّة وننظر في الخصائص الخارجيّة بدل استخراج الخصائص الدّاخليّة. أي التّركيز على الشّروط التي تخضعُ لها النّصوص ضمنَ سيّاقات مُحدّدة مع تحديد العلاقات القائمة بين بنية النّص (Structure de texte) والسيّاق. [309] ومِمّا لا شكّ فيهِ أنّ القصّة الواحدة ليست رهينة سيّاق أوحد. وحسبُنا في ذلك أنّ القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطاب القُرآني قد توفّرت على سيّاقات شتّى تراوحت بين الأُلفِ والخُلفِ. وبما أنّهُ سبق وأن أشرنا إلى السيّاقات التحالفيّة وتدبّرنا دلالاتها. فإنّنا نسعى بعد ذلك إلى استجلاء دلالة الاختلافات السيّاقية التي " تنفتحُ على أفاق رحيبة من التّأويل لا تتوقّفُ- كما في المنطق البيرسي- عند حدّ إلّا ذاك الذي تقتضيه العادة..."[310]

وبناء على ما تقدّمَ عُدنا إلى القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطاب القُرآني فَوجَدنَا ضُروبا جمّة من السّيَاقَات الاختِلَافيّة من بينها: السيّاق التداولي: (Le contexte pragmatique)

---

[307] انظر ***المقام في الأدب العربي***، فصل النص في علاقته بالكون الفقرة الأولى ص 178

[308] ***سورة الأعراف***، الآية 26

[309] فان ديك: **Le texte :Structure et fonction ,introduction élémentaires à la science du texte** ص 63.

[310] محمّد بن عيّاد، من كتابه ***المقام في الأدب العربي*** ص 159.

ولا نقصرُ همّتنا هُناعلى دراسة الملفوظات اللّغويّة (Les énoncés du langage) فحسب وإنّما أيضا على استخراج دلالة السيّاق التداولي المُكرّر بكيفية اختلافية. ومن هُنا سنبحثُ في الدلالة القائمة على تأويل الآيّ القُرآنية الحافلة بالتكرار التخالفي على مُستوى السيّاق التداولي. ناهيك أنّ هذا الضّرب السيّاقي قِوامُهُ سلسلة الأفعال الكلامية.[311] ونستدلّ على ذلكَ من خلال قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[312]

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[313]

﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾[314]

﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾[315]

فما يُمكِنُ مُلاحظتهُ هو أنّ الأفعال الكلاميّة المُمتدّة على أربعة شواهد قُرآنية منسوبة إلى فاعل واحد هو الشّيطان الذي يتوعّدُ تارة من خلال قوله:

﴿ لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ويُقسم تارة أخرى كما في الشّاهد الثّاني:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ ويسألُ حينا كما في قولهِ:

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴾

ويُهدّدُ حينا آخرَ كما ورد ذلك في الشّاهد الرّابع:

﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾

وهكذا فإنّ القسم والوعد والسّؤال والتّهديد هي فُرُوع لأصلٍ واحد هو السيّاق التّداولي. نعني أنّ هذا السيّاق تكرّر في أكثر من مرّة وفي أكثر من موضع بكيفية مُختلفة. وضمن هذا الإطار يرى "أوشان

---

311 ***السيّاق والنّص الشّعري*** ص 82.
312 ***سُورة الأعراف***، الآية 15.
313 ***سُورة ص***، الآية 81.
314 ***سُورة طه***، الآية 117.
315 ***سورة الأعراف***، الآية 16.

آية علي" أنّ الوُعود والتّهديدات والأسئلة والتّأكيدات والأوامر أمثلة عن الأفعال الكلامية المُكوّنة للسيّاق التداولي.[316] ولتوضيح ذلك رأينا أنّهُ من الجَدوى القيامُ بجردٍ جدوَلي بعنوان:

القول كفعلٍ كلامي من خلال السيّاق التداولي

الآي القُرآنيّـــــــــــة	الفعل الكلامـــي المُؤسّس للسيّاق التداولـــــــــي	العامـــــل المُكوّن للسيـــّاق التداولي
﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾	الفعل الكلامي المُنبثق عن هذا القول هو **الوعد والتوعّد.** فالمُتلفّظ [إبليس] ضمن هذا السيّاق يتوجّهُ بالخطاب إلى الله وهو يتوعّدُ بأنّهُ سيكُونُ بالمرصادِ لعبادهِ ويَحُولُ دونهم الصّراط المُستقيم.	إنّ العامل في تشكيل السيّاق التداولي في هذا الشّاهد القُرآني هو الشّيء المُفضّلُ لمُستعمل اللّغة. نقصدُ الشّيء الذي يرى فيهِ إبليس المُتلفّظ الكيفيّة المُناسبة التي بها ينحتُ أفضليّة وجُودهِ بعدما خسر مكانهُ في الجنّة ومكانتهُ في حضرة الملأ.
﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾	الفعل الكلامي الذي حقّقهُ هذا القول هو **القسم**. فالقائلُ ضمن هذا الإطار هو إبليس. يُقسِمُ بعزّة المَولَى بأنّهُ سيغوي عباد الله أجمعين. ومن هذا الموقع يكُونُ إبليس قد أنجز قوّة كلاميّة من خلال الفعل الكلامي. فالتلفّظ الذي يتصدّرهُ القسم هو قُوّة كلامية مقصُودة بالقولِ.	إنّ الرّغبة في التّحدي والبحثُ عن تعويض خُلّبِ المكانِ هي من أبرز العواملِ الباعثةِ على نشأة السيّاق التداولي. فإبليس يُدركُ تمام الإدراك أنّهُ خسر أرقى الأماكن وهو جنّة الآخرة. فماذا هو فاعل إذن؟ حزمَ أمرهُ مُقسما أنّهُ سيغوي الجميع حتّى يتساوى وإيّاهم عملا ومآلا. ومن ثمّة فالعاملُ الذي تدبّرهُ إبليس يُعالجُ قيمة ضائعة بل يُشوّهُ قيّما منشُودة.[317]
	الفعل الكلامي الذي تحقّق جرّاء هذا القول هو **السّؤال** [هل أدلّكَ؟] فالمُنشئ للفعل الكلامي ونعني بهِ إبليس توجّه بالتلفّظ إلى آدم سائلا إيّاهُ إن كان يطمَحُ إلى المُلكِ والخُلدِ. هذا من جهة ظاهر الخطاب، أمّا من جهة باطن الخطاب، فالسّؤال هو فعل	يُبيّنُ لنا إبليس من خلال خطابه أنّهُ صاحب معرفة. ومن هذا المَوقعِ فإنّ العامل المكوّن للسيّاق التداولي هو المعرفة التي يمتلكُها مُستعملُ اللّغة. ونقصدُ به هُنا [إبليس]. الذي تخلّى عن خِطابِهِ المعهُود وهو خطاب الفاسق وتوخّى خطابا آخرَ هو خطاب

[316] ***السّياق والنّص الشّعري*** ص 82.
[317] انظر مُحمّد بن عيّاد في حديثهِ عن الالتزام الجُزئي المصلحي في كتابه ***المقام في الأدب العربي*** ص 121.

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾	كلامي مُدبّر من أجل معايير قصديّة وغرضيّة وتوجهيّة مفادُها: الإطاحة بآدم ليخسر مكانهُ ويفقدَ مكانتهُ عند المَولى.[318]	النّاسكِ. فقد برز في صُورة الدّليل المُساعد الذي يعرِفُ ما لا يعرِفُهُ المُخَاطَب بُغية تحقيق مقصد أنوي ذاتي مصلحي قِوامُهُ أن يتساوى إبليس مع آدم في ارتكاب الخطيئة ضدّ الله.
﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	إنّ الفعل الكلامي المُؤسّس للسيّاق التّداولي في هذا الشّاهدِ هو **التّهديد**. فالمُتلفّظُ وهو إبليس يهدّدُ بأنّهُ سيكُونُ صدّا منيعا يحُولُ دون الله وعبادِهِ. ومن هذا المُنطلق كان الاستعمالُ المُكثّفُ لمَقُولة الجهة من ذلك [بين أيديهم ، عن أيمانهم، عن شمائلهم...] فالتّهديدُ بما هو فعل كلامي نهض على المُفاخرة الذّاتية.	إنّ العامل المُكوّن للسيّاق التداولي من خلال هذا الشاهد هو العلاقة الإيديولوجيّة المُنعقدة بين المُتَلَفّظِ و المُتَلَفّظِ عنهُم. أي بين إبليس وعباد الله. فهُناك تضارب علائقي مفادُهُ تعميق هُوّة التّضاد الإيديولوجي بين الشّاكرينَ لنعمة الله وبين إبليس الذي يُهدّدُ بمنعهم عن هذا.

وعلى هذا الأساس اتّضح لنا تكرار السيّاق التّداولي بتقنية اختلافية. فقد تنوّعت الأفعال الكلامية والعوامل المُساهمة في تكوّن السيّاق التداولي. ودلالة ذلك كلّه، إبراز عداوة الشّيطان. فلا محيص من أن نُلاحظ أنّ الخطاب القُرآني من خلال القصّة الإبليسيّة فيه تكرّر السيّاق التداولي بالخُلفِ للدّلالة على المُغالطة الإبليسيّة، ذلك أنّ إبليس ضمن هذا السيّاق التداولي جعل ذاتَهُ محور القولِ في حلّه وترحالهِ كأن يقُول : [لأقعُدنّ لهم...، لأغوينّهم، لأيتينّهم...] ومن ثمّة نصّبت الذات الإبليسية نفسها قادرة على التّحفيز الإجتماعي (La motivation sociale)[319]

والجديرُ بالمُلاحظة ضمنَ هذا السيّاق أنّ إبليس يُجوّزُ الإدراك لذاتِهِ . ونعني بالتجويز الإدراكي من هذا الموقِعِ الإقناع وسداد الرّأي. وبهذهِ الإشارة نجدُ أنفسنا وجها لوجهٍ مع ضربٍ ثانٍ من التكرار السيّاقي بتقنية الاختلاف وهو: السيّاق الإدراكي: (Le contexte cogntif) الذي يرتكِزُ على المُكتسبات المعرفيّة التي يحظى بها المُخَاطِبُ داخل النّص. ونُشيرُ كذلك إلى أنّ السيّاق الإدراكي ذو طابع دائري (Caractère cyclique) فالفكرة الإيديولوجيّة المُدركة تنتهي من حيثُ تبدأ.[320] يقُولُ تعالى:

---

[318] الفعل الكلامي الأصلي أن يُوصف كالأفعالِ بوجه عام بواسطة معايير قصديّة وتوجهيّة حتّى لو لم تكُن الأفعال الفرديّة مشروطة على الحقيقة بتلكَ المعايير اشتراطا فرديّا. أنظر ***النّص والسيّاق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي***. ص 264.

[319] نقصدُ بالتّحفيز الاجتماعي أنّ المُتلفّظ يظهرُ لنا في هيئة القادر الواثق المُستوثق من إمكانياتهِ عل التّغيير الإيديولوجي للأفراد. ومن ومن ثمّة فإنّ الأفعال الكلامية كالتّهديد والوعد والقسم هي مُحفّزات بواسطتها يتحقّق التّحفيز الاجتماعي. أنظر ***المقام في الأدب العربي*** ص 127.

[320] ***السيّاق والنّص الشّعري*** ص ص 84 – 85.

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾ [321]

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ [322]

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [323]

فإبليس من خلال هذه الآيات القُرآنية يظهرُ لنا أنّهُ يُدركُ حقيقة العناصرِ الكونيّة وحقيقة ما يُمكنُ فعلهُ. ومن هذا المُنطلق تكرّر السيّاق الإدراكي اختلافا والوجهُ في ذلك أنّ الشّيء الذي تكرّر هو الموضوع النّصي. ومن هُنا تكرّرت البنية الإدراكيّة في إطارها العامّ. [324] والأمثِلَة المُوالية تُوضّحُ ذَلِكَ:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ﴾

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾

سُؤال الخالق للمخلُوق إبليس: سُؤال مُكرّر بصيغة اختلافية.

وعلى الرّغم من ذلك إلّا أنّ الموضوع ظلّ ثابتا لامُتحوّلا. وهو لِمَ لَمْ تسجد لآدم يا إبليس؟ ومن هُنا فإنّ ما يُدركُهُ إبليس هو الذي يُفصِحُ عنهُ من خلال إجابتِهِ وهي:

﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ ﴾

تكرار السيّاق الإدراكي بالخُلف: سيّاق الفهم الإبليسي ينتهي من حيثُ يبدأ: سيّاق الفهم ذو طابع دوري (Cyclique)

فما دلالة التكرار الاختلافي الذي انبنى عليهِ السيّاق الإدراكي؟ إنّ دلالة هذا التكرار الاختلافي على مُستوى السيّاق الإدراكي تتمثّلُ في تبيانِ مكر الشّيطان واستعلائِهِ وعداوتِهِ من خلال سعيهِ إلى إحداثِ فارقٍ مديدٍ بينَهُ وبينَ الإنسان المَرمُوز إليهِ برمزيّة آدم. ومناط الدّلالة في ذلكَ كُلّهِ أنّ السيّاق الإدراكي بتكرارهِ الاختلافي أوضحَ لنا إغراق الجانب الإدراكي - المُنبثِقِ عن تفكيرِ إبليس – في المركزيّة الوهمية [أنا خير منهُ خلقتني من نار وخلقتهُ من طين] . ولكي لا نغرق في هذه المركزيّة

[321] ***سُورة الحجر***، الآيتان 42- 43.
[322] ***سُورة ص*** الآيتان 74- 75.
[323] ***سُورة الأعراف***، الآية 11.
[324] تلعب البُنى الكُبرى دورا رئيسيا في المُعالجة الإدراكيّة لأحد النّصوص فالمتخَاطَب أو القارئ أو الكاتب لا يستطيعُ أن يُكرّر النّص ذاته كلمة كلمة أو جُملة جُملة. لأنّهُ لا يستطيعُ أن يتذكّرَ أهمّ موضُوعات هذا النّص. لأنّ البِية العامّة هي التي تقهرُ النسيان.أُنظر مثلا ***السيّاق والنّص الشّعري*** ص 84.

الوهميّة كرّر لنا الخطاب القُرآني الجانب الإدراكي الرّابض في عُمق العقليّة الإبليسيّة، حتّى نتأمّلَ هذا المَخزُون الإيديولوجي المُأبلس ونتصفّحَ أقوالا تنأى بكلكَلِ. لهذا علينا أن نُشيّدَ تفاصُلا ينفي تواصُلا بيننا وبينَها. ونرى الانقطاعات التي نبتعِدُ بها عن هذه الفلسفة الإبليسيّة المُشيّدة بالقفرِ والخُلّبِ والمُنشدّة إلى التفكيرِ القُلّبِ تنسفُ جُسُور التواصلِ معها.

ولعلّ دلالة تكرار السيّاق الإدراكي بطُرق عديدة تحكمها تقنية الاختلاف إلى جانب ما ذكرنا. هي أنّ الخطاب القرآني في قصّة إبليس يُحذّرُنا من الوُقُوعِ في فخّ الاستدراج الإبليسي. وبذلكَ يُطلعُنا الخِطاب القُرآني من خلال تكرار السيّاق الإدراكي على كيفية تضامن القول والفكر الإبليسي للزّج بالإنسان في مركزيّة الوهم التي ينتهي مآلُها بالذي لا يُحمدُ عُقباهُ. وضمن هذا الإطار قيلَ: " مُخادعات الأقوالِ تقُومُ مقام مُخادعات الأفعال، والكلام فيها وإن تضمّن بلاغة فليس الغرض ههُنا ذكرُ بلاغتهِ فقط، بل الغرضُ ذكرُ ما تضمّنهُ من استدراج الخصمِ إلى الإذعانِ والتّسليمِ..."[325] وكُلّ هذا في جُملتِهِ يرسُو بنا عندَ ضِربٍ سيّاقي آخر وهُو:السيّاق الثّقافي (Le contexte culturel)

فلا يخفى على نظر المُتفحّص في القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطاب القُرآني أن يُلاحِظَ اختلاف البنية الثّقافية التي تتغيّرُ من فاعلٍ إلى آخر. وضمنَ هذا السيّاق الثّقافي غالبا ما يَكُونُ التّعبيرُ مُنشِأ لقضايا مُعيّنة للتّعبيرِ عن علاقات تداولية بين أفعالٍ كلامية. لذلك يقول 'أوشان آيت علي' " في إطار السيّاق الثقافي يبدو من المُهمّ الرّبط بين مُختلف المُستويات في التّحليل النصّي. فغالبا ما تكُونُ العلاقات تعبيرا عن قضايا مُعيّنة أو عن علاقات تداوليّة بين أفعال كلامية".[326] ومن آياتِ ذَلِكَ:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[327]

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[328]

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ... ﴾[329]

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[330]

فالجديرُ بالمُلاحظة أنّ الشّاهد الأوّل والثّاني مُسوّران بسيّاق ثقافي يحكُمُهُ خصب فكري.[331] فلا يخفى أنّ الجانب الثّقافي الواعي لدى "آدم" أتاح لهُ التّفكير في الخُرُوج من أسرِ خطيئتهِ. وقد كان سبيلُهُ إلى ذلكَ الملاذُ إلى خالقهِ. وأهمّ رُتبة في هذا الملاذ هُو طلبُ العفو. وممّا لا شكّ فيهِ أنّ دلالة تكرار هذا

---

[325] ضياء الدّين بن الأثير: ***المثلُ السّائر في أدب الكاتب والشّاعر***، الجُزء الثّاني، تقديم وتعليق أحمد الحُوفي وبدوي طبانة الطّبعة الثّانية، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر. ص 250.

[326] ***السيّاق والنّص الشّعري*** ص 88.

[327] ***سُورة الأعراف***، الآية 22.

[328] ***سُورة البقرة***، الآية 36.

[329] ***سُورة الأعراف***، الآية 21.

[330] ***سُورة الحشر***، الآية 16.

[331] الخصب الفكري هو ضديد الجدب الفكري ونحنُ نعني بهذا المُركّب النّعتي [الخصب الفكري] الوعي الذّاتي بأهميّة الموضوع. أُنظر مثلا ***البرهان الترجُماتي***، فصل الفواعل في إبراهيم الكاتب، عنصر الجانب الثّقافي. ص 122.

السيّاق الثقافي تتمثّلُ في أنّ إنتاج أطروحة طلب العفو والمغفرة نتيجة الوعي بارتكاب الخطأ، يعني وعي آدم بأنّ مركز الجاذبيّة والطّريق الحقّ لا تُرسمُ معالمهُ بتوجيهات إبليس. بل إنّ الظّفرَ بأفضليّة ما يُمكنُ أن يكُونَ عليهِ وُجُدنا هو اتّباعُ أوامر الله والتقيّد بنواهيهِ. لهذا تكرّر السيّاق الثّقافي في سُورة الأعراف وسُورة البقرة وما سِواهُما بصيغة اختلافية ليُذكّرنا بهذا الوعي ويُرسّخ فينا هذا المبدأ بهذا المنحى التعبيري أو بآخرٍ.

ونُشيرُ بعد هذا إلى أنّ الشّاهد الثّالث والرّابع اللذانِ أنتجتهُما العقليّة الإبليسيّة المُأدلجة بسيّاق ثقافي يحكُمُهما جدب فكري بما هو عدل للجدب الثّقافي.[332] وممّا لا شكّ فيهِ أنّ السيّاق الثقافي الحافلِ بكُلّ هذهِ المُقوّمات المُشار إليها آنفا قد تكرّر بصُورة اختلافية. وإن نحنُ بحثنا في دلالة هذا. فإنّ الرّأي عندنا، أنّ الخطاب القُرآني من خلال تقنية الاختلاف على مُستوى السيّاق الثّقافي كان للدّلالة على أنّ ما يدعُو إليهِ إبليس هي مضامين تُحيطُ بالأشياء أي المُغريات الإبليسيّة كما في قولهِ:

﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾[333]

والمقصُودُ بالمعاني في هذا المُقام هي التّجليات الماديّة للعقليّة الإبليسيّة. ونتبيّنُ ذلك من خلال الآية:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[334]

وعلى هذا الأساس جاء الخِطاب القُرآني في القصّة الإبليسيّة حافلا بالتكرار الاختلافي للسيّاق الثّقافي، ليُحذّرُنا من الإيديولُوجيا المُأبلسة (l'idiologie diabolique) النّاتجة عن التّفكير الإبليسي بما هي أفكار محورها إغراء وأساسُها من خواء. فنحنُ على شبه يقين أنّ دلالة تكرار هذا السيّاق الثّقافي هي أفكار تبلغ مصلحة آنية أو أنويّة ضيّقة.[335] وبذلك فإنّ التثاقُفيّة الإبليسيّة هدفُها الأقصى هو الحِفاظُ على وضع مصلحي ضيّق بالمفهُوم الإيديولُوجي.[336] وسواء تعلّق تكرار السيّاق الثّقافي الاختلافي بالخصب الفكري (La richesse de pensé) أو بالجدب الفكري (La pauvreté de pensé) فإنّ لذلك دلالة تنهَلُ من معنيينِ. أُولاهُما استئثار آدم بالعفو لصالحهِ من خلال الالتماس الغيبي. وثانيهُما، هي ما تقتضيهِ الضّرُورة المصلحيّة.[337]

---

[332] ***البرهان الترجاتي*** ص 122.
[333] ***سُورة طه***، الآية 117.
[334] ***سُورة الحشر***، الآية 16.
[335] ***المقام في الأدب العربي***، ص 156.
[336] المرجع نفسهُ، والصّفحة عينُها.
[337] الضّرُورة المصلحيّة هي سليلة الحاجة التي تتطلّبُها ظُرُوف مُعيّنة. وهي قيمة إيديُولُجية مُرتهنة بمَقاصد مُحدّدة.
أنظر ***المقام في الأدب العربي***، ص 174.

خاتمة الفصل الرّابع

إنّ التّكرار الاختِلَافِي في جميعِ مُستوياتِهِ التي أشرنا إليها لَهُ طابع تعليمي. إذْ يجمَعُ بينَ طُرُقٍ شتّى وصيغ عدّة. ومع كُلِ صيغة وفي كُل طريقةٍ، يُرينَا مُغامرة إبليس ومُناوَرتِهِ في صُلبِ مُحَاوَرتِهِ مع آدم. ممّا يعني أنّ هُناك مُغامرة ورِهَان، وعَلَينَا نَحنُ معشَرَ البشر أن نضعَ في الحُسبانِ بأنّ هُناك ربحٌ وخُسرانٌ بالمفهُوم المآلي لا بالمفهُوم التّجاري. وخليقٌ بنا أن نُشيرَ ضمنَ هذا الإطار إلى أنّهُ ما إملالٌ أضحى التّكرارُ الاختلافي على مُستوى اللّفظ والجُملة والسيّاق، ولا تشويقا كان. بله هو تأكيدٌ بتعابيرٍ مُختلفة. تعابير قِوامُها: إيّاك من إملاءات النّفس الأمّارة بالسّوء ففيهَا هَلاك، واحذر الإغراءات وإن كان فيها الخصبُ، فإنّها في جميعِ نواحيها وفي كُلّ مناحيها خُلّب قُلّب كالسّراب فاتنُ.

والحقّ أنّ بحثنَا في دلالة التّكرار الاختلافي " ليس إنشاءً اعتباطيًا وإنّما هو بنية فكريّة ".[338] قامت على عُنصر مُزاوجة صريحة بين التكرار من ناحية، والاختلافُ من ناحية أخرى. على ذلك نَقُول: إنّ التّكرار الاختلافي هُو تعبير عن تصرّفات تتكرّرُ عند الإنسانِ في الوُجُود. ألمْ يتكــرّر خطَأُ الإنســانِ في الكــَونِ؟ أليسَ التماسُ المغفرة من الله يكُونُ مِرارا وتِكرارا ؟ ألا يُمكِنُ عدّ هذا الضّرب من الالتماس تعبيرٌ عن أشياءٍ مُختلفةٍ، من قبيلِ تأنيب الضّمير والتنبّه إلى ارتكاب الخطأ والبحثُ عن أفضلية وُجُودية وما سِوى ذلكَ ؟ وهكذا فإنّ البحثَ في دلالة التّكرار بالخُلفِ كان كفيلا بأن يُنمّي الوعي الجمعي. ومن ثمّة يتمكّنُ الفكر الواعي بفضل الصّيغة التّكراريّة هذهِ أو الصّيغة التّكرارية تلك من معرفة النّفسِ وسبرِ أغوارِها واستقصاء كينُونتِهَا واستشرافِ مُمكنات وُجُودِهَا هذا فضلا عن تقييمِ أحوالِهَا ".[339]

وبناء على ما أشرنَا آنفا، غدت القصّة الإبليسيّة مرجع الوُجُود وهي بذلك تكُفّ أن تكُونَ مَوضُوعا للوُجُود.[340] وغيرُ خافٍ أنّ بحثنَا في دلالة التّكرار الاختلافي لم يُلمَ بكُلّ الانفتاحات الدّلالية. فكلّ ما صنعناهُ إنّما هُوَ مُقاربة دلالية أضأنَا فيهَا جانِبا منهجيّا. ولعلّ عدم وُقُوفنَا على دلالة بعينِهَا " هُو حُلمٌ جميلٌ من أجلِهِ تستمرّ مُغَامَرةُ التّأويل " على حدّ عبارة 'أمبرطو إيكُو'. ومثلُ ذلكَ دلالات لايُخَالِطُها منطقُ الصّدقِ ولا منطق الكذب، بل هي دلالات تنطوي على أنّ الظّفر بأفضلية الوُجُود، منطق يخضعُ لثُنَائية الإفلاح والإخفاقِ. فليسَ مُتَاحًا لأيّ كانَ من معشر البشر أن يفعلَ ما يشاء. لأنّ وجاهة فعل الشّيء وكذلِكَ وجاهة القول تخضعُ للسّنن الثقافي والاجتماعي المُتعَارفِ عليهِ.[341] ومثلُ هذهِ السُّنن خالفها إبليس ففعلَ ما شاء. إنّهُ خُرُوج عن الجماعةِ والوعي الجمعي. وارتياد لِدروب لم يدخُلها أحد ؟ وأينَ من ذاك الكبر ؟ هُو قانُون العُرف الإبليسي وشرعيتُهُ اللذان أوهَما إبليس بالكبرياء فكانَ مآلُهُ الرّجم والفناء.

---

[338] ***بنية السّرد في القصص الصّوفي***: المُكوّنات والوظائف والتّقنيات، ص 171.
[339] ***مسالك التّأويل السيميائي*** ص 46.
[340] المرجع نفسهُ، الفقرة الثّانية، ص 47.
[341] انظر ***المقام في الأدب العربي***، ص 164.

خَـاتمـَة المَطَـاف

أقدمنا على إنجَازِ هذا البحثِ تَحدُونا رغبَة في تحسّس طبيعة الجدل القائم بينَ أحادية الحدث واختلاف الرّوايات في قصّة إبليس المُكرّرة في الخِطَاب القُرآنِي. وتوخّينا لبُلُوغِ الغاية تلك تصميما رُبَاعي الرّكنِ يتّخِذُ ممّا يُميّزُ القصّة الإبليسيّة تقنيا ووظائفيا، وممّا يُميّزُ التّكرار ألفا وخُلفا. مأربا إلى مقصدنا العلمي من بحثِنا المُعنونِ بـ: "تكرار القصص في القُرآن: قصّة إبليس أنموذجا". فمزجنا بين الخبرِ والخِطَاب في تقنيات هذهِ القصّة المُكرّرة وبين أحادية الحدثِ واختلاف رواياتها، فالدّلالة وتكرار الائتلاف، فالدّلالة وتكرار الاختلاف.

وتقتضي مِنّا منهجية عملنا ألّا نقفَ على النّتائج الفرعيّة وقد أسلمنا البحث إلى خاتِمتِهِ. فذلكَ ممّا سبق وأن أشرنا إليهِ في خاتمة كلّ فصل من الفُصُول الأربعة التي تُكوّنُ عناصر التّصميم في مفاصلهِ الكُبرى. إنّما يرتقي همّنا إلى معرفة اختلاف الأشكال التّعبيريّة في ظلّ أحادية الشّيء المحكي. ونريدُ أن نحسمَ القول في أن يكُونَ خطاب القصّة الإبليسيّة من زاوية إنشائية صِرفة قد قصدَ أداء الألفاظ وأداء المعنى معا أو هل أنّ الأمر كان خلاف ذلكَ.

فلا يخفى عن نظرِ الفاحصِ في مُدوّنة بحثنا من أن يُلاحِظَ ضِربينِ من التّكرار. ونقصدُ بهما تكرار التّحالف وتكرار التّخالف. فهُما حينا مُنسجمانِ معا جنبا إلى جنبٍ من غيرِ ضيمٍ ولا تنغيص لغاية تحقيق الجانب القصصي في قصّة إبليس. وحينا آخرَ يبتعدُ إحداهُما عن الآخرِ لأنّ التّحالف ليس هو التّخالف بل لا يمتّ إليهِ بصلة. فإذا كان تكرار الخبر، خبر آدم وخطيئتهِ وخبر إبليس وتمرّدهِ على خالقِهِ، وخبر إبليس ووسوستِهِ لآدم وما سواهُ من الأخبار التي جدّت في التّاريخ. فإنّ الخِطَاب القُرآني في القصّة الإبليسيّة من خلال تقنية تكرار الخبر، لم يكُن مدارُ انهمامهِ تعليم الناس التّاريخ ولا شيئا من أحداثِهِ. إنّما قصدَ المعاني الأدبيّة البلاغيّة لاستثارة الوعي.[342]

وآية ذلك كُلّهِ أنّ الخِطَاب القُرآني في القصّة الإبليسيّة المُكرّرة إنّما هو خِطَاب يُفهَمُ في كُليتهِ ولا يُفهَمُ في جُزئيتهِ. فما دامت القصّة واحدة و الخطاب كذلكَ، فإنّ الخِطَاب تظافُري بالأساس. إذّاك يجمعُ بينَ تحقيق الفكرة الواحدة وتاصيلها ضمنَ مُحيطِهَا القصصي الأنسب.[343] وإذا ما عُدنَا إلى سيّاق مُدوّنتنا التي حفّت بها روايات كُثر، وجدنا أنّ الفكرة الواحِدة هي تلك المُتمثّلة في أنّ إبليس بأقوالِهِ وأفعالِهِ غدا أمرهُ حِيال معشر البشر موضوع لعنٍ تتلفّظُ بهِ الألسن كُلّما خطَر ببالٍ في كُلّ مقامٍ ومقالٍ.

[342] ***الفن القصصي في القُرآن الكريم***، ص 449.
[343] ***جدليّة القصّة والشّعر***، ص 354.

وهكذا فإنّ هذهِ الخاصّية التّظَافُرية تُتيحُ لنا مُبرّر للقولِ بأنّ خِطَاب القصّة الإبليسيّة لم يقصد أداء الألفاظِ بأعيُنها، إنّما قصدَ ذكرُ المعاني. ذلكَ أنّ الألفاظ إذا ما تمّت بكيفيّة اختِلافية وأفادت المعنى المَقصُود ذاتهُ، كان ائتلافُها واختلافُها سيّان.[344] نقصدُ أنّ إيحاءات الألفاظ أو "المعاني الثّانية" على حدّ عبارة البيانيون، ووقعهَا النّفسي هُو الأمر المقصُود في بحثنا هذا. وهُو المقصدُ ذاتهُ الذي سوّرَ الجانب الفنّي في بناء وتركيب قصّة إبليس التي اشتغلنا عليهَا. وعلى هذا الأساس فإنّ الخاصّية التظافرية في قصّة إبليس هي التي جعلت الجانب القصصي في شكلهِ البنائي مُؤهّلا لاستضافة تقنية التّكرار ومُستوعِبا للائتِلافِ والاختِلافِ فيهِ. فلا محيصَ من أن نُقرّ بأنّ للتّكرار المُؤتلف والتّكرار المُختلف من أسبابِ الانصهَارِ ما يُمَكّنُ إحداهُما من التّعاملِ مع الآخرِ تعاملا بنّاء. فلا يفقدُ احدُهُما قيمتهُ ولا الثّاني خصائصهُ المُميّزة. إنّهُ لقاء ترحيب ترحيب تكرار الائتلاف بتكرار الاختلاف، أو استعاب التّكرار المُختلف للتّكرار المُؤتلف. والقاعدة في ذلك هي أنّ التكرار إذا أدّى المعنى المَقصُود، كان ائتلافَهُ واختلافَهُ سواء.

وإذا كانَ هذا ديدنُ نتيجة توصّلنا إليها في بحثنا، فإنّ في هذا الأوان يَنُوطُ بكاهلنا سُؤال قِوامُهُ: إذا كان تكرار الائتلاف وتكرار الاختلاف سواء - من جهة تأدية المعنى. فلماذا لم نجمعهُما معا بدل أن نُفردَ لكُلّ منهُما فصل مُستقلّ بذاتِهِ؟ نُشيرُ ضمن هذا الإطار أنّنا لا نخالُ أنفسنا قادرينَ على فكّ العصمة بين تكرار الائتلاف وتكرار والاختلاف لأنّ قصصي قصّة إبليس لا يتحقّقُ إلّا بتظافرهما معا. بيد أنّ ما حفّزنا على أن نُخصّصَ لكلّ من تكرار الائتلاف وتكرار الاختلاف فصل على حدة هو البحثُ في الدّلالة. دلالة تكرار التّآلف على مُستوى اللّفظ والجُملة والسيّاق. ودلالة تكرار التّخالف على مُستوى هذهِ الأضربِ.

لقد خِلنا أنّ دلالة التكرار المُختلف تختلفُ عن دلالة التكرار المُؤتلف كما عهدنا ذلك في المُدوّنة النثريّة القديمة والحديثة. غير أنّنا لم نجد ذلكَ كذلِكَ في قصّة إبليس المُكرّرة في الخِطَاب القُرآني. فغاية ما نجد هو تغيّر الصّيغة التّعبيريّة التّكرارية مع المُحافظة على جوهر الموضُوع المُتحدّث فيهِ. لذا جاء التّكرار بأضربهِ هذهِ مُجتمعة: حكمة وإقرارا. فالشّيء إذا تكرّر تقرّرَ. فلا يخفى أنّ التّكرار إئتِلافا كان أو إختلافا، يزخَرُ بالأوامر والنّواهي ويُرسّخُ في وعينا وإحساسنا وعظا مُباشرا يعتمِدُ التّرغيب والتّرهيب أو الإرشاد الربّاني المبني على أسلُوب التّلقينِ في شقّيهِ الإثباتي والنّفيي المُتمثّل في "افعل ولا تفعل" قصدَ تكوين وتكريم بني آدم، وترهيبهم من اتّخاذ الشّيطان وليّا. هذا فضلا عن قيمة الإنسان في الوُجُود وعلاقتهِ مع ربّهِ.

هكذا يضمحلّ الفارقُ بين التّكرار الائتلافي والتكرار الاختلافي، وعلى جِدارِ هذا الفارقِ تتحطّمُ آيات التّباعد بين تكرار الألف وتكرار الخُلف. فإذا نحنُ بينَ هذا وذاك نطلبُ قِوامًا. وممّا لا شكّ فيهِ أنّ مقام القول في قصّة إبليس لهُ كبيرُ مُساهمة في عقد الصّلة بين تكرار التّحالف وتكرار التّخالف. وآية ذلك

[344] ***الفنّ القصصي في القُرآن الكريم***، ص 450.

أنّ مُنشئ الخطَاب القُرآني واحد هو الله وحسبُك. فما يُسلّمُ به التّكرار المُؤتلف يبُوحُ بهِ التّكرار المُختلف.

وحريّ بنا أن نُشير كذلكَ إلى أنّ للحقيقة دورها الفعّال في توحيد الدّلالة المُتمخّضة عن ضُروب التّكرار التي أشرنا إليها آنفا. فإذا كان تكرارُ الائتلاف على مُستوى اللّفظ يطفَحُ حقيقة، وإذا كان التّكرار الائتلافي على مُستوى الجُملة يرشَحُ واقعيّة، وإذا كان تكرارُ التّحالف على مُستوى السيّاق مسيّجا بالحقيقة، فإنّ تكرار الاختلاف على مُستوى هذهِ الأضرب هو ايضا كذلكَ. ذلكَ أنّ اللّفظ والجُملة والسيّاق بهذهِ الصّيغة التّكرارية أو تلك، كُلّها مُستويات تُراهِنُ من جهة الدّلالة على استثارة المرء وحملِهِ على الانفعالِ والتأثّر، بُغية إقناعهِ بتولية وجهه شطر الطّريق الحق. وبعدُ، هل بوسعنا أن نتحدّث عن تصادم حقيقي بين تكرار المُستويات المُؤتلفة والمُستويات المختلفة في القصّة الإبليسيّة؟ أجل يا قارئ لقد خِلنا ذلكَ كذلِكَ لسببٍ بسيط هو أنّ التّحالف ضديد التّخالف. لكن لا ينبغي أن نُسلّمَ بذلك كثيرا لأنّ التّآخي بين هذا وذاك يسيرٌ قريبٌ مُمكنٌ إذا ما توفّرت عدّة شُروط أبرزها على الإطلاق: طبيعة السيّاق المقامي الذي تتنزّلُ فيهِ القصّة والكيفيّة التي بها نتمثّلُ قصصيّة القصّة وثبات الدّلالة المُترتّبة عن الضِرب التّكراري التّحالفي وضديدهِ التّخالفي.

ومن ثمّة فإنّ التّقنية التّكرارية في قصّة إبليس مُختلفة عن غيرها من القصص المألُوفة طويلةً كانت أو قصيرةً. فما من قارئ ذي أنّاة إلّا وهُو يُشاطِرُنا الرّأي في ما نحنُ إليهِ ذاهِبُون. فلسنا نعهَدُ قطّ في المُدوّنة السّردية العربية القديمة والحديثة تكرارُ قصّة بعينِها، بل غاية ما نجِدهُ نُصُوص تتضمّنُ قصصًا من غيرِ طينة القصّة الأصليّة. على أنّهُ من الأهميّة بمكان أن نشيرَ إلى أنّ تكرار قصّة بعينِهَا في الخطاب القُرآني لم يكن خاصّية انفردت بها قصّة إبليس فحسب، بل كثيرا ما حفلَ الخِطَاب القُرآني بتكرارِ قصص متنوّعة لها سيّاقاتها الخاصّة التي تنزّلت ضمنها. من ذلكَ قصّة لوط وقصّة مُوسى وقصّة عاد وثَمُود وما سِوى ذلكَ. ونحنُ هُنا لا نُطيلُ الحديثَ كثيرا، لأنّ أفاق بحثنا لا تسعُ هذا الموضُوع الذي يَحدُونا شوقا ويُغرينا بالبحثِ في ضُرُوبِ المُقارنة بينَ هذهِ القصص.

والحقّ أنّ طرافة بحثنا وهو "تكرار القصص في القُرآن: قصّة إبليس أنموذجا" تتمثّلُ في أنّ قصّة إبليس المُكرّرة في الخِطَاب القُرآني لئن كانت قصّة من النّوع الغيبي تُبرِزُ رذيلة الشّيطَانِ وتُحذّرُنا من عداوتِهِ، وهو ما يتّفِقُ عليهِ كثيرُ من الدّارسين. فإنّنا بذلنا قُصارنَا على ألّا تكُونَ هذهِ الوِجهَةُ الإيتيقيّة الأخلاقيّة مقصدُنا الأسّ. على ذلكَ اقتصرت غايتُنا على تأويل الظّاهرة القصصيّة في قصّة إبليس وما تحمِلُهُ من إشارات دلالية تكرارية.

وخليقٌ بنا أن نُشيرَ إلى أنّ البحثَ في تقنية التّكرار القصصي في الخِطَاب القُرآني من خلال أنموذج هو قصّة إبليس، هُو بحثٌ لا يَزَالُ مغمُورا ينتظِرُ مَن يُخرِجُهُ من الديجُور إلى النّورِ. فأغلب الدّراسات التي خُصّصَت لهذهِ القصّة كانت رهينة التّفسيرات المُقترنة بالإسرائيليات و"مُكبّلة بالتّأويلات

المبنيّة على مفاهيمِها" على حدّ تعبير "مُحمّد أحمد خلف اللّه". ومُجملُ القولِ، لقد استجابت القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخِطَاب القُرآني للدّراسة المنهاجية الحديثة. وحسبنا في ذلكَ ما استعنّا بهِ من منهج تلفّظي وتداولي وسيميائي وتأويلي. وعلى الرّغمِ من أنّ هذهِ القصّة التي اشتغلنا عليها هي قصّة من النّوع الغيبي، إلّا أنّها أسلمت لنا قيادها. فأخضعت لمُقتضى الحبكَة والعُقدة بالمَفهُوم السّردي المُتَعَارفِ عليهِ في علم السّرديات. فلئن كانت الحبكة في منطق السّرديات تُعيدُ إنتاج عناصر المرجع الواقعي، فإنّ قصّة إبليس انبنت على مواد معروفة ومشهُورة ومُتداولة في البيئة العربية.[345] ومن ثمّة لم تتأبّ هذهِ القصّة على الامتثالِ لهذا الرّبط.

وخليقٌ بنا أن نُشيرَ إلى أنّنا على يقينٍ بأنّنا لا نستطيعُ ان نُوفّي هذا البحثَ حقّهُ من التّحليلِ من خلال بحثٍ واحدٍ كهذا الذي أنجزنا. ورجاؤُنا بعد هذا كلّه أن تتقفّى بحثنا بُحُوثٌ أخرى تُساهِمُ في تحقيقِ الإضافةِ العلميّة حولَ تكرار القصص في القُرآن لإخراج هذهِ التّقنية التي يزخَرُ بها الخِطَاب القُرآني من دائرة النسيان إلى دائرة التذكّر والتفكّر.

وبالإجمالِ يبقى أملنا وطيدا في أن نكُونَ قد أسهمنا - بعملنا البسيط المُتواضعِ في مُجملهِ – في تحسّس الظّاهرة التّكرارية القصصيّة في الخِطَاب القُرآني من خلال قصّة إبليس. آملينَ أن نكُونَ قد نبّهنا إلى طَرَافةِ هذا البحثِ. فعلّنا بهذا الصّنيعِ نُوحي إلى من سيأتِي بعدنا من الدّارسين بعقد صفتي المُلاجّة والمُحاجّة ورُكُوبِ هذهِ المُغامَرةِ. فأقصى الذي نُحَاوِلُ هو أن تَكُونَ بينَ المَعارِفِ وشائِجُ قُربى. فلا نَحنُ ندّعي امتلاك المعرفة وفي الآنِ ذاتِهِ لا ينبغي أن نترُكَ أفكار الآخرينَ تستحوِذُ علينا حتّى لا تمتلئ حُلُوقنا مرارة جرّاء قول الزّاعمينَ هذا غيرُ ذاك، فلم يدع هذا لذاك شيئا. فاَجعل من تكرار القصص في الخطاب القُرآنِي نهلا مُستفيضا وحسبُكَ.

[345] لمزيد التوسّع أنظُر ***الفنّ القصصي في القُرآن الكريم***، ص 256.

مُلحق في الآيّ القُرآنية المُعتمدة

❖ سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم
بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾

❖ سُورة آل عمران :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

❖ سورة الأنعام :

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾

❖ سُورة الأعراف :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن
طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ
﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى
لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ
أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا
مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنَ أَنتَ
وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ۚ وَقَالَ مَا
نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ
بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ
أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ
ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾

❖ سُورة الحجر :

فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾

❖ سُورة النّحل :

فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

❖ سُورة الكهف :

وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾

❖ سُورة طه :

وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى ﴿١٢٣﴾ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٥﴾

❖ سُورة فَاطر :

إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾

❖ سُورة ص :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

❖ سُورة الزّخرف :

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

❖ سُورة المُجادلة :

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

❖ سُورة الحشر :

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

مسرد المُصطلحات

الترتيب العربي:

(أ)

الاتّصال ..... Conjonction (La)

الاختلافُ ..... Désaccord (Le)

الاختلال التّبريري ..... Justification différentielle (La)

الاستطاعةُ ..... Pouvoir (Le)

الاستطرادُ ..... Digression (La)

الاستهلال ..... Exorde (L')

أسلُوب ..... Manière

الاعتباطيّة ..... Arbitraire (L)

الأعمال الكَلامِيّة ..... Actes de parole (Les)

الاقترَاح ..... Proposition (La)

الانتشاء ..... Extase (L')

الانفصال ..... Disjonction (La)

الإيديُولُوجيا المُأبلسة ..... Idiologie diabolique (L')

الايعاز ..... Manipulation (La)

البَرَاهِين ..... Démonstration (La)

(ب)

البُرهَانُ ..... Preuve (La)

بما فيهِ الكِفاية ..... Suffisamment

بنية النّص ..... Structure de texte (La)

البيتُ الشّعري ..... Vers (Le)

(ت)

التّأثيرُ بالقولِ ..... Acte perlocution (L’)

التّأويل ..... Interprétation (L’)

التّبئير ..... Focalisation (La)

التّبئير الخارجي ..... Focalisation externe (La)

التّبئير الدّاخلي ..... Focalisation interne (La)

التّبئير الصّفري ..... Focalisation zéro (La)

التّحفيز الاجتماعي ..... Motivation sociale (La)

التّحليل السّردي ..... Analyse de la narratologie (L’)

التّحويلُ ..... Transformation (La)

التّذكيرُ ..... Rappel (Le)

التّسريد ..... Narration (La)

تسلسل أفعال اللّغة في الخطاب ..... Enchainement des actes de langage dans le discours

Similitude de convenance (La)..... تشابُه التّلاؤم

Sanction (La)..... التّصديق

Evolution (L’)..... التطوّرُ

Equivalence (L’)..... التكافُؤ

Récurrence (La)..... التكرَارُ

Enonciation (L’)..... التلفّظ

Enonciation didactique (L’)..... تلفّظ تعليمي

Occurrence (L’)..... التّوارُدُ

(ج)

Pauvreté de pensé (La)..... الجدب الفكري

Phrase (La)..... الجُملَة

(ح)

Arguments (Les)..... الحُجَجُ

Événement (L’) ..... الحَدث

Conte (Le)..... الحكايةُ

Raconté (Le)..... الحَكيُ

Dialogue (Le)..... الحِوَارُ

(خ)

خاتمةُ الكَلامِ ..... Péroraison (La)

الخارجانية ..... Extériorité (L’)

الخارجية ..... Externe (L’)

الخَارِقُ _ العجيبُ ..... Extraordinaire (L’)

الخَبَرُ ..... Nouvelle (La)

خُرَافة ..... Fable

الخِصب الفكري ..... Richesse de pensé (La)

الخِطَابُ ..... Discours (Le)

(د)

الداخلية ..... Interne (L’)

الدّحْضُ ..... Réfutation (La)

الدخلانية ..... Intériorité (L’)

الدّرَاسَة الحِجَاجيّة ..... Etude argumentatif (L’)

(ر)

ردّ الفعل ..... Acte de réaction

الرّواية ..... Roman (Le)

(س)

السّرد الإعادي ..... Répétitif (Le)

السّرد الإفرادِي ..... Singulatif (Le)

السّرد التكراري ..... Itératif (L)

السّردُ المُجمَلُ ..... Sommaire (Le)

السّطح ..... Surface (La)

السيّاق ..... Contexte (Le)

السيّاق الإدراكي ..... Contexte cognitif (Le)

السيّاق التداولي ..... Contexte pragmatique (Le)

السيّاق الثّقافي ..... Contexte culturel (Le)

السيّاق النصّي ..... Contextualité (La)

سيّاق سُلُوكي ..... Contexte comportatif

سيّاق عرضي ..... Contexte expositif

السيميائيات التّأويليّة ..... Sémiotique de l’interprétation (La)

(ش)

الشّيطان ..... Diable (Le)

(ط)

طابع تحريضي ..... Incitatif

Caractère cyclique (Le)..... طَابع دائري

Phrasé de modulation..... طبقة الصّوت

Anecdote..... الطُرْفةُ

(ض)

Circonstance..... ظرف

(ع)

Monde transcendant (Le)..... العالم المُتعالي

Exposé (L')..... العَرْضُ

Coutume du diable (La)..... العُرف الإبليسي

Relation causal (La)..... العلاقة السّببيّة

Terminologie (La)..... علم المُصطلحات

Acte perlocutionnaire..... عملُ التّأثيرِ بالقَوْلِ

Acte de locution..... عمَلُ القولِ

Acte d'illocution (L ')..... العَمَلُ المَقصُودُ بالقولِ

(غ)

Profondeur (La)..... الغَوْرُ

Imprévue..... غير مُتوقّع

غيرمُتماسِكة ..... Sans consistance

(ف)

الفعل ..... Action (L')

الفعل الخطابي ..... Développement aratoire (Le)

(ق)

القَرَائِن السيّاقيّة ..... Justification contextuels (Les)

القصّة الإبليسيّة ..... Récit de diable (Le)

قناة الاتّصال ..... Canal de conjonction

(ك)

الكفاءة ..... Compétence (La)

الكَفَاءةُ الإبليسيّةِ ..... Compétence du diable (La)

الكَفَاءةُ الإقناعيّة ..... Compétence persuative (La)

(ل)

اللّفظ ..... Terme (Le)

اللّفظُ المُسقَطُ ..... Terme extinctif (Le)

اللّفظُ المُعطّلُ ..... Terme suspensif (Le)

اللّقاء ..... Rencontre (La)

(م)

المُتخيّل.....Imaginaire (L’)

المُتلفّظ .....Enonciataire (L’)

المُحادثَةُ .....Conversation (La)

المُخَاطِب .....Allocutaire (L’)

المُخاطَبَةُ .....Allocation (L’)

المَرجِعُ .....Référence (Le)

المرئِيّ .....Visible (Le)

اللّامَرئي .....Invisible (L’)

المسار المكاني .....Processus spatiale (Le)

مسارٌ ثُلاثِيٌّ .....Triple processus

المَشهَدُ .....Scène (La)

المُشيرات .....Déictiques (Les)

المُشيرات الفعليّة .....Déictiques verbales (Les)

المَعَاني .....Senses (Les)

المُغامَراتُ .....Aventures (Les)

المُقَارَبَة .....Proche (La)

المَقام التلفّظي .....Contexte d’énonciation (Le)

المَقام المَوقِفي .....Contexte situation (Le)

المَقَام النصّي ..... Contexte textuel (Le)

المَكَانُ ..... Espace (L’)

المَلفُوظَات اللغوية ..... Enoncés de langage (Les)

الملفُوظات..... Enoncés (Les)

مَلفُوظي حالة ..... Enoncés d ‘état

مُنَاسَبة ..... Occasion

المُنجَزُ ..... Exécutée (L’)

المهمّة الوظائفيّة ..... Rôle fonctionnelle (Le)

المَوجُود في الوُجُود ..... Autre dans l’être (L’)

مُؤيّد ..... Confirmé

(ن)

النمط التعليمي ..... Manière didactique (Le)

(و)

وحدة تلقيب ..... Unité de dénomination

الوضعُ المُتحوّلُ ..... Etat changeable (L’)

الوظيفَةُ ..... Fonction (La)

الوَقفَة الوصفيّة ..... Pause descriptif (La)

مسرد المُصطَلَحات

التّرتيب الفرنســـــي

(A)

العمل المقصُود بالقول ..... Acte d’illocution (L’)

عَمَل القول ..... Acte de locution

رَدّ الفعل ..... Acte de réaction (L’)

التّأثِير بالقول ..... Acte perlocution (L’)

عمل التّأثِر بالقول ..... Acte perlocutionnaire

الأعمال الكلامية ..... Actes de parole (L’)

الفعل ..... Action (L’)

المُخَاطبة ..... Allocation (L’)

المُخَاطِب ..... Allocutaire (L’)

التّحليل السردي ..... Analyse narratologie (L’)

طُرفَةٌ ..... Anecdote

الاعتِبَاطية ..... Arbitraire (L’)

الحُجَج ..... Arguments (Les)

المُغَامرات ..... Aventures (Les)

(C)

Canal de communication ..... قَنَات تَوَاصل

Caractère cyclique ..... طَابع دائري

Circonstance ..... ظَرف

Compétence (La) ..... الكَفَاءة

Compétence de diable (La) ..... كَفَاءة إبليس

Compétence persuative (La) ..... الكفاءة الإقنَاعية

Confirmé ..... مُؤيّد

Conjonction (La) ..... الاتّصال

Conte (Le) ..... الحِكَاية

Contexte (Le) ..... السيّاق

Contexte cognitif (Le) ..... السيّاق الإدراكي

Contexte comportatif ..... سيّاق سُلوكي

Contexte contextuel (Le) ..... السيّاق النّصي

Contexte culturel (Le) ..... السيّاق الثقافي

Contexte d’énonciation (Le) ..... المَقَام التلفّظي

Contexte expositif ..... سيّاق عرضي

Contexte pragmatique (Le) ..... السيّاق التداولي

Contexte situationnel (Le) ..... المَقام المَوقفي

Contextualité (La) ..... السيّاق النّصي

Conversation (La) ..... المُحَادثة

Coutume diabolique (La) ..... العُرف الإبليسي

(D)

Digression (La) ..... الاستطراد

Déictiques (Les) ..... المُشيرات

Déictiques verbales (Les) ..... المُشيرات الفعلية (مُشيرات الأفعال

Démonstrations (Les) ..... البرَاهينُ

Désaccord (Le) ..... الاختِلاف

Développement aratoire (Le) ..... الفعل الخِطَابي

Diable (Le) ..... الشّيطَان

Dialogue (Le) ..... الحِوار

Discours (Le) ..... الخِطَاب

Disjonction (La) ..... الانفِصَال

(E)

Enchainement des actes des langages ..... تسلسل أفعال اللّغة

Unité de dénomination ..... وِحدة تلقيب

Enoncés (Les) ..... المَلفُوظَات

Enoncés d’état ..... مَلفُوظَي حَالة

Enoncés du langage (Les) ..... الملفُوظَات اللّغوية

Enonciataire (L’) ..... المُتَلفّظ

Enonciation (L’) ..... التلفّظ

Enonciation didactique (L’) ..... التلفّظ التّعليمي

Equivalence (L’) ..... التكافُؤ

Espace (L’) ..... المَكَان

Etat changeable (L’) ..... حالة مُتَحوّلة

Etre dans l’existence (L’) ..... المَوجُود في الوُجُود

Etude argumentatif (L’) ..... الدّراسة الحِجَاجية

Événement (L’) ..... الحَدث

Evolution (L’) ..... التطوّر

Exécutée (L’) ..... المُنجز

Exorde (L’) ..... الاستِهلال

Exposé (L’) ..... العرض

Extase (L’) ..... الانتِشَاء

Extériorité (L’) ..... الخَارجانية

Externe (L’) ..... الخَارجية

Extraordinaire (L’) ..... الخَارق – العجيب

(F)

Fable ..... خُرافة

Focalisation (La) ..... التّبئير

Focalisation externe (La) ..... التّبئير الخَارجِي

Focalisation interne (La) ..... التّبئير الدّاخلي

Focalisation zéro (La) ..... التّبئير الصّفري

Fonction (La) ..... الوظِيفة

(I)

Idiologie diabolique (L’) ..... الإيديولوجِيا المُأبلسة

Imaginaire (L’) ..... المُتَخيّل

Imprévue ..... غير مُتوقّع

Incitatif ..... طَابع تحريضي

Intériorité (L’) ..... الدّاخِلانية

Interne (L’) ..... الدّاخلي

Interprétation (L’) ..... التّأويل

Invisible (L’) ..... اللّامرئي

Itératif (L’) ..... السّرد التّكراري

(J)

Justification différentielle (La) ..... التّبرير الاختلافي

Justifications contextuels (Les) ..... القرائن السيّاقية

(M)

Manière ..... أسلُوب

Manière didactique (Le) ..... الأسلُوب تعليمي

Manipulation (La) ..... الإيعاز

Monde transendant (Le) ..... العالم المُتَعالي

Motivation sociale (La) ..... التّحفيز الإجتِمَاعي

(N)

Narration (La) ..... التّسريد

Nouvelle (La) ..... الخبر

(O)

Occasion ..... مُنَاسبة

Occurrence (L’) ..... التّوارد

(P)

Pause descriptif (La) ..... الوقفة الوصفية

Péroraison (La) ..... خَاتِمَة الكلام

Phrase (La) ..... الجُملة

Phrasé de modulation ..... طبقة الصّوت

Pouvoir (Le) ..... الاستطَاعة

Pauvreté de pensé (La) ..... الجدب النّفسي

Preuve (La) ..... البُرهان

Processus spatiale (Le) ..... المَسار المَكَاني

Proche (La) ..... المُقَاربة

Profondeur (La) ..... الغَور

Proposition (Le) ..... الاقتراح

(R)

Raconté (Le) ..... الحكي

Rappel (Le) ..... التّذكير

Récit diabolique (Le) ..... القصّة الإبليسيّة

Récurrence (La) ..... التّكرار

Référence (Le) ..... المَرجع

Réfutation (La) ..... الدّحض

Rencontre (La) ..... اللّقاء

Répétitif (Le) ..... الإعادي

Richesse de pensé (La) ..... الخِصب الفكري

Relation causal (La) ..... العلاقة السّببية

Rôle fonctionnelle (Le) ..... الدّور الوَظَائفي

Roman (Le) ..... الرّواية

(S)

Sans consistance ..... غيرُ مُتَمَاسِكة

Scène (La) ..... المَشهد

Sémiotique de l'interprétation (La) ..... السّيميائية التّأويلية

Sanction (La) ..... التّصديق

Senses (Les) ..... المَعَاني

Similitude de convenance (La) ..... تَشَابه التّلاؤم

Singulatif (Le) ..... السّرد الإفرادي

Sommaire (Le) ..... السّرد المُجمل

Structure de texte ..... بنية النّص

Suffisamment ..... بِمَا فيهِ الكِفَاية

Surface (La) ..... السّطح

(T)

Terme (Le) ..... اللّفظ

Terme extinctif (Le) ..... اللّفظ المُسقط

Terme suspensif (Le) ..... اللّفظ المُعطّل

Terminologie (La) ..... علم المُصطَلحَات

Transformation (La) ..... التحوّل

Triple processus (Le) ..... المَسار الثُلاثي

(V)

Vers (Le) ..... البيت (الشّعري)

Visible (Le) ..... المَرئي

المصادر والمراجع

ليس للبحث الذي تخيّرناه ونأملُ أن يَكُون لنا فيه موطئ قدم تنقدحُ عنده شرارة الإدراك الذّاتي إلّا مصدرا واحدا، وهو القُرآن الكريم. أمّا مراجعه فنُقسّمُها إلى مجموعات مراعين بذلك طبيعة اللّغة. ونرتّبُ المراجع ألفبائيّا داخل كلّ مجموعة سيّان أن يكُونَ المرجعُ كتابا أو مقالا ضمن كتابٍ وما سِواهُ.

❖المصـــــدر:

اشتغلنا بالقرآن في رواية واحدة وهي:

- القُرآن الكريم، برواية ورش عن نافع المدني، دار الفكر، سوريا.

❖المراجـــع:

1 . مـراجـع متّصـــلة بالقُـــــــــرآن:

- الإسكافي (الخطيب) دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل، برواية أبي الفرج الأردستاني، طبعة مُصحّحة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت _ لبنان.
- خلف الله (مُحمّد أحمد) ***الفنّ القصصي في القُرآن الكريم***، مُؤسّسة الانتشار العربي، سينا للنّشر.
- الرّازي (الفخر) التفسير الكبير ومَفَاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السّيُوطي (جلال الدين) الإتقان في عُلوم القُرآن، طبعة مُؤسّسة النّداء.
- الشّعراوي (مُحمّد متولّي) تفسير الشّعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة.
- الطبري (أبو علي الفضل بن حسن) مجمعُ البيان في تفسير القُرآن، طبعة جديدة ومُصحّحة، منشورات دار مكتَبَة الحياة، بيروت _ لُبنان.
- الطبري (مُحمّد بن جرير) تفسير الطبري المُسمّى جامع البيان في تأويل القُرآن، دار الكُتُب العلميّة، بيروت _ لُبنان.
- الكاشاني (الفيض) كتاب الصّافي في تفسير القُرآن، تحقيق مُحسن الحسيني الأميني، الطبعة الأولى 1419 هـ ، دار الكُتُب الإسلاميّة، طهران _ إيران.

2 . مراجع نظرية وتطبيقيّة مُتّصلة بفنّ السّرديات:

أ: بـــاللّســـان الـــعربـــــــــــــــي:

- ابن رمضان (فرج) ***خصائص الشكل القصصي***، مجلّة الفكر 1997، العدد السّادس.
- ابن عيّاد (محمّد) ***الرّهان الترجذاتي***، مطبعة التسفير الفنّي،صفاقس، تونس.

- ابن عيّاد (مُحمّد) ***المقام في الأدب العربي***، مطبعة التسفير الفنّي، صفاقس.
- ابن عيّاد (مُحمّد) ***جدليّة القصّة والشعر***، مطبعة التسفير الفنّي، صفاقس _ تونس.
- ابن عيّاد (مُحمّد) ***مسالك التأويل السيميائي***، الطبعة الأولى، مطبعة التسفير الفني، صفاقس _ تونس.
- أوشان (آية علي) ***السيّاق والنص الشعري***، من البنية إلى القراءة، الطبعة الأولى 1421هـ _ 2000م، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- الباردي (محمّد رجب) ***إنشلئية الخطاب في الرواية العربية الحديثة***، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب دمشق 2000.
- الباردي (مُحمّد رجب) ***سحر الحكاية***، الطّبعة الأولَى 2004، مطبعة التسفير الفنّي، صفاقس.
- بلّا (شارل) ***مقال حكاية***، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الفرنسية الجديدة، تعريب: محمّد قوبعة _ فوزي البدوي _ الهادي بوحوش.
- البهلول (عبد الله) مقال بعنوان ***"استراتجية السكوت والاسكات في الرسائل المُتبادلة بين أبي العلاء وداعي الدُعاة الفاطمي"*** ضمن أعمال ندوة المسكوت عنه قسم العربيّة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، أفريل 2009، مُراجعة وتقديم مُحمّد الشيباني، نوفمبر 2010.
- الجُندِي (عبد الحليم) ***القرآن والنهج العلمي المُعاصر***، الطبعة الأولى، 1404 هـ _ 1984م، دار المعارف، القاهرة _ مصر.
- جينات (جيرار) ***خطاب الحكاية***، ترجمة: محمّد معتصم – عُمر حلّى، الطبعة الثّانية 1997، المجلس الأعلى للثّقافة، الهيئة العامّة للمطابع الأميريّة، المغرب.
- الحلواني (عامر) ***أسلوبية الوصف والحوار***، مطبعة التسفير الفنّي، صفاقس.
- الحلواني (عامر) ***جمالية الموت*** الطبعة الأولى جوان 2004، مطبعة التسفير الفني صفاقس _ تونس.
- ديك (فان) ***النص والسيّاق***، ترجمة عبد القادر فينيني، إفريقيا الشروق، لبنان _ بيروت.
- السويسي (صابر) مقال بعنوان ***"المُعلن والمسكوت عنه"*** ضمن أعمال ندوة المسكوت عنه، قسم العربيّة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، أفريل 2009، مُراجعة وتقديم مُحمّد الشيباني، نوفمبر 2010.

- صولة (عبد الله) ***الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبيّة***، منشورات كلية الآداب بمنوبة 2001.
- العزّابُو (كَمَال) ***مُقَاربات منهجية في المقال الأدبي***، رسالة الغفران نموذجا، دار الميزان للنشر.
- العيّادي (عبد العزيز) ***ايتيقا الموت والسعادة***، الطبعة الأولى أفريل 2005، دار صامد للنشر، ضفاقس _ تونس.
- نقرة (التُّهامي) ***سيكولوجيا القصّة في القُرآن***، الشركة التونسيّة للتوزيع 1971.
- الهمّامي (عبد الرزّاق) ***الحكاية والتأويل***، أطروحة دكتوراه بإشراف حسين الواد، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب بمنوبة، جوان 1999.

ب : باللّســـــان الفرنســـــــــي.

- A.J. (Greimas) : **Sémantique structurale**, recherche de méthode, Edition, librairie Larousse 1966.
- Benveniste (Emile) : **Problèmes de linguistique générale** ,2 , Edition Gallimard 1974.
- Genette (Gerard) : **Figure III**, Edition Seuil, Céres 1972.
- J.L.Austine : **Quand dire c'ast faire** , Edition Seuil pour la version française 1970.
- Katrin kerbrate (Orechioni) : L'énonciation de la subjectivité dans la language. Edition librairie Armand Colin Paris 1980.
- Rivara (René) : La mangue du récit introduction à la narratologie énonciative . Edition L'Harmattan, rue de l'école – polytechnique.

3. مراجع نظريّة وتطبيقيّة مُتّصلة بفنّ الشعريات:

- ابن جعفر (قُدامة) ***نقد الشّعر***، تحقيق وتعليق مُحمّد عبد المُنعم خفّاجي، دار الكُتُب العلميّة، بيرُوت – لُبنان.

- الطرابلسي (محمّد الهاديّ) ***خصائص الأسلوب في الشوقيات***، منشورات الجامعة التونسيّة، المطبعة الرّسمية للجُمهورية التونسية 1981.
- العلوي (احمد بن طباطبا) ***عيّار الشّعر***، تحقيق وتعليق مُحمّد زغلول سلّام، منشأة المعارف بالإسكندريّة، مصر.

4. مراجع تطبيقيّة مُتّصلة بفنّ اللّغة:

- عاشُور (المُنصف) بنية الجُملة العربيّة بين التحليل والنظرية، جامعة تُونس الأولى ، منشورات كلية الآداب بمنوبة 1991.
- عبد الواحد صالح (بهجت) الإعراب المُفَصّل لكتاب الله المُرتّل، الطبعة الأولى 1414هـ _ 1993 م دار الفكر للنشر والتّوزيع، عمّان _ الأردن.
- عبيد (حاتم) وظائف التكرار في القُرآن، شهادة الدراسات المُعمّقة، إشراف مُحمّد الهادي الطرابلسي، 1997.

5. المعـــــاجـــم والقـــــواميس والموسُوعات:

أ . باللّســـــــــان العربـــــــــي:

- دائرة المعارف الإسلاميّة، الطّبعة الأولى 1418هـ _ 1998م،مركز الشّارقة للإبداع الفكري.
- قامُوس الهادي إلى لُغة العرب، الكرمي (حسن سعيد)، الطبعة الأولى 1411هـ _ 1991م، دار الطباعة والنّشر، بيروت، لبنان.
- كشّاف اصطلاحات الفُنُون والعُلُوم، التهانوي (مُحمّد علي)، تحقيق علي دحروج، سلسلة موسوعات المُصطلحات العربيّة والإسلاميّة، مكتبة لبنان، ناشرُون.
- لسان العرب، ابن منظور (جمال الدين) تحقيق عبد الله الكبير، مُحمّد أحمد حسب الله، هاشم مُحمّد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة ، مصر.
- المُعجم المُفصّل في الأدب، التنّوخي (مُحمّد)، دار العلم للملايين، بيروت – لُبنان.
- المُعجم المُفصّل في اللّغة والأدب، لبديع يعقوب (إميل) وعاصي (ميشال)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- المُعجم الوسيط، تأليف لجنة من الباحثين، الطبعة الثّانية1393هـ - 1973م، دار إحياء التّراث العربي.

ب . باللّســـــــــان الفرنســـــي:

- A.Rey et J.Reydebove : Le petit Robert. Edition entièrement revue et emplifée du petit Robert 1993.

- A.Rey : Le Robert, dictionnaire historique de la langue française. Edition Paris 1992.
- Alain Rey : Le grand robert , dictionnaire de la langue française tome VI, dexième edition. Edition Manterial, Canada, 1992.
- André Laland : Vocabulaire technique et critique de la philosophie. Edition boulvard saint Germain Paris 1996.
- J.Dubois : Dictionnaire de linguistique. Edition librairie Larousse 1973.
- J.Greimas et J.Cortés, Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du language. Edition Hachette livre 1993.
- Josef hanse : neveau dictionnaire des difficultés du français moderne. Edition Duclot, Paris Gembloux 1987.
- O.Ducrot et T.Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du language. Edition Seuil 1972.
- Paul-Emile Littré : Dictionnaire de la langue française. Edition realisée dans les ateliers de Partenaires livre.
- Pierre varrod : Le robert d'aujourdhuit. Edition Christine Ehm ,Roselyne Messager, Marie Hélène tournard.
- Serge Cacaly : Dictionnaire de l'information. Edition Armand colin, Paris 2004.

المُوجــز

خارجة عن الصفّ بلا ريب القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطَاب القُرآني. فهي التّأليفِ مَوردُنَا لأوّلا لإحتِوائهَا على السّرد العبقري المُعجز. وهي مصدرنَا آخِرا، نعُودُ إليها لاستِعابِ بنيتِهَا التّلقينيّة ومن ثمّة نستقصي أفضليّة الوُجُود. فسرّ الخلقِ في هذهِ القصّة من أينَ يُؤتَى ؟ إنّ سرّ الصّنعِ في ذات المصنُوعِ. فالتّكرارُ فيهَا ليسَ وابلَ طلّ إنّما طلّ وابلٌ. وقد اتّخذت غزارتُهُ من المدّ ائتِلافا ومن الجزرِ اختِلافا.

وتكرارُ قصّة إبليس في الخِطَاب القُرآني ليسَ منهُ في المُدوّنة السّردية العربيّة القديمة والحديثةِ شيء. فتقنية التّكرار القصصي في القُرآن من خلال أنمُوذج هو قصّة إبليس، هي تقنَية جديدة من رحمِ القصّة الإبليسيّة وليدة. جعلت النّسيج القصصي يعلو بالقصّة عُلُوّا ويُحمّلُ متنَهَا معنى ودلالة. فإذا بالقصّة الإبليسيّة لا مُتعة حكي يُبتَغى بهِ لتسليةِ النّفُوس. بل هي كلام جدّ مَرام، باطنُهُ يرشحُ بالعِظَاتِ الجِسَام. قصّة إن تدبّرناها أبهتتنا ضُرُوبٌ فيها من الأحداثِ العُجَاب. أحداثٌ بين حقيقةٍ ودلالةٍ، بينَ مبنى ومعنى. أبطَالُهَا الكائنَاتُ سائرُها الإنسُ والملائكةُ وإبليس.أمّا العناصرُ الكونية فيها فهِي الشّجرة مآلُ آدم أغرتْهُ، والطّينُ أو الحمأ المسنُونُ، والنّارُ عُنصرُ بهِ إبليس يُفَاخِرُ .

تلكَ إذن هي الخليقةُ بأسرِها على رُكحِ القصّة تتحرّكُ، تُؤدّي أدوارَها وتُحدّثُ أخبَارَهَا. أخبارٌ فيهَا فَوَاجِع جِهَة الوجيعة واللّحمةِ الحيّة، ولا مُوجِعٌ فيها ولا فاجِعٌ إلّانا إيّانا فيمَا دهَانا وأغوَانَا. فذاكَ من القصَصي مذهبٌ ومن الفكرِ شُحنةٌ ولا غاية إلّا الإنسان كُلّ الإنسَانِ. فَكُلّ ما أدلت بِهِ القصّة الإبليسيّة هي آياتٌ من فنّ القَولِ فيهَا صمّ من مَعَاني الفكرِ صميم.

Le résumé

La légende diabolique répétitive dans le discours du coran est certainement merveilleuse. Elle est notre première inspiration pour les contes puisqu'elle se base sur un récit merveilleuse .Elle est aussi l'origine ou on rentre pour s'inspirer « comprendre »sa structure éducative et comprendre par la suite la superiorité de l'existence. Ainsi d'ou il arrive le secret de la création dans cette histoire ? Le secret de tel fabrication est toujours dans la fonction du fabrique. La répétition dans la légende diabolique est très fréquenté. Cette répétition à prit enfin, unrio et xiens entre la différence et la ressemblance.

D'une autre part , on ne trouve pas la récurrence de l'histoire du diable dans les œuvres narrative arabe classique ou moderne, par contre , la répétition

de cette légende est très fréquente dans le récit du coran . A partir de l'exemple de la légende du diable dans le coran. Il est clair que la technique de la répétition historique est moderne malgré qu'elle est le nouveau né de la legende diabolique. Cette technique nouvelle a crée dans l'histoire (légende) une sorte de démarche historique qui charge son contenu d'un air sémantique, et allégorique. Alors la légende n'a pas le plaisir de carmer les âmes. Cette légende est une sorte d'un message. Allégorique et saint ou le discours éducatif de la croyance est fréquent.

Alors si on analyse les actions merveilleuses qui balance entre le réalisme et l 'allégorisme entre ce qui est structural et sémantique. La plupart de ces héros sont des personnes , des anges , le diable et l'arbre de destin de ADEM puisqu'elle le sublime. C'est la création toute entière qui est en état de mouvement et perturbation sur le seuil historique, fait ses rôles et raconte ses nouvelles. Des nouvelles effrayantes qui font très mal au cœur. L'effrayant et le malheureuse dans cette légende n'est que la perturbation de notre croyance et la faiblisse de nous âmes.

Ansi ces actes n'est un courant historique et une agglomération spirituelle, n'ont pour but que l'homme, rien que l'homme. Et tout ce qu'elle à montrer la légende diabolique n'est qu'un art de dire par un sens difficile et un esprit absolu.

The abstract

Undoubtedly, satin 'story repeated in the Quran is a unique genre. Indeed, it sour source of narration as it contains geneaus narrative style. We refer to it to comprehend its in structural structure. Then we inquire about the preference of existance. But where does the secret of creation in this story come fiom ?

In fact ; the secret of the story makinglies in the story itself. Repitition in it is not ahail of dew, rather it's a hailing dew. Its abundance takes from ebb

difference and harmony from flow. The repitition of satin' s story in the Quora does not resemble the ancient and modern arabic narr-atives at all.

This technique (repetition) in the Quran through the model of satin's story is new. It's a techniqueborn from the womb of the story. Actually, it makes the structure transcend and loads it with meaning and significance making the satin's story a pleasure of narration meant to entertain, but witch serious words percolating witch great sermons.

If we examine the story, it will astonish us with its won derful events, structure and meaning. The heroes are all the creatures : Humans , amgels, satin , the tree that sedused ADAM and satin boasting about the elment of fire. It's all the creatures on the stage of the story moving, performing their roles and telling their news replet with calamitrès causing ogany. It affects us anly as we are its only cause. This is the is the story teller way of writing, taking a charge from thovgert and no end but man.

Satin s' story present sorts of the art of saying, wehere there are sound meanings stemming from the heart of thought.

فهرس الموضوعات

- ❖ تصديـــــــــــــــــــــــــــــــــــــر
- ❖ الإهـــــــــــــــــــــــــــــــــــداء
- ❖ الشّـــــــــــــــــــــــــــــــــــكر

المُقدّمة العامّة 1

المِهَاد الاصطِلاحي 5

الفصل الأوّل

تقنيات القصّة الإبليسيّة المُكرّرة في الخطاب القُرآني

تحديد المفاهيم 13

مُقدّمة الفصل 14

1 . مُستوى الخبر 15

2 . مُستوى الخِطَاب 24

خَاتمَة الفصل 32

الفصل الثّاني

وظائف التكرار:قصّة إبليس بين أحادية الحدث واختلاف الرّواية

مدخل مفهُومِي 33

مُقدّمة الفصل 34

1 . وظائف القصّة المُكرّرة: قصّة إبليس أنموذَجًا 35

أ . الوظيفة التنبيهيّة 35

ب . الوظيفة التّأثيريّة 36

ج . الوظيفة الحِجَاجيّة 37

2. حُضور إبليس في القصّة: سُلطة كمّ أم سُلطة فعل 39

أ . هيمنة حُضور إبليس في القصّة 39

ب . إبليس من التّبعية لآدم وحوّاء إلى الاقتِدَارِ عليهما 44

ج . إعلان الهزيمة وإخلاء المسؤولية 50

خاتمة الفصل 52

الفصل الثّالث

دلالة الائتِلاف في تكرار قصّة إبليس

المَدخل المَفهُومِي 53
مُقدّمة الفصل 54
1 . على مُستوى اللّفظ 55
2 . على مُستوى الجُملَة 59
3 . على مُستَوى السِيّاق 65
خاتمة الفصل 71

الفصل الرّابع

دلالة الاختلاف في تكرار قصّة إبليس

المدخل المفهُومِي 72
مُقدّمة الفصل 73
1 . على مُستوى اللّفظ 74
2 . على مُستوى الجُملَة 81
3 . على مُستوى السيّاق 85
خاتمة الفصل 92
خاتمة المطاف 93
مُلحق في الأيّ القُرآنية المُعتمدة 97
مسرد المُصطلحات : التّرتيب العربي 100
مسرد المُصطَلحات: التّرتيب الفرنسي 109
المصدر والمراجع 118
المُوجز 123
Le résumé 123
The abstract 124
فهرس المَوضوعات 126

سيـــــرة ذاتيـــــة

الاسم: فتحـــي

اللّقب : سعدي

مولود بتاريخ 14 جانفي 1984 بمعتمدية حيدرة من ولاية القصرين وصاحب بطاقة التعريف الوطنية عدد 08593935 المستخرجة من تونس بتاريخ 4 أفريل 2010.

- متحصّل على شهادة باكالوريا آداب سنة 2006 بالمعهد الثانوي القلعة الخصباء ولاية الكاف. الجمهورية التونسية
- متحصّل على الإجازة الأساسية في اللّغة والآداب والحضارة العربية سنة 2010 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. الجمهورية التونسية
- متحصّل على شهادة ماجستير البحث في اللّغة والآداب والحضارة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. (الجمهورية التونسية) وكان عنوان البحث، "تكرار القصص في القرآن: قصّة إبليس أنموذجا". وقد أشرف على هذا البحث الأستاذ محمّد بن عيّاد، وقد أُسندت إليّ ملاحظة حسن جدّا وكان ذلك سنة 2013.
- متحصل على رسالة الدكتورا في اللغة والآداب والحضارة العربية وعنوان رسالة الدكتوراه هو "الظاهرة الطللية موقفا رثائيا: نماذج من الشعر الجاهلي". أشرف على هذا البحث الأستاذ محمّد بن عيّاد. وقد اسندت إليّ ملاحظة مشرف جدّا وكان ذلك سنة 2020.

وإضافة إلى ذلك أنا عضو من أعضاء مخبر البحث في المناهج التأويلية.

- شاركت في يوم دراسي عنوانه في عتبات التأويل، أسّسه مخبر البحث في المناهج التأويلية انعقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس (تونس) يوم 4 جوان 2015، بمداخلة عنوانها اعلاء الوجيف على الرجيف أو متعة العناد مع الدهر: طلل المعلّقة أنموذجا.

- شاركت بمداخلة عنوانها: المنفى أو سؤال الوجود والعدم. في إطار يوم دراسي نظّمه قسم الإيطالية بكلية الآداب صفاقس (تونس)

– شاركت في الندوة الدولية التي اقيمت بمدينة الحمامات سنة 2017، نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس بمداخلة عنوانها : التدبّر الذاتيّ.

– شاركت في يوم دراسي يُعنى بالخيل والتراث نظمه قسم التاريخ بكلية الآداب صفاقس، اقيم بمدينة المكناسي سيدي بوزيد سنة 2014، بمداخلة عنوانها: الخيل في محفلها النصيّ.

– شاركت في الندوة الدولية بالجزائر جامعة عمار ثليجي (الأغواط) سنة 2015، والتي وُسمت بالأدب والسينما، بمداخلة عنوانها استخالة الأدب وأأدبة الاستخالة في فيلم الرسالة.

– نشرت مقالين بمجلّة علوم اللّسان : جامعة عمّار ثليجي، الأغواط (الجزائر)

الأوّل بعنوان: فنيات القصّة القرآنية المكرّرة: قصة إبليس أنموذجا.

والثاني عنوانه: أأدبة الاستخالة واستخالة المؤارخة في فيلم الرسالة.

درّست بمعاهد خاصّة في تونس.

– اشتغلت أستاذا متعاقدا بكلية الآداب صفاقس (الجمهورية التونسية) لمدّة سنتين 2015 / 2016 – 2016 /2017

العنوان البريدي: يتّصل بيد فتحي سعدي عند هيثم بن كريديس صاحب محل إعلامية مقابل لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس حي البحري (3) ولاية صفاقس 3064.

البريد الالكتروني: fathi_saadi@outlook.fr

الهاتف الجوّال: 23908560